اشتريته من مصطفى جده
قيم
٣٨٥٠

٢٥٠٠

تشرف بتملكه ... عفى عنه الغني القدير ...



تشرف بتملكه الفقير الى الله سبحانه
محمد بن ابي احمد ... الدين
عفى لهما
... ١٠٦٢

الله حسبي
تشرف بتملكه ... عفى الله عنه العبد ... محمد علي ... المولى ...
... غفر الله ... ولوالديه ...
... الصلاة والسلام



٢٢٦

ترجمة المصنف قدس سره

بكبرشي [in margin]

بكبرس ويقال منكوبرس ابو الفضائل وابو شجاع نجم الدين التركي مولى الامام الناصر لدين الله فقيه عارف بالفقه والاصول وكان يلبس بزي الاجناد والقباء والشربوش وعرض عليه الخليفة المستنصر قضاء القضاة فامتنع ومات ببغداد بعد الخمسين وستمائة وله كتاب الحاوي في الفقه نحو مختصر القدوري وله شرح عقيدة الطحاوي سماه النور اللامع وحدث عنه الحافظ الدمياطي

وقت ارخ الذهبي وفاته منتصف صفر سنة اثنين وخمسين وستمائة

التاج التراجم انتهى

فهرس الكتاب

في نوبة الفقير الى الله الغني ... البخاري عفا الله عنه

كتاب ٨٦١

النور اللامع والبرهان الساطع

في شرح عقائد اهل السنة والجماعة رواية ابي جعفر الطحاوي عن فقها الملة ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعليق الشيخ الامام الاجل العالم البارع الورع المحقق المتقن المتقي النحرير العلامة نجم الملة والدين ضيا الاسلام ركن الشريعة قطب الايمة مفتي الفرق سيد العلما تاج الفضلا رئيس الاصحاب ابي شجاع منكوبرس ابن عبد الله الامامي النبوي الناصري ابقاه الله تعالى وايده بنصره بمحمد وآله وصحبه اجمعين

هذا الكتاب هو الذي قد عز مثله في الدنيا نظيره

فعلي نذر واجب لله اني لا اعيره

ملك هذا الكتاب اسماعيل ... احسن الله اليه

هذا كتاب كريم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله
وسلم قال الشيخ الامام العالم العلامة البارع
المحقق المتقن المتقي ابو شجاع نجم الملة والدين ايده الله تعالى
اعلم بان العلم اول اللوازم وبه يكون اخلاص الدين لصانع العالم
ثم الدين يشتمل على اعتقاد الصواب واداء الواجب وهذا
الكتاب يتضمن شرح عقايد اهل الحق الذي رواه الامام
ابو جعفر الطحاوي عن ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي
يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون به رب العالمين
وقد تصدى لتمهيد قواعد الاصول على مذهبهم كثير
من ايمة الاسلام وفرسان علم الكلام من اهل السنة
والجماعة فمنهم من بسط واطنب ومنهم من توسط واقتصد
حذرا عن الاطناب ومنهم من اوجز واقتضب وبغية
الكل دحض الباطل ونصرة الحق والصواب ثم سمي بعضهم كتابه

كتابه بالسواد الاعظم لما روي عن ابي غالب عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو اسرائيل على
اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلث وسبعين
فرقة كلها في النار الا السواد الاعظم وسمى بعضهم كتابه
بالسنة والجماعة لما روي عن صفوان بن عمرو عن عوف بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون في النار
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة واحدة في
الجنة واحدى وسبعون في النار والذي نفس محمد بيده
لتفترقن امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان
وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال هم الجماعة
وعن عايشة بنت سعد عن ابيها سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني اسرائيل افترقوا
على اثنتين وسبعين فرقة ولن تذهب الايام والليالي حتى
تفترق امتي على ثلث وسبعين كل فرقة في النار الا واحدة

وهي الجماعة وعن ابي سلمة عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق
امتي على ثلث وسبعين فرقة وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال افترقت امة اخي موسى احدى وسبعين فرقة واحدة
في الجنة والباقون في النار وافترقت امة اخي عيسى اثنتين
وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار وستفترق
امتي على ثلث وسبعين واحدة في الجنة والباقون في النار
قيل يا رسول الله ومن هم قال من كان على ما انا عليه واصحابي
وهذه الاحاديث معانيها متفقة وهي من اخبار المشاهير
الموجبة للعلم واجمع العلماء على قبولها وهي من اخبار اعلام
النبوة ودلايل الرسالة اذ اخبر عما سيكون في المستقبل
فتحقق على ما اخبر حتى خافت الصحابة من الحدث في الفروع
فضلا عن العقايد والاصول ثم سلك التابعون سبيلهم
حتى صار اجماعهم حجة كاية من القرآن وحتى صار كل معقول

خالف

خالف الكتاب او السنة المتواترة او اجماع السلف باطلا
اذ العقل الصحيح حجة من حجج الله تعالى على ما يأتي بيانه من بعد
ان شا الله تعالى وحجج الله تعالى لا تتعاضد ولا تتضاد وقد
سمى ابو جعفر الطحاوي كتابه في العقايد ببيان السنة
والجماعة ذكر الامام ابو المعين النسفي في اصوله فقال
ان ابا جعفر الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الامة على العموم
وعلى علوم ابي حنيفة واصحابه على الخصوص قال في كتابه الذي
افتتحه في العقايد صح عندي مذهب فقهاء الملة ابي حنيفة
النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول الدين
ويدينون به رب العالمين وقال هذا بيان السنة والجماعة
ثم شرع في بيان اقاويلهم على ما يأتي ذكره ان شا الله تعالى
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله
ونقدم على الشروع في شرح العقايد فصولا في ذكر تحديد
العلم واثبات الحقايق والعلوم وذكر التقليد والاستدلال

اسم كتاب الطحاوي بيان السنة والجماعة

ابو المعين النسفي

ويقيناً

وذكر أنواع الحجج الموجبة للعلم قطعاً ليكون نور الحجة
للمهتدين ظاهراً لامعاً وبرهان الحق للمستبصر ساطعاً
وذلك كله من كلام أئمة كتاب السواد الأعظم كالإمام
أبي حفص الكبير وأبي القاسم إسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي
وأبي عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري ومن كلام رئيسهم
إمام الهدى أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي في كتاب التأويلات
ومن كلام الأستاذ الأجل سيف الحق النسفي في أصوله ومن كتاب
تحديد أدلة الشرع للقاضي أبي زيد الدبوسي ه

القول في تحديد العلم

قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله تعالى زعم
أبو القاسم الكعبي أن حد العلم اعتقاد الشيء على ما هو به ولم يرض
به غيره من المعتزلة وزعموا أنه باطل باعتقاد العامي حيث
اعتقد حدث العالم وثبوت الصانع على ما هو به وليس ذلك
بعلم لما أنه لا دليل معه وقال أبو هاشم منهم حد العلم اعتقاد

الشيء

الشيء على ما هو به مع سكون النفس إليه ولم يتخلص هو أيضاً عن
إلزامهم لما أن العامي ساكن النفس مطمئن القلب وليس ذلك
بعلم على مذهبهم لما لا دليل معه وزعم أبوه أبو علي الجبائي
أنه اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة أو دليل قال سيف
الحق وهذا أيضاً فاسد إذ هو تقسيم للعلم المحدث وليس
بتحديد لأن من شرط الحد أن يوجد جميع صفات الحد
في كل فرد من أفراد المحدود وفيما قسم لا يوجد ذلك فإن
ما كان من العلم ضرورياً فهو خارج عن الاستدلالي وما
كان منه استدلالياً فهو خارج عن الضروري وقد وقعت
المعتزلة في هذه الحدود الثلاثة في المناقضة بتحديدهم
العلم بالاعتقاد لأن العامي معتقد حدوث العالم ووحدانية
الصانع وقدمه وذلك ليس بعلم عندهم لما لا دليل معه فصاروا
مناقضين حيث جعلوا العلم اعتقاداً للشيء على ما هو به ثم
لم يجعلوا اعتقاد العامي للشيء على ما هو به علماً وإنما وقعوا
في المناقضة والفساد لامتناعهم عن إثبات العلم صفة

الله تعالى كما هو مذهبهم في نفي الصفات الذاتية والفعلية
وقد ثبت بالدلايل الموجبة ان الله تعالى له علم ازلي قايم بذاته
على ما نذكر في فصل الصفات ان شا الله تعالى ٥ وذكر
ابو بكر بن الطيب الباقلاني ان حد العلم هو معرفة المعلوم
على ما هو به وهذا ايضا فاسد لان المعرفة اسم للعلم المستحدث
قال عنترة في شعره
ام هل عرفت الدار بعد توهم   وقال بعضهم
ان حد العلم هو درك المعلوم على ما هو به وهذا ايضا فاسد
لان لفظة ادرك مشتركة يقال ادرك اذا احاط به وادركت
الثمار اذا نضجت وكذى الله تعالى يعلم ولا يدرك وقال
بعض المشايخ انه تبين المعلوم على ما هو به وهو فاسد
لان الله تعالى يقال له عالم ولا يقال بانه متبين قال
الشيخ الامام نجم الملة والدين ايده الله والذي نوره سيف
الحق هو ان هذه الحدود المذكورة فيها اثبات العلم
المبهم والتحديد لم يوضع لاثبات العلم المبهم اذ هو حاصل
لمن لا

لمن لا علم له بالحد وانما وضع التحديد لاثبات حقيقة العلم
التي بها يمتاز عن غيره من صفات المعلوم ولهذا يحصل به
جميع اجزا المحدود ويمنع غيره عن مشاركته فوقعت
الحاجة الى بيان تلك الحقيقة فقلنا نحن حقيقة العلم انه
يوجب كون من قام به عالما او الوصف الذي من قام به كان
عالما وهذا لانا عرفنا العلم والعالم على الاطلاق غير انا
جهلنا الحقيقة التي بها يمتاز كل واحد منهما عن
اغيارهما فتاملنا فعلمنا ان زيدا ما كان عالما لكونه اسود
وقيام السواد به لانا نشاهد السواد في اجسام ليست
بعالمة وكذا في البياض والحركة والسكون والاجتماع
والافتراق والطول وكذى في الطعوم والروايح كلها
فعلمنا انه ما كان عالما الا لقيام العلم به فكان هذا حقيقة
وكذى العلم تاملنا فيه فعلمنا انه لا يوجب كون من قام
به متحركا ولا ساكنا ولا مجتمعا ولا مفترقا ولا اسود
ولا ابيض فعلمنا ان حقيقته انه يوجب كون من قام به

حد العلم

عالما اذ لا اثر له الا هذا ن ومن اصحابنا من قال ان العلم
صفة ينتفي به عن الحي الجهل والشك والظن والسهو قال سيف
الحق وهذا التحديد اخف مؤنة واقطع لشغب الخصوم

الكلام في اثبات الحقايق والعلوم

قال الشيخ ابده الله تعالى قال ابو المعين النسفي حقايق الاشياء
ثابتة وهو مذهب جميع العقلا سوى طايفة تجاهلت
فزعمت ان لا حقيقة لشي وانما هي ظنون وحسبانات
وراموا بهذه المقالة دفع الاوامر والنواهي عن انفسهم
واجمع العقلا ان لا مناظرة بيننا وبين من هذا قوله لان
فايدة المناظرة ان تثبت بالدلايل صحة قول واحد وبطلان
قول الاخر والعلم الحاصل عن النظر في الدلايل وان كان يبلغ
النهاية في القوة فطريقه اخفى من طريق علم الحواس وبدايه
العقول ومن بلغ في الوقاحة والعناد مبلغا لا يبالي من
انكار ما ثبت من العلوم والحقايق بالحواس وبداهة العقول
لا

لا يرجى منه قبول العلم الثابت بالاستدلال ولذلك
استوصلت الكفرة المعاندون عند انتهاء العناد والمكابرة
بالعذاب كقوم نوح وقوم لوط وقوم شعيب وكفرعون
وقومه وعاد وثمود حيث نفوا حقايق الايات والحجج
وكابروها ولان المناظرة تكون بين اثنين بينهما اصول مسلمة
قد اجمعا على اثبات حكمها واصول مسلمة قد اجمعا على نفي
حكمها ثم اختلفوا في فرع له شبهة بكلي النوعين بوجه
من الوجوه فيختلفان بان الحاقه باي الاصلين اولى فيلحق بالاصل
الذي يشاركه في الوصف الموجب للحكم لا بالاصل الذي يشاركه
في الوصف الذي وجد اتفاقا فبيننا ظاهر ان لنظهر علة الحكم
من الوصف الاتفاقي واذا لم يكن لهولاء اصل مجمع عليه
لانكارهم حقيقة الاشيا كلها لا يتصور مناظرتهم
قال سيف الحق رحمه الله ولكن ينبغي ان يعاقبوا
بقطع الجوارح والضرب المبرح ومنع الطعام والشراب
فاذا استغاثوا وضجروا وطلبوا الطعام والشراب قيل لهم

لا حقيقة للقطع والضرب والجوع والعطش انما ذلك
كله حسبان وظن منكم وهو في الحقيقة ايصال الراحة
اليكم وانعام عليكم الى ان تتركوا العناد وتقروا بالحقايق
ولان مقالتهم هذه مظهرة انهم يعلمون الحقايق حيث يجتلبون
اسباب البقا بتناول الاغذية ولباس الثياب الدافعة
لمعرة الحر والبرد وكذي اجتنابهم لاسباب الهلاك
بتحرزهم عن اقتحام النيران المضطرمة ومنع انفسهم عن
السقوط من الامكنة المرتفعة وتوقيهم عن مقاربة الافاعي
الناهشة والعقارب اللادغة اذ لو لم يكن لهم علم باسباب
البقا لما اجتلبوها وباسباب الهلاك ما اجتنبوها ولولا
علمهم بحقايق الاشيا لما تصور بقاؤهم بل تلفوا باوحى
مدة واسرع وقت فدل بقاؤهم الى هذه المدة على علمهم
بحقايق الاشيا ثم من خبث سريرتهم وعظيم مكابرتهم
اعتلوا بالشبهة فقالوا ان اعلى اسباب العلم عندكم الحواس
الخمس وهي حاسة السمع وحاسة البصر والشم والذوق
واللمس

واللمس وهذه الاشيا لا تصلح سببا للعلم لان قضاياها
متناقضة فان الممرور وهو من به صفرا غالبة يجد العسل
مرا وغيره يجده حلوا والاحول يرى الشي شيئين وغيره
يراه واحدا وكل ذلك عمل الحس وما تناقضت قضاياه
هذا التناقض لا يصلح دليلا قال ——— شيخ الحق
رحمه الله فهذه الشبهة هتكت استارهم وكشفت عنادهم
وانهم لبسوا بالحقايق فبعدوا بل تجاهلوا عن علم بالحقايق
فانهم لو لم يعرفوا الحواس حقيقة انها ما هي وان قضاياها
ما هي وان التناقض ما هو وان الدليل ما هو وان القضية
ما هي وان العسل ما هو وان الممرور من هو وان الحرارة
ما هي وان الاحول من هو وان الروية ما هي وانه يرى الواحد
اثنين وان الواحد ما هو وان الاثنين ما هو ولو لم يعلموا
بحقايق هذه الاشيا لما اشتغلوا بايراد هذه الشبهة
فعين ما استدلوا به دليل بطلان قولهم وهتك استارهم
ثم يقال لهم انا معشر العقلاء اجمعنا على كون الحواس من اسباب

العلم في حال سلامتها عن الآفات وقط لا تتناقض قضاياها
عند سلامتها وانما تختل ادراكها عند اعتراض الآفات
ولا كلام في تلك الحالة وقد ابطلوا شبهتهم باجتلابهم
حقايق الاشيا النافعة وتحرزهم عن حقايق الاشياء
الضارة فظهرت مكابرتهم فينبغي ان يعاقبوا بقطع
الجوارح والضرب المبرح ومنع الطعام والشراب وان
يمسوا بالسياط المولمة ويقربوا من الافاعي اللاسعة
والعقارب اللادغة حتى يتركوا العناد والمكابرة او
يتلفوا بالكلية وهولاء المتجاهلة طايفة من الدهرية
يسمون السوفسطائية وهم انواع احدها هولا ونوع
اخر متشككة يقولون لا ندري هل للاشيا حقيقة ام لا
ونوع اخر يقولون حقايق الاشياء تابعة لاعتقادات
المعتقدين ومن سوى هولاء من الدهرية اقروا بالعالم
وادعوا قدمه وجحدوا الصانع مع معاينتهم حدوث
العالم ومافيه من التغير والزوال والقديم لا يتغير
ومع

ومع معاينتهم شهادة خلقة العالم بما فيه من التاليف
والتركيب والتسخير على ثبوت الصانع القديم اذ لا تاليف
الا بمولف ولا تركيب الا بمركب ولا تسخير الا بمسخر

القول في طرق العلم

قال الشيخ الامام ايده الله واذ قد ثبتت الحقايق والعلوم
فنقول ان اسباب العلم للمخلوقين انواع ثلثة احدها علم
الحواس السليمة وهي حاسة السمع وحاسة البصر وحاسة
الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس فالعلم بحاسة السمع
بالمسموعات وبحاسة البصر بالمبصرات وبحاسة الشم
بالمشمومات وبحاسة الذوق بالمذاقات وبحاسة اللمس
بالملموسات ضروري لا انكار في كون هذه الحواس موجبة
للعلم بمحسوساتها قطعا وقد جعلها الصانع الحكيم
طرقا للعلم لينتفع الممتحن بها في تحصيل منافع العاجلة
والآجلة وليكتسب بها الحواس الباقية في دار العاقبة

وقد انكرتها السوفسطائية المتجاهلة والنوع الثاني العقول
المستقيمة وذهبت الملحدة وجماعة المشبهة الى القول
ببطلان النظر وخروج العقل من ان يكون من اسباب
المعارف وقال اهل الحق كون العقل من
اسباب المعارف يعلم بالضرورة فان العلم الثابت
ببديهة العقل ضروري كالعلم الثابت بالحواس
فان العلم بان كل شيء اعظم من جزئه وان جزءه اصغر
من كله ضروري فان زيدا بكليته اعظم من يده
اذ في كله زيادة ويده اصغر من كله وكذا من
علم ان ولادة زيد وعمرو كانت في ساعة واحدة ثم علم
ان احدهما ابن عشرين سنة علم ضرورة كون الاخر
ابن عشرين سنة حتى لا يعتريه في ذلك شك ولو اراد
تشكيك نفسه لعجز كما في العلم الحاصل بالحواس فمن انكر
كون العقل من اسباب العلم على الاطلاق فقد انكر العلم
العلم الضروري والتحق بالسوفسطائية فيعامل بما يعامل

به السوفسطائية كذا ذكره ابو المعين رحمه الله ولان كل
احد من البشر يفزع الى النظر بعقله عند اشتباه الامر
على ذلك جبل الخلق كما يفزعون الى الحاسة المعدة
لادراك ذلك النوع من المحسوس فدل ان العقل من طرق
المعارف قال الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض
والذي ينظر في هذه الاشياء هو العقل ولان من نفى كون
العقل سببا للعلم فانما ينفيه بالنظر بالعقل فكان
في نفيه اثباته اذ ليس شيء دليل سوى النظر فانه لو ادعى
معرفة صحة نفيه بحاسة من الحواس يظهر عند المطالبة
بتعيين تلك الحاسة بطلانه وتعنته ولو احال ذلك
الى الخبر يظهر بطلانه ايضا اذ الخبر يثبت وجود العقل
وكونه طريقا للعلم **فان قيل** ان قضايا العقل
متناقضة قيل له قضايا العقل قط لا يكون متناقضة والوقوع
في الخطا يكون لتقصير الناظر في بعض المقدمات بهواه
فيقع له نوع ظن فيعتقد ذلك ويظنه علما فاما اذا استوفى

شرائط النظر في كل مقدمة (علم) وصحتها فلا يقع في ضلال
مثاله المجوسي نظر في اقسام العالم فوجدها محدثة بدلالة
التغير والزوال ووجود اشيا لم تكن وزوال اشياء
كانت فاعتقد حدوثها وهو صحيح ووجد في العالم الشرور
والقبايح والاقذار والانتان فاعتقد حدوثها وهو صحيح
ثم اعتقد ان المحدث لا بد له من محدث احدثه وهو صحيح
ثم اعتقد ان صانع العالم حكيم وهو صحيح ثم اعتقد ان
ايجاد الشرور والقبايح والاقذار والانتان سفه وهذا
خطا واعتقد انها لما كانت محدثة لا بد لها من محدث
سفيه يتولى تخليق هذه الاشيا فوقع في الباطل لنظره
في مقدمة بهواه دون عقله ولو تامل بعقله لعرف
ان ايجاد هذه الاشيا حكمة اذ القدرة على ايجاد
المتضادين من كمال القدرة وكذا فيه كمال الاستغنا
اذ فيه انه لا يخلق الاشياء لمنفعة نفسه وفيه كمال التعالي
اذ فيه انه لا يضره الاشيا وكذا فيه دلالة الوحدانية اذ

اذ فيه الاستقلال بالملك والتفرد بالصنع ونفي الشركة
ولو نظر في هذه الوجوه لم يقع في الباطل فثبت ان لا تناقض
في قضايا العقل وان النظر يكون مفضيا الى العلم فيما يدرك
بالعقل عند وجود شرطه ۝ والنوع الثالث الاخبار
الصادر عن الصدق وقد انكرت السوفسطائية والسمنية
والبراهمة كون الخبر من اسباب المعارف وقالوا الخبر
قد يكون صدقا وقد يكون كذبا فكان في نفسه مختلفا
ولا يدري الصدق من الكذب فلا يثبت به العلم
فيقال لهم قولكم ان الخبر ليس من اسباب المعارف خبر
منكم وقد اقررتم ببطلان الخبر فكان هذا اقرارا ببطلان
مقالتكم ولا يمكنهم ان يقولوا عرفناه بالحواس اذ يظهر
بطلان دعواهم عند المطالبة بتعيين تلك الحاسة
لانهم تكلموا بلغة من اللغات ومعرفة اللسان واللغة
ليست بالحس ولا بالعقل اذ لو فرض خليفة الله تعالى عاقلا
واذكاهم حسا لو سمع لغة لم تبلغه لا يعرف معناها وانما
يعرف

ذلك باخبار الملقن وكان نفس الكلام دليلا انهم عرفوا
بالخبر شيئا فيبطل انكارهم الخبر وقولهم ان الخبر يتنوع الى صدق
وكذب فنقول ما يحتمل الكذب لا يوجب العلم وانما يوجب
العلم ما لا يتصور كونه كذبا وهو خبر الرسل المعصومين
عن الكذب والباطل لقيام المعجزات على كونهم رسل الله تعالى
وكذا ما تواتر عنهم على الالسنة قوم لا يتصور منهم التواطي
على الكذب موجب للعلم

القول في انواع الحجج في انفسها

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله وبدا بالحجج
العقلية اذ العقل آلة لدرك سائر الحجج ذكر القاضي
ابو زيد رحمه الله في كتاب تحديد ادلة الشرع فقال
الحجج نوعان عقلية وشرعية وكل نوع قسمان موجبة
للعلم قطعا ومجوزة وهي ما جوزت اطلاق اسم العلم على
موجبها بغالب الراي ثم العقلية هي ما عرفت حججا بالاستدلال

بمجرد العقول كدلالة البنا على الباني وحدث العالم على
الصانع والشرعية ما لم تعرف حججا الا بوحي من الله تعالى
وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال وهذه جملة لا نعرف
فيها خلافا ثم ان كل من قال بحرمة الكفر والشرك واضافة
الولد الى الله تعالى قبل ورود الشرع فان العقل عندهم
حجة من حجج الله تعالى وتجب الاستدلال به قبل ورود
الشرع واحتجوا في ذلك بما اخبر الله تعالى عن ابرهيم
صلوات الله عليه انه قال لابيه وقومه اني اراك وقومك
في ضلال مبين ولم يقل اوحي الي فثبت ان العقل مما
يهدي الى الرشد ويدل وكذلك الله تعالى اخبر عن
ابرهيم عليه السلم انه استدل بالنجوم وعرف ربه
بها وكان حجة على قومه فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه وليس في الآية من باب الوحي ذكر وقال تعالى
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به الاية ولم يقل
ومن يدع مع الله الها اخر بعدما اوحي اليه او بعد ما بلغته

الدعوة ثبت أن العذر ينقطع بالعقل وحده ولو لم تكن به
كفاية لما انقطع به العذر ولأن الحجج السمعية لم تكن
حججا إلا باستناد إلى دليل عقلي فلا يقع الفرق بين المعجزة والمخرقة
وبين النبي والمتنبي إلا بنظر عن عقل ولأن المعجزة بعد الدعوة
لا تعرف إلا بدليل عقلي وآيات الحدث في العالم أدل على
الصانع من علامات المعجزة على أنها من الله تعالى فلما كان
بالعقل كفاية معرفة المعجزة والرسالة كان به معرفة الله
تعالى من طريق الأولى ولما ثبت أن بالعقل كفاية كان بنفسه
حجة في معرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
وقدمه ولزم العمل به فيما يدرك به كما يجب بالشرع وبسائر
الحجج إذا قامت ولأن الله تعالى نصب دلائل وحدانيته
وهستيته وإلهيته في أقسام العالم قبل ورود الشرع
فلا يتصور أن لا تكون آية على حدث العالم للمستدلين ولا حدث
العالم يتصور أن يكون دلالة على المحدث قال الله تعالى
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى

إلى قوله والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون
وقال أفلا تعقلون وقال أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض **فإن قيل** إن الله تعالى لم يدعنا والعقول
فلا معنى للاشتغال بشيء لم يبتل به قيل له إن الله تعالى لم يدعنا
والعقول حتى أرسل الرسل وأنزل الكتب رحمة منه أو نقول
حتى أرسل الرسل لبيان ما لا يدرك بالعقول من أنواع العبادات
والحدود أو لما كان أمر البعث والجزاء مما يشكل مع العقل
وحده إلا بجهد تام لما فيه حرج بعذر الإنسان بمثله ولا إيمان
بدونه فكان حقا على الله تعالى بعث الرسل لبيان
ما به تتمة الدين لا لنفس معرفة الخالق ونقول له أيضا
إن الله تعالى لم يدعنا ورسولا من أول الأمر إلى آخره والحجة
كانت قائمة بالواحد كما بقيت بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم
القيامة ولم يدل ذلك أن الأول لم يكن حجة كافية
وكذلك الله تعالى لم يدعنا والبيان بآية واحدة بل بآيات
متكررة ولا يدل أن الآية الواحدة لم تكن حجة كافية

وان قيل لو كان بالعقل كفاية لما اختلف العقلاء
قيل ان ذلك الاختلاف لاختلافهم في جهات الاستعمال
من ترك العمل بالعقل على وجهه وشرطه بهواه وهذا كما
اختلفوا بعد دعوة الرسل فالمقصر في اجتهاده لا ينال
الحقيقة وكذلك الغالي بتعديها وكما اختلفوا في معرفة
الرسل والعذر ينقطع بهم فان قيل ان الهوا غالب
في الانسان وطرق الدين خفية تحت غلبة الهوا ومنام
القلب بالغفلة عن دلائل العقل وفي تنبيهه عن نوم الغفلة
بلا شرع حرج عظيم اكثر مما يحرج الصبي العاقل
بسبب نقصان عقله لادراك ما يدركه البالغ من الخطاب
المسموع وقد اخبر الله تعالى ان لا حرج في الدين قيل له
وفيما ذكرت من غلبة الهوا ومنام القلب بالغفلة ضرب
تفصيل في ابلاء عذر لمن بلغ اشده وادرك غامضات امور
الدنيا برايه وهي لا تنال الا بجد تامل وحرج عظيم ولم يعرف
لنفسه خالقا وانه ينال ببداية العقول فانه لا يرى بناء الا

الا عرف له بانيا ولا نقشا الا عرف له ناقشا ولا صورة جماد
الا عرف له مصورا فكيف يعذر بعد رؤيته صورا حية في
جهلة بمصورها واذا لم يعذر ولا بد ان يقع له المعرفة
بفاعل الصورة فقد تنبه بعقله للنظر فيلزمه من النظر
ما يتم به المعرفة فاشبه تنبيهه ببديهة عقله التنبه بدعوة
النبي التي هي كلام نص على التنبه وكيف ينكر هذا والله تعالى
اخبر عن الكفرة ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وكذلك
لا ترى احدا من الكفار الا وهو يخبر عن الصانع وانما كفرهم
بوصفهم الله تعالى بما لا يليق به من الولد والشريك وبقولهم
يد الله مغلولة وقولهم ان الله فقير ونحن اغنيا وقولهم
انه على صورة البشر وقولهم نحن ابنا الله واحباؤه والعذر
بلا خلاف منقطع عن مثله او كان الكفر بانكارهم البعث
للجزا وكلامنا في نفس الجهل بالصانع عز ذكره وكيف يعذر
والجهل جا من قبل استخفافه بالحجة بعد ما لاحت له بلا تمثيل
كالبنا في الشاهد يدل على الباني بلا تمثيل في العقول اي بلا تردد

والاستخفاف بالحجة فوق الغفلة عن سكر يقع بالخمر وانه
لم يعذب به فهذا اولى والدليل عليه قوله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر ولم يذكر الوحي وقال اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله ولم يذكر الوحي بل عابهم على ترك التفكر
فدل ان التفكر في خلق السموات والارض وفي خلق نفسه
لازم قبل ورود الشرع ۞ فان قيل قوله تعالى خبرا
عن خزنة النار لاهلها اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
ولم يقولوا اولم تكونوا عقلا قيل له قولهم ذلك كلام توبيخ
على ما صنعوا فيكون باظهر الامور واعلاها وحجج الشرع
اظهر من حجج العقل فوبخهم بالاظهر وذلك لا يدل
على ان الاخر ليس بحجة فان قيل قوله تعالى ذلك ان لم
يك ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون وكذى قوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فيهما دلالة ان قطع
العذر يكون بالسمع لا بالعقل قيل تاويل قوله ذلك ان لم يك
ربك مهلك القرى هو عذاب الاستيصال في الدنيا الا ترى انه

انه ذكر القرى ولا قرى في الاخرة وعذاب الدنيا جزا على
تكذيب الرسل زجرا لمن بعدهم عن تكذيب الرسل لا جزا
على الكفر اذ جزا الكفر بالنار على التابيد في دار الجزا او تاويل
قوله وهم غافلون اي غفلة اهمال الحجة او غافلون بسبب
خفا وضوح الحجة مع وجود الحجة والذي معه غفلة غير
فاقد للحجة وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل اي لئلا تكون لهم حجة تقال لا حجة تقبل اي لئلا يكون
لهم الاحتجاج بان يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا والله اعلم
وقوله بظلم اي بظلم من الكفرة اي لم يهلكهم بظلمهم حتى ارسلنا
الرسل وظهر تعنتهم فكان اخبارا عن تاخير العذاب الى
حين بعث الرسل تفضلا منه ولو اهلكهم بظلم كفرهم
قبل ورود الرسل كان عدلا ۞ ومن الدليل على كون العقل
حجة قوله تعالى خبرا عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا في اصحاب السعير اخبروا انهم انما صاروا في
النار لتركهم الانتفاع بالسمع والعقل وفيه انهم لو انتفعوا

بالعقول في معرفة الصانع قبل ورود الشرع لم يصيروا
في النار بدليل دخول حرف او بين العقل والسمع تحقيقه
قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فكان
فيه دليل ان ترك الاستدلال بدليل العقل لمعرفة
الخالق عز اسمه موجب للنار كترك السمع ولان دعا جميع
الكفرة الى دين الاسلام واجب على الامة ومعلوم ان
الدهرية خذلهم الله يعتقدون قدم العالم وتعطيل
الصانع ومن هذا شانه لا يناظر بدليل النقل لانه لا يثبت
المرسل فكيف يحتج عليهم بالرسول والتنزيل فلم يبق الا
حجج العقول فثبت ان العقل حجة من حجج الله تعالى ولذلك
تصدى اهل الحق لالزامهم حدوث العالم وثبوت الصانع
ووحدانيته وقدمه بادلة العقول ولذلك سمي ابرهيم
صلوات الله عليه ابا الحجة لكثرة محاجته مع قومه
بحجج العقل وكذلك سائر الرسل حاجوا قومهم بدلايل حدث
العالم وثبوت الصانع ووحدانيته على ما اخبر الله تعالى بقوله

بقوله قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض الاية

القول في ايمان المقلد

قال الشيخ الامام العالم نجم الدين ايده الله تعالى قال الشيخ
الامام ابو المعين النسفي في اصوله ان الايمان هو التصديق
على قول ابي حنيفة قدس الله روحه كذا ذكره في كتاب العالم
والمتعلم من املائه وهو اختيار امام الهدى ابي منصور
الماتريدي واليه ذهب عامة المتكلمين وهو على التحقيق
التحصيل تصديق محمد صلوات الله عليه بما جاء به من عند
الله تعالى اذ في هذه الجملة تصديق جميع ما يجب الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وجميع
ما يجب الايمان على التفصيل وكذا في كل رسول مع
امته وذكر الامام ابو الحسن علي بن محمد الرستغفني في كتابه
المسمى ببيان مذهب اهل السنة والجماعة فقال ان الايمان
هو التصديق والاعتقاد دون سائر العبادات لان الله

كتاب العالم والمتعلم لابي حنيفة رحمه الله

تعالى سمى من صدق بما جاء عنه مؤمنا بقوله آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الآية وهذا عبارة عن الاعتقاد دون غيره
من الافعال ثم امرهم بعد صحة الاعتقاد ان يشهدوا لانفسهم
بالايمان والاسلام من غير استثناء بقوله تعالى قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومدح من يشهد
بذلك لنفسه بقوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي
للايمان ان آمنوا بربكم واخبر تعالى انهم يصيرون مؤمنين
بهذا بقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
ثم قال ابو الحسن رحمه الله وهذا كله راجع الى التصديق
دون غيره من الافعال وروى بن زياد عن ابي حنيفة
رحمه الله انه قال الايمان قول والعمل موظف عليه قال
القاضي ابو العلا صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد من النبيه معنى

معنى قوله الايمان قول يريد به في احكام الدنيا ولذلك
نسمي الناس مؤمنين بما يظهر لنا من اقرارهم ثم قال وما روي
عن ائمتنا الايمان اقرار وتصديق فقد عنوا بذلك في نفع
الايمان في حق الآخرة وقال سيف الحق رحمه الله في اصوله
ان من وجد منه الايمان عند رؤية البأس او عند معاينة
العذاب او في الآخرة لا يكون ذلك ايمانا نافعا يعني
لا ينال ثواب الايمان ولا تندفع عنه عقوبة الكفر
ثم تكلموا في المعنى الذي به زال عنه نفع الايمان ذكر ابو منصور
الماتريدي في تأويل قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل فقال لان ذلك
الوقت وقت نزول العذاب فلا يقدر ان يستدل فيه
بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم
قال سيف الحق رحمه الله فعلى هذا لا بد من ان يكون التصديق
مبنيا على الدليل لينال الثواب بتحمل المشقة بالاستدلال
ودفع الشبهة المعترضة بادمان النظر واتعاب الفكرة

للتمييز بين الشبهة والحجة فاذا تحمل ذلك في ذات الله تعالى
وابتغاء مرضاته نال الثواب الموعود على الايمان واذا جعل
همته الوصول الى اللذات الحاضرة ثم آمن بلا تحمل مشقة
وكلفة فلا ثواب له ولا ينال نفع الايمان كالذي آمن عند
معاينة الباس لانعدام الاستدلال من قبله ثم قال
سيف الحق رحمه الله ولا فرق بين حصول الايمان بعد
التامل في اجرام العالم فاعتقد حدوثها وثبوت صا
نعها وثبوت صفاته ورسالته وبين حصوله بالتامل في
اعلام الرسل ومعجزاتهم فينال ثواب الايمان عقيب التامل
في معجزاتهم وان لم يتامل في اجرام العالم وقيل انما
زال ثواب الايمان عمن آمن عند نزول العذاب لانه انما
دفع العذاب لا ايمان طلب القرب فلم يكن معتبرا
لانه كان محمولا على الايمان عند نزول العذاب به او لانه
عند تعلق العذاب الدنيوي وهو مقدمة لعذاب
الآخرة اذ يموت بعذاب الدنيا فينتقل الى عذاب الآخرة فلا

فقد خرجت نفسه من بدنه وشيء من هذه المعاني لم يوجد
في حق المقلد اذ ايمانه كان تقربا الى الله تعالى وطلبا
لمرضاته لا لدفع عذاب متوجه اليه فيكون متشبثا
بالايمان وكذلك لم يكن ملجأ الى ايمانه مضطرا لانعدام
سببه وهو معاينة العذاب وكذلك كانت نفسه
في بدنه لم تخرج منها وقد حصل منه الايمان والله تعالى
وعد الثواب على الايمان والثواب ينال بفضل الله تعالى
ووعده والمقلد آمن بالله وبما جاء عنه نبينا وله مطلق
الوعد قال الامام سيف الحق ابو المعين ثم المذهب
ان المقلد الذي لا دليل معه مؤمن وحكم الاسلام له لازم
وهو مطيع لله تعالى باعتقاده وسائر طاعاته وان كان
عاصيا بترك النظر والاستدلال وحكمه حكم غيره
من فساق اهل الملة من جواز مغفرته او تعذيبه بقدر
ذنبه وعاقبة امره الجنة لا محالة وهذا القول يحكى
عن ابي حنيفة والثوري ومالك والاوزاعي والشافعي

وأحمد بن حنبل وأهل الظاهر ومن المتكلمين عن عبد الله
بن سعيد القطان والحارث بن أسد وعبد العزيز بن يحيى
المكي وتلخيص مذهب أبي حنيفة وأصحابه على ما بينت فصار
هذا قول عامة الفقهاء ومتكلمي أهل السنة قال سيف الحق
وذهب أكثر المتكلمين إلى أنه لا بد لثبوت الإيمان وكونه
نافعا من دليل يبني عليه اعتقاده غير أن أبا الحسن الرستغفني
صاحب الإمام أبي منصور الماتريدي قال إذا بنى اعتقاده
على قول الرسول وعرف أنه رسول وأنه ظهرت على يده
المعجزات ثم قبل منه القول في حدث العالم وثبوت
الصانع ووحدانيته من غير أن عرف صحة كل من ذلك
بدليل عقلي كان كافيا وبعض أهل الحديث اكتفوا بذلك الدليل
المقترن بالتصديق أن يكون إجماعا والمشهور عن أبي الحسن
الأشعري أنه قال لا يكون إجماعا مؤمنا ما لم يعتقد كل
مسألة من مسائل الأصول عن دليل عقلي وأنه لم يجعل قول
الرسول دليل حدوث العالم وثبوت الصانع قال لأن قول الرسول

الرسول لا يكون حجة ما لم تثبت رسالته ولا وجه إلى القول
برسالته إلا بعد معرفة مرسله ولن يتهيأ معرفة مرسله
إلا بعد ثبوت المعرفة بحدث العالم فجعل الأشعري
صحة معرفة قول الرسول مترتبة على معرفة حدث
العالم كذا ذكره أبو المعين عنه في أصوله فتتعطل على قول
الأشعري فائدة الرسالة والمعجزة جميعا إذ الرسالة
جعلها الله تعالى فيمن اختاره من بريته لدعوة عباده
إلى توحيده وإثبات حدث ما سواه أولا ثم إلى عبادته وجعل
المعجزة آية لرسوله ليعلموا أن ما يقوله حق وصدق ومعلوم
بالكتب السماوية على ما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من
رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وكذلك
الأخبار تواترت أن الرسل عليهم السلام أول ما دعوا
الخلق إلى توحيد الله تعالى وخلع الأنداد فإذا لم يكن قولهم
حجة في إثبات حدث العالم ووحدانية صانعه على قول
هذا القائل وأتباعه مع شهادة المعجزات الخارجة عن

عن وسع الخلايق على ثبوت رسالتهم وعصمتهم عن الباطل
فقد تعطلت فائدة الرسالة والمعجزة وكل معقول يؤدي
الى البطلان فائدة حجة من حجج الله تعالى فهو باطل اذ العقل
الصحيح حجة من حجج الله تعالى وحجج الله تعالى تتعاضد ولا تتضاد
واما المعتزلة فقد قال عامتهم في هذا المعتقد لا عن دليل
انه ليس بمؤمن وقال ـــــ ابو هاشم منهم انه كافر
كذا حكى عنهم عبد القاهر البغدادي ذكره النسفي في اصوله
ثم عند جميع المعتزلة انما يحكم بايمانه اذا عرف ما يجب
اعتقاده بالدليل على وجه تمكنه مجادلة الخصوم وحل
جميع ما يورد عليه من الاشكال حتى انه لو عجز عن شيء
من ذلك لم يحكم باسلامه قالوا لان الرأي المبني على ما تصور
عند التأمل انه دليل لن يكون علما ما لم يقدر على دفع
الشبه المعترضة على الدليل بل يكون ظنا اذ العلم انما
يمتاز من الظن بالقدرة على دفع ما يوجب ضد هذا الرأي
ويكذبه فان ثبتت القدرة على دفعه كان ذلك علما وان لم يثبت كان

كان ظنا وبهذا تمتاز المسائل الاعتقادية عن المسائل الاجتهادية
ويجري التضليل على من خالف في المسائل الاعتقادية دون
الاجتهادية وبهما يمتاز الحق عن الباطل لان الحق ما غلبت
حجته واظهرت اسباب التمويه في غيره قال النسفي رحمه الله
هذا هو زبدة كلام المعتزلة واما الذين شرطوا لكون
الايمان نافعا اقتران الدليل به غير ان ذلك الدليل قد يكون
كلام الرسول الذي عرف المعتقد قيام المعجزات على يديه
فيثبت له العلم بخبره بجميع ما يجب اعتقاده من حدوث
العالم وثبوت الصانع وغير ذلك اذ خبر من تأيد بالمعجزة
من اسباب العلم فكان اعتقاده مبنيا على الدليل الموجب
للعلم فانهم يقولون ما ورد الرسل عليهم السلام به من الشرعيات
فهو على نوعين احدهما ما يوقف عليه بالعقول ويتوصل
اليه بالتأمل كمعرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
واتصافه بصفات الكمال وتبريه عن سمات النقص وثبوت
النبوات واشباه ذلك والنوع الثاني ما ليس في العقول

امكان الوقوف عليه ككيفية العبادات وشروط
جوازها واوقات ادائها وتقدير الحدود والكفارات
واشباه ذلك وطبقات الناس اقسام ثلثة الاول فرقة
موصوفة برجاحة العقول موسومة بجودة الخواطر
وحدة الاذهان وهي المتفرغة للتامل والتفكر والبحث
عن الحقايق سمت بهم هممهم الى استخراج ودايع العقول
وخزاين الافهام يرومون الوقوف على ما به الفوز لهم بالسعادة
الابدية والوصول الى مرضاة خالق البرية جل وعلا والقسم
الثاني ايضا فرقة موصوفة برجاحة العقول وجودة الخواطر
لكنها مشتغلة باكتساب اسباب المعاش معرضة عن
التامل في المعالم النظرية راضية لنفسها بدرجات البهايم
لاقتصار همتها على استجلاب اللذات الحاضرة مقبلة على
تكثير الاموال بانواع التجارات وصنوف الزراعات
والثالث موصوف بغلظ الافهام وبلادة الخواطر ثم ان الله
تعالى ترحم على الناس كافة ببعث الرسل وبيان ما يحتاجون

اليه في الدارين فكانت رحمته تعالى في حق القسم الذي
لا يوقف عليه بالعقول باثبات طريق الوصول في حق
طبقات الناس كلهم ورحمته وتفضله في حق القسم الذي
يوقف عليه بالعقول في حق الموصوفين بكمال العقول
المتفرغين للبحث عن الحقايق تسهيل الوصول والتنبيه
لكيفية الاستدلال وفي حق الموصوفين بالبلادة باثبات
طريق الوصول وكذا في حق المعرضين عن طلب الحقايق
باكتساب الاموال فمن ثبتت من هولاء في حقه معجزة الرسول
بالمشاهدة او بالنقل المتواتر الذي يضاهي المتصل بالمشاهدة
كان قول الرسول في حقه طريق الوصول الى ثبوته عنده
وان لم يوجد منه الاستدلال العقلي لجعل الله تعالى
ذلك الطريق في حقه كجعله دلايل العقول سبيل
الوصول في حق غيرهم رحمة منه على هولاء الضعفة
تخفيفا للمؤنة عنهم وان كان في الجملة في اصل عقولهم
امكان الوقوف على ذلك فمن لم يرض بهذا وشرط الاستدلال

العقلي معه فقد عارض الله تعالى في حكمته ونازعه فيما
أنعم به على الضعفة من عباده من آثار رحمته والدليل
على أن الله تعالى جعل قول الرسول في حق هؤلاء طريق الوصول
إلى اعتقاد الصواب وأن لم يوجد منهم الاستدلال
العقلي صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم وصنيع الخلفاء
الراشدين بعده وصنيع جميع أئمة المسلمين وسلاطينهم
إلى يومنا هذا أما صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه
بعث في الأمة الأمية الخالية عن صناعة الاستدلال
والعلم بشرائطه كانوا يعبدون ما ينحتون ويعتقدون إن
أن ما نعبده قبيلته من الصنم المنحوت من الصخر والخشب
شريك لله تعالى وكانوا يتعجبون من تجريد التوحيد
وخلع الأنداد ويقولون للرسول أجعل الآلهة إلها
واحدا إن هذا لشيء عجاب وكانوا يرون بعث الله من البشر
رسولا مستحيلا على ما أخبر الله تعالى عنهم قالوا أبعث الله
بشرا رسولا وكانوا يرون البعث والنشور ممتنعا حتى قالوا من

من يحيي العظام وهي رميم ثم إن واحدا منهم إذا عاين معجزة
ناقضة للعادة أو سمع القرآن وعرف وجه إعجازه لمعرفته
بجواهر الكلام وصنوف البلاغة وضروب النظم
ثم رأى القرآن باين كلا في النظم وفاق جميعها في الفصاحة
والبلاغة فاعترف برسالته وأقر لإخباره بوحدانية
الله تعالى وخلع الأنداد وأعرض عما كان يعتقده من
الوهية للأوثان والأصنام وآمن بالبعث لمن في القبور
من غير استمداد زمان يتمكن فيه من إجالة الروية والرجوع
إلى قضية العقل الدليل بل في أسرع من لمح البصر كان
الرسول صلى الله عليه وسلم يعده مؤمنا موقنا ولا يشتغل
بتعليمه من الدلائل العقلية في كل مسألة من المسائل الاعتقادية
مقدار ما يصير به مستدلا ولا مقدار ما يناظر الخصوم
ويذب عن حريم الدين ويقدر حل ما يرد عليه من الإشكالات
ولا بتعليم كيفية تركيب القياسات العقلية وطريق الإلزام
والالتزام وكذا الخلفاء الراشدون فإن الصديق رضي الله عنه

قبل ايمان من آمن من أهل الردة من غير اشتغال بتعليمه اياهم
من الدلائل ما يصيرون به مستبصرين من طريق العقل
وكذى عمر رضي الله عنه لما فتح سواد العراق قبل هو وعماله
ايمان من كان بها من الزط والانباط مع قلة اذهانهم
وبلادة افهامهم وتزجية عمرهم في الفلاحة وعمارات
الاراضي وكري الانهار وكذى قبلوا ايمان غيرهم من اهل
القرى والرساتيق من المجوس وغيرهم مع معرفتهم بخلوهم
عن صناعة الاستدلال لما انهم راوهم قد صدقوا رسولهم
بعد ما بلغهم بطريق التواتر ظهور المعجزات على يده ولو لم يكن
ذلك ايمانا لفقد شرطه وهو الاستدلال العقلي لاشتغلوا
باحد امرين اما بالاعراض عن قبول اسلامهم فحكموا ببقائهم
على ما كانوا عليه من الكفر وضربوا الجزية على جماجمهم
والخراج على اراضيهم وعاملوهم بمعاملة اهل الذمة واما
نصب متكلم حاذق بصير بالادلة عالم بكيفية المحاجة
ليعلمهم جميعا صناعة الكلام الى ان يبلغوا في العلم مرتبته ثم

ثم بعد ذلك يحكمون عليهم بالايمان وعند امتناعهم وامتناع
كل من الائمة في البلاد اجمع الى زماننا هذا عن ذلك ظهر
ان ما ذهب اليه الخصوم خلاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخلفائه وصحابته وجميع المسلمين وما هذا سبيله
فهو باطل يحقق هذا ان هذا الصنيع من الرسول صلى الله
عليه وسلم وخلفائه وائمة امته على راي الخصوم داخل
في حيز السفه ويفيت على الرسول صلى الله عليه وسلم
مهمة التكليف بتعليم بقاية علم الاصول لمن بلغ اليه
الرسالة فاذا فارق الدنيا ولم يفعل ذلك وحكم
بايمانهم كان مخطئا في الحكم بايمانهم مقصرا في اداء
امر تبليغه الى الناس غير مبلغ ما وجب عليه تبليغه
على قول الخصوم وكل قول هذا عقباه ففساده
مما لا يخفى على المجانين فضلا عن العقلاء وكذى قولهم
ان قول الرسول لا يصلح دليلا لثبوت الصانع وحدوث
العالم يفضي الى هذه المعاني المستحيلة وكل معقول

يؤدي الى هذا فهو باطل ۞ واما عامة اهل السنة والجماعة
من الفقهاء والمتكلمين فانهم قالوا ان هذا الرجل مأمور
بالايمان وقد آمن اذ الايمان هو التصديق وقد وجد
منه التصديق فنال الثواب الموعود اذ الثواب ينال
بفضل الله تعالى ووعده فيناله من وعد له سواء
لحقته المشقة او لم تلحقه قال الله تعالى سابقوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماء والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقول المعتزلة ان هذا التصديق ليس بايمان
لان ادخال النفس في الامان من ان يكون مكذوبا
او مخدوعا او ملبسا عليه لم يوجد هذا منهم قول
باطل لان الايمان في اللغة عبارة عن التصديق من غير
ان يكون ماخوذا من الامان يقال آمن به وآمن له
اي صدقه وان واحدا من عرض الناس لو اخبر بخبر
يحتمل فصدقه من لا عهد له به لم يمتنع احد من اهل اللغة ان

ان يقول آمن له وان لم يعرف دليل صحته ولم يدخل نفسه
في الامان بل يطلقون ذلك لوجود نفس التصديق بتوثيقه اياه
يدل عليه انه يقال امنت لفلان او امنت به ولو كان
هذا ادخال النفس في الامان لكان يتعلق بنفس السامع
لانه ادخل نفسه في الامان لا المخبر فينبغي ان يقول امنت
نفسي لا ان يقول امنت بفلان فاذا قيل امنت به دل انه
عبارة عن التصديق قال ـــــ سيف الحق ابو المعين
في اصوله ثم هذه المسئلة بيننا وبين الاشعري في حق
من نشا في قطر من الاقطار النائية او شاهق جبل لم تبلغه
الدعوة ولا علم له بثبوت الملة فشاهده مسلم فدعاه
الى الدين وبين له ما يجب اعتقاده واخبره ان رسولا لنا بلغ
هذا الدين عن الله تعالى ودعانا اليه وقد ظهرت على يده
المعجزات الناقضات للعادات فصدقه هذا الانسان
في جميع ذلك واعتقد الدين من غير سابقة تامل وتفكر
هذا هو الذي اختلفوا فيه ۞ فاما اهل دار الاسلام

عوامهم وخواصهم نسوانهم وصبيانهم العاقلون أهل الأمصار
والرساتيق والقرى وسكان الصحاري والبراري فكلهم
مؤمنون مسلمون عارفون بالله تعالى ووحدانيته وغير
ذلك لن يخلوا احد منهم عن ضرب استدلال وان كان
لا يهتدي الى العبارة عن دليله ولا يقدر على دفع الشبه
المعترضة حتى ان واحدا منهم متى عاين هولا من الاهوال
كرعد هايل او هبوب ريح عاصفة او ظلمة راكدة يسبح
للحال ويصف الله تعالى بكمال القدرة ونفاذ المشية
وتمام العلم والحكمة علما منه ان لا تعلق لهذه الافزاع
الا بقدرته التامة ومشيته النافذة وهو الذي خلق
السموات والارض بلا عمد ممدودة واطناب مشدودة
وجعل فيها الافلاك الدايرة والنجوم السايرة وخلق
الارض وجعل فيها الجبال الراسية وشق فيها الانهار
الجارية على هذا جميع أهل الاسواق والنواحي والقرى
والرساتيق والنسوان والعقلاء من الصبيان فلم يكن ثنا

بيننا وبين الاشعري في هولاء خلاف وانما الخلاف بيننا
وبين المعتزلة على ما تقدم بيانه

بلغ

القول في أنواع الحجج الشرعية الموجبة

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله ذكر القاضي
ابو زيد رحمه الله في كتاب تحديد ادلة الشرع الموجبة للعلم
اربع كتاب الله تعالى وخبر رسوله المسموع منه والمروي
بالتواتر عنه والاجماع وطريق ذلك كله واحد وهو خبر
الرسول صلى الله عليه وسلم لانا لم نعرف الكتاب كتاب الله تعالى
الا بخبر الرسول وكذلك الاجماع ما ثبت حجة قاطعة
الا بالكتاب والسنة والمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالتواتر كالمسموع منه على ما يأتيك كل قسم في بابه فثبت ان
مدار الكل على خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وخبر الرسول
صدق وحق لدلالة قامت على ان رسول الله لا يكون رسولا
حتى يكون معصوما عن الكذب وتلك الدلالة هي قيام المعجزة

الخارجة عن وسع الخلائق شاهدة على صدق مدعي الرسالة اذ الله
تعالى قادر حكيم فلا يقيم تلك الدلالة على يدي الكاذب
في دعوى الرسالة وبيان ذلك انا نعلم ان الله تعالى سامع
لما يقوله هذا المدعي فاذا ادعى الرسالة وقال ان الله تعالى
ارسلني وآية صدقي في دعوى الرسالة ان الله تعالى يفعل
كذا وذكر ما يخرج عن قدرة الخلق في العادات ففعل الله
تعالى ذلك كان ذلك من الله تعالى تصديقا فيما يدعي
من الرسالة بما فعل من الناقض للعادة فيكون ذلك كقوله
صدقت انت رسولي وذلك يوجب العلم قطعا ويقينا
ثم ظهور مثل ذلك على يدي الكاذب في دعوى الرسالة
ممتنع قال سيف الحق ابو المعين في اصوله
ان وجه امتناع ذلك عند جماعة من ائمتنا هو ان قول
المدعي خبر يحتمل الصدق والكذب والنبي والمتنبي في الجوهر
واحد ولا دليل يفرق بينهما الا المعجزة الناقضة للعادة
فلو جاز ظهورها على يدي الكاذب في دعوى الرسالة لكان

لكان فيه التسوية بين الصادق والكاذب والحق والباطل
وسد لطريق الوصول الى الحق وذا سفه خارج عن الحكمة
والله تعالى حكيم يتعالى عن السفه ولهذا المعنى لم يمتنع ظهور
الناقض للعادة على يدي مدعي الربوبية كفرعون في دعوى
الالوهية لنفسه والسامري في دعوى الوهية العجل
لظهور دلائل كذبه في ذلك لما في جوهره من التأليف والتركيب
والتغيير وظهور وجوده بعد ان لم يكن وتقدم غيره على
وجوده فلم يكن في ظهوره سد لطريق الوصول الى الحق
وليس فيه ايجاب التسوية بين الحق والباطل بخلاف المتنبي
فان قوله خبر وهو محتمل وليس في شخصه وجوهره ما يدل
على كذبه في دعوى الرسالة فلا فرق بينه وبين الصادق
الا ظهور المعجزة فلذلك امتنع ظهورها على يدي الكاذب
فهذه هي الدلالة على ان رسول الله لا يكون رسولا حتى يكون
معصوما عن الكذب واكثر المحققين على هذا القول
وذهب بعض متكلمي اهل الحديث وغيرهم الى ان جهة

امتناع ظهور المعجزة على يدي المتنبي ان ظهورها على يده يوجب
تعجيز الباري عن اقامة الدلالة على صدق الصادق في دعوى
الرسالة واثبات التفرقة بين الحق والباطل اذ كلما جاز ظهور
الناقض للعادة على يدي النبي جاز مثله على يدي المتنبي وذا يؤدي
الى تعجيز الباري وتعجيز الباري تعالى محال واذ قد ثبت هذا
نحتاج الى بيان تحديد الحجج المذكورة فاول ذلك

القول في بيان حد الكتاب

وكونه حجة ه

قال الشيخ الامام نجم الملة والدين ايده الله قال القاضي ابو زيد
رحمه الله كتاب الله تعالى ما نقل الينا بين دفتي المصاحف على
الاحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا لان ما دون المتواتر
من الاخبار لا يبلغ مرتبة العيان على ما يذكر في تحديد المتواتر
فلا يوجب الايقان وكتاب الله تعالى ما علم يقينا واوجب
علم اليقين لانه اصل الدين وبه ثبتت الرسالة وقامت الحجة على

على الضلالة قال ـــــ الشيخ الامام نجم الدين ايده الله
وفي قوله انه اصل الدين وبه ثبتت الرسالة وجهان احدهما
ما ذكر علماء الاصول ان القرآن متضمن نصا وابتداء للشريعة
باصولها وفروعها والثاني انه معجز للخلائق بنظمه الخارج
عن جميع اقسام كلام الخلق اذ كلام البشر اقسام منها
الشعر والسجع والخطب والنثر والرسايل فاذا عورض القرآن
بساير اقسام كلام البشر كان نظم القرآن خارجا عن جميع الانواع
وفاق جميعها في الفصاحة والبلاغة فاذا كان خارجا عن انواع
كلام الخلق دل انه كلام الخالق جعله معجزة لاثبات
رسالة محمد صلوات الله عليه وسلامه ولان الكلام
عند الخلق من اسهل الاشياء عليهم حتى لو ان واحدا في وقت
جواز الرسالة ادعى انه رسول من عند صانع العالم وقال
ان آية صدقي في دعوى الرسالة انكم لا تستطيعون ان
ترفعوا ايديكم لتمسوا بها رؤوسكم فارادوا ان يرفعوا ايديهم
ليمسوا بها رؤوسهم فلم يستطيعوا لكان ذلك آية واضحة

والكلفة في رفع الأيدي فوق الكلفة في التكلم وقد تحداهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكلم بمثل سورة
مما أتى فعجزوا عن ذلك فكان عجزهم عن ذلك فوق
كل عجز في معارضة سائر آيات الرسل لكنه آية
ومعجزة عقلية يدرك كونها معجزة بالتأمل والنظر
بالعقول ۞ ثم فيه آيات على إثبات رسالة نبينا محمد
صلوات الله عليه من وجوه كثيرة منها أن فيه قصة
آدم صلوات الله عليه من مبدأ وجوده إلى أن أهبط هو
وزوجته من الجنة وهي آية لرسالة نبينا صلوات الله
عليه لأنه ولد من قوم أميين لا يعرفون الكتب والرسل
ولا يؤمنون بهما ولم يختلف إلى معلم من البشر ومكث بين
ظهراني قومه ولم يفارق عشيرته ولم يكن يحسن أن
يقرأ كتابا ولا خط بيمينه وهذه القصة كانت في الكتب
السماوية وهي عند أهل الكتاب بغير لسانه وهو لا يعرف
لسان تلك الكتب ولم يتعلم منهم فأخبر بالقصة على وجهها

بما فيهما من الكلية والجزوية حتى بالشجرة التي امتحنا
بها وحتى بقوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
على وجه لم يقدم أهل الكتاب على رد شيء منها فكان
دلالة ظاهرة على أنه علم تلك بالله تعالى بالوحي السماوي
وهكذى ذكر قصة نوح عليه السلام ومدة لبثه في قومه
وهلاك قومه بالتكذيب والعناد بما تضمنت من الكلية
والجزوية وكذا كل قصة ذكرت فيه من قصص الأنبياء
المتقدمة والأمم السالفة والكتب المنزلة فهي آية
على رسالته ومنها ما تضمن القرآن من الأخبار عما سيوجد
في زمن رسالته كأخباره عن غلبة الروم فارس في بضع
سنين وكأخباره بقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وأخباره بفتح مكة وما تضمن من الأخبار بالفتوحات
واستخلاف الذين آمنوا به بعد وفاته وظهور دينه
فتحقق كل ذلك على ما أخبر وأما وجه تضمنه الشريعة
فإن سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم لم تكن

منضمنة لشرايعهم بل كانت مقصورة على كونها ايات على انباء
رسالاتهم والقران مع كونه معجزة اعجز الانس والجن عن اتيان
مثل سورة منه هو متضمن لاصول الدين من التوحيد
والايمان والمعرفة والشرايع والاحكام والحدود واحكام
سائر ما يقع ويحدث من الحوادث الى يوم القيامة
ابدا ابدا وهذه الوجوه من كتاب التاويلات لامام الهدى
ابي منصور وكتاب تحديد ادلة الشرع

فان قيل ان كون كتاب الله تعالى معجزا بالنظم
دليل على انه من الله تعالى فلم شرطتم النقل المتواتر فقد
اجاب ابو زيد رحمه الله عن هذا فقال ان كل اية منه
ليست بمعجزة يعني لم يقع التحدي بكل اية منه بل بسورة
منه واذا لم يقع التحدي بكل اية منه لما قد تكون بعض الاي
قصيرة وهي حجة قطعا فلا يثبت كونها من الكتاب
الا بالسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم او بنقل عنه
بالتواتر **فان قيل** فاذا الدليل على ان القران النقل المتواتر

المتواتر لا دفات المصاحف اجاب عنه ابو زيد رحمه الله
فقال ان الصحابة رضي الله عنهم ضموا المصاحف الى القلوب
مبالغة في حفظ القرآن فاثبتوه في المصاحف بعد
القلوب ليصونوه عن النقصان والزيادة حتى كرهوا التعاشير
وامروا بالتجريد فاثبتوا فيها ما تواتر اليهم نقله واطبق
عليه اهله وشهدت به نسخة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونظمه واما الكلام في ان القرآن حجة فلانه كلام
الله تعالى وقد ثبت ان الله تعالى لا يتكلم بالباطل
لانه عالم فلا يجوز عليه الجهل وحكيم فلا يجوز عليه السفه
وصادق فلا يجوز عليه الكذب

القول في تحديد المتواتر وكونه حجة

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله قال
ابو زيد رحمه الله في كتاب تحديد ادلة الشرع
اختلفت العبارات في حد المتواتر والمختار عندنا ما تواتر

نقله أي اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتتابع النقل يقال تواترت الكتب أي اتصل بعضها
ببعض بتتابع الورود ولا تثبت حقيقة الاتصال حتى
ترتفع شبهة الانفصال وهو أن يتصل بك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتصالا لا يبقى لك فيه شبهة كأنك
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها وذلك
بأن ينقله إليك قوم لا يتوهم في العادات منهم التواطي
على الكذب لكثرتهم وتباين أماكنهم عن قوم مثلهم
حتى يكون أوله كآخره وأوسطه كطرفيه وحكمه
أن يوجب العلم يقينا كما يكون بالسماع كذا ذكره
أبو زيد رحمه الله وذكر بعض المشائخ في أصوله في حد
المتواتر أنه كعدد نقلة القرآن والصلوات الخمس
وغسل الجنابة وهذا في معنى الحد الأول وذكر أبو زيد
رحمه الله في فصل أقسام الصحيح من الأخبار عقيب
ذكره حد المتواتر فقال وحكمه أنه يوجب العلم يقينا

وذكر فيمن زعم أن المتواتر لا يوجب العلم يقينا بأنه يكون
قد زعم أنه لم يعرف رسولا من الرسل ولا عرف كتاب الله
تعالى ولا عرف اباه ولا امه قال لأنه ما يوصل إلى علمهم إلا
بالخبر ثم قال ومن قال هذا فقد أبطل دينه قبل كل شيء
ثم أبطل عقله لأنا إذا رجعنا إلى قلوبنا التي هي معدن
المعرفة وجدناها عارفة بالآباء والأمهات عن خبر متواتر
مثل معرفتنا بالبنين والبنات عن عيان ووجدناها
نعرف أنهم مولودون عن أصول كما نعرف أنهم يلدون
فروعا ونعرف كل مسلم جهة مكة بالخبر المتواتر كما يعرف
جهة بيته بالعيان وهذا كما عرفنا الله تعالى بحدثنا للعالم
بالاستدلال كما نعرف أولادنا حادثة بالعيان فيصير
إنكاره بعد ثبوت حد المعرفة على الحقيقة كمن
أنكر العيان ولأن الله تعالى خلق الخلق أطوارا على همم
شتى وطبائع متباينة فصارت بحكم الجبلة عللا باعثة
على حسب اختلافها فلا يصدر منهم فعل أو قول على سنن

واحد بل يكون الحدوث على اختلاف بحسب هممهم وهوا
نفوسهم لأن الحوادث عن علل مختلفة لا بد أن تكون
مختلفة فلما أخبر واحد وأخبر واحد علم أن الأخبار لم يكن
من قبل اختراعهم بل عن أصل جمعهم على ذلك وذلك سماع
اتبعوه أو اتفاق صنعوه فلو كان اتفاقا صنعوه
لم يتصور انكتام ذلك التواطي مع اختلاف هممهم
وكثرة عددهم وبعد أمكنتهم في العادات الجارية
بين الخلق فلما لم يظهر التواطي انقطع توهم الاتفاق
وإذا انقطع وهم الاتفاق تواضعا تحقق السماع ولأن
انكتام التواطي من جماعة كثيرة نادر خارج عن العادات
فلا يتوهم كتمان الاتفاق بعد مرور الزمان من جمع
عظيم ولأن الإنسان قد يتعذر عليه كتمان سره في نفسه
فيفشيه إلى صديق له ثم يفشو عنه صديق صديقه فيفشيه
إلى ثالث فيصير السر فاشيا فلا يتوهم المواضعة من الجمع
على انسداد المدة وفي الجمع المؤمنون والمنافقون والجواسيس

لأهل الكفر فبطل توهم الاتفاق تواضعا لعدم تصور
الانكتام في العادات فصار المتواتر موجبا للعلم كالآية الناقضة
للعادات حيث صارت حجة موجبة للعلم لخروجها
عن وسع الخلق على نقض العادة ولهذا قال العلماء أن من جحد
ما ثبت بالسنة المتواترة يصير كافرا كما لو رد على النبي صلى
الله عليه وسلم مواجهة وذكر أبو المعين النسفي في
أصوله بأن لزوم المعجزات للخلق بالخبر المتواتر كلزومها
إياهم بالمشاهدة فقال أن المعجزات الناقضات للعادات
كخروج الناقة من الصخر لصالح عليه السلم وصيرورة النار
بردا وسلاما لإبراهيم عليه السلام وقلب العصا حية
لحما ودما تلقف حبال السحرة وعصيهم لموسى عليه
السلم وتسخير الريح والجن والشياطين لسليمان عليه
السلم وتسبيح الجبال وإلانة الحديد من غير آلة ومباشرة
النار لداود عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى عليه السلم
وحنين الأسطوانة وشكاية الناقة وكلام الشاة المشوية

وانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع لنبينا محمد صلوات
الله عليه ايات على ثبوت رسالتهم ويثبت ذلك لاهل زمانهم
بالمشاهدة ولمن بعدهم بالخبر المتواتر الذي يوجب
العلم قطعا ويقينا كما يثبت العلم بالبلدان النائية كمكة
والمدينة ومصر عن الخبر المتواتر مثل ما يحصل العلم بها
لمن راها عيانا وكذى ثبت العلم بالملوك الماضين كسليمان
وذي القرنين والقياصرة والاكاسرة عن الخبر يقينا كما ثبت
العلم بهم لمن راهم عيانا فكذلك يثبت العلم بمعجزات
الانبيا صلوات الله عليهم عن الخبر يقينا كما ثبت العلم
بها لمن شاهدها عيانا والله الموفق

القول في التفرقة بين الحجة و الشبهة
والمعجزة والمخرقة

من اصول سيف الحق وغيره قال الشيخ الامام
نجم الدين ايده الله فنقول وبالله التوفيق ان الفرق بين المعجزة والمخرقة

والمخرقة هو ان الشعبذة والمخرقة شبهة وهي تزداد
ضعفا واضمحلالا وتلاشيا عند البحث عنها والتامل
فيها لان المخرقة تمويه محض والشعبذة مبنية على
شغل اعين الناظرين بشي واخراج غيره بخفة يد ودقة
حيلة واما الحجة فهي اسم ماخوذ من حج اذا غلب
يقال حاججته فحججته اي غلبته اي الزمته بالحجة حتى
صار مغلوبا حتى قال الله تعالى في غلبة حجة موسى فرعون
وقومه فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فسميت الحجة
حجة لان حق الله تعالى يلزم العباد بها ويجعلهم مغلوبين
في المناظرة مع الله عز وجل بانقطاع العذر بها وكذلك البينة
والبرهان في معنى فقيل البرهان مقلوب بهر يقال بهر
اذا ظهر وكذلك البينة وهي ماخوذة من البيان قال
الله تعالى فيه ايات بينات اي ظاهرة وهذا لان الحجة
انما يجب العمل بها اذا ظهر للقلب وجه الالزام منها
فاظهره من كل وجه اوجب العلم والعمل جميعا كما في المعجزات

والخبر المتواتر يوجب التصديق بالقلب والانقياد بالبدن
وان ظهر من وجه دون وجه اوجب العمل كما في خبر الواحد
والقياس واما الاية فاسم على الاطلاق لما اوجب علم
اليقين ولذلك سميت معجزات الرسل ايات قال الله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وهي المعجزات وتفسيرها
لغة العلامة قال الله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم
اي علامات فالمعجزة توجب علم اليقين بنبوة الرسل بواسطة
التامل وترك الاعراض عن النظر فيها وانما جهل من
جهل بعد ظهور ايات الرسل بترك التامل ولم يعذر
بالترك لان العقل مما يلزمه التامل فيها لانه حجة من حجج الله
تعالى وهي تتعاضد ولا تتضاد ولو كانت الحجج موجبة
للعلم جبرا لما تعلق بها ثواب ولا عقاب فالمعجزة راس
الحجج وهي تزداد عند البحث والتامل ايضاحا واستنارة
وقوة وكادة وعلى مر الايام ثباتا ودواما والمخرقة
شبهة وهي تزداد عند التامل فيها والبحث عنها ضعفا و

وتلاشيا ولذلك ظهر عمل الحجة في سحرة فرعون حيث كانوا
عالمين بالشبهة وهي ما اتوا به من السحر ان حبالهم وعصيهم
كانت تخيل للناس بسحرهم انها تسعى وهم يعلمون انها حبال
وعصي حقيقة لم يحدث في ذواتها اثر التقلب عن حقيقتها
فلما القى موسى عصاه بامر الله تعالى اياه بالالقا صارت
ثعبانا لحما ودما تتلقف ما كانوا يافكون اي ابتلعت حبالهم
وعصيهم فلم تر بعد الابتلاع فلما راوا ذلك اثر ظهور الحجة
فيهم فلم يستطيعوا القيام على اقدامهم لعظيم عمل الحجة
في قلوبهم فوقعوا ساجدين كانهم القوا جبرا وقسرا
لعظيم ظهور اية الحق وعلامة الصدق وقالوا امنا
برب العالمين لانهم ميزوا بين الحجة والشبهة وكانوا اعرف
بذلك من غيرهم حين عاينوا انقلاب عصى موسى صلوات
الله عليه حية ثعبانا لحما ودما علموا ان ذلك صنع رب
العالمين وعلى هذا جميع ايات الرسل صلوات الله عليهم
على الثبات والوضوح ولذلك يكون المعرض عنها معاندا

مكابرًا حيث علم وكابر قال ـــــــ سيف الحق رحمه الله
ولو ادّعى أحد من المشعبذة والسحرة النبوة وأراد إظهار
ما هو ناقض للعادة ليكون دلالة على صدق مقالته
لأعجزه الله تعالى عن ذلك وأبطل سحره وكيده في الحال
صيانة للحجة عن أن يعارضها باطل أو يبقى وهنها فاسد

القول في تحديد الإجماع وكونه حجة من هذه الأمة شرعًا

قال الشيخ الإمام نجم الملة والدين أيده الله قال القاضي أبو زيد
رحمه الله إجماع هذه الأمة حجة موجبة للعلم شرعًا
كرامة على الدين الحق وإنما قلنا شرعًا لأن المجوس اجتمعت
على أشياء كانت باطلة وكذلك النصارى واليهود وسائر
الكفرة وهم أكثر منا عددًا لأن كون الإجماع حجة ليس
لعينه بل لمعنى في أهله وهو كون أهله على دين قامت الحجج
والدلائل على حقيته وهو دين الإسلام إذ الإسلام جعل العبد

العبد نفسه مع جميع أقسام العالم ملكًا لله تعالى
لا يجعل لغيره فيهما شركة إذ البرهان القطعي قام على ذلك
من كل وجه وبيان ذلك أن التغيّر والتسخّر والتأليف
والتركيب معاين مشاهد في العالم فدلت هذه الأدلة
على كونه محدثًا إذ ذات ما لا يقتضي تغيير نفسه ولا زواله
فدل أن ذلك فعل الغير فكان العالم محدثًا لا قديمًا
لأن القديم لا يتغيّر وكذلك التأليف لا يكون إلا بمؤلِّف
والتركيب لا يكون إلا بمركِّب فثبت أن العالم محدث مصنوع
وله صانع صنعه ومحدث أحدثه ثم لا يجوز أن يكون
الصانع عددًا إذ لو كان عددًا لوقع التدافع والتمانع
بينهما طلبًا للكمال إذ الناقص لا يصلح أن يكون إلهًا وفي
التدافع تعطّل المصنوع عن الوجود لأن أحدهما إذا أراد
إيجاد العالم وأراد الآخر منعه عن ذلك طلبًا للكمال
فلا يتصوّر أن ينفذ إرادتهما جميعًا معًا إذ لا واسطة
بين الوجود والعدم وفي القول بالتساعد بطلانهما

جميعا للزوم الحاجة الى التساعد وذلك نقص والناقص
لا يصلح الها وفي التمانع تعطل الوجود حتى يظهر الغالب
منهما فلما تحقق وجود العالم ثبت وحدانية الصانع
جلت عظمته وثبت برائته عن الحاجات الى الصاحبة والولد
والشريك فالمجوس اثبتوا للعالم صانعين واليهود وصفته
بالولد وانه على صورة البشر وهذا وصف بالحاجة وبسمة
الحدث والمحتاج ناقص والناقص لا يصلح ان يكون الها
وصانع العالم كامل وكذلك النصارى وصفته بالولد
والصاحبة والشريك وكذلك سائر الكفرة وصفته
بما لا يليق به فكان اجماعهم في اصل الدين على باطل فانعدم
فيهم اهلية الاجماع وشرط صحته فسقط اعتبار الاجماع
منهم واما هذه الامة فقد دانوا بالدين الذي قامت على
حقيته البراهين والحجج فانهم اثبتوا وحدانية الصانع
عز ذكره وشهدوا بتعاليه عن حاجة الولد والصاحبة
والشريك وعن سائر معاني الخلق وصدقوا بجميع الكتب السماويه

السماوية وبجميع الانبياء والرسل ومعجزاتهم اذ التكذيب
بواحد منهم تكذيب للكل والرد لمعجزة واحد منهم رد على
الله تعالى فيخرج من الدين الذي امر الله عباده فدل ان اجماعنا
جعل حجة شرعا كرامة للدين وذلك لقوله تعالى الله
ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اخبر انه
يخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والباطل الى نور
الايمان والحق ولو جاز اجماعهم على باطل لكانوا في ظلمته
فيكون خلاف ما اخبر الله تعالى وانه ممتنع وقال تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وكلمة خير بمعنى افعل فيدل على نهاية
الخيرية ونفس الخيرية في كينونة العبد مع الحق والنهاية
في كينونته مع الحق على الحقيقة فدل صفة الخيرية
التي بمعنى افعل على انهم مصيبون لا محالة الحق الذي هو
حق عند الله تعالى اذا اجمعوا على شيء وان ذلك الحق لا يعدوا
اقوالهم اذا اختلفوا وكذلك قوله تامرون بالمعروف يتناول

ما كان معروفا عند الله وكذلك قوله وتنهون عن المنكر
يتناول ما كان منكرا عنده تعالى بدليل قوله كنتم خير أمة
حيث أخبر أنهم كانوا خيرا بهذه الصفة وهو إصابة
المعروف المطلق ظاهرا وباطنا إذا أمروا وكذلك
إذا نهوا عن المنكر أن يكون ما نهوا عنه منكرا ظاهرا
وباطنا إلا ما يكون معروفا ومنكرا في رأي المجتهد حالة
الانفراد فإنه قد يجوز أن لا يصيب ما هو عند الله لأن الدليل
الموجب لإصابة ما هو حق عند الله يتناول اجتماعهم
فبقي الواحد تحت الاحتمال **فإن قيل** معنى قوله
تأمرون أي يأمر كل واحد منكم والواحد منهم يجوز أن لا
يكون مصيبا قلنا نعم فيجب إذا أمر كل واحد منهم بمعروف
أن يكون المعروف المطلق في جملة ما أمروا وقال تعالى
وكذلك جعلناكم أمة وسطا والوسط هو العدل وإجماع
العدول حجة ولأن الوسط في اللغة من يرتضى بقوله
قال الله تعالى قال أوسطهم أي أرضاهم قولا ومطلق الارتضا

في إصابة الحق عند الله تعالى وقال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
والشاهد اسم لمن نطق عن علم ولم يكون قوله حجة فدل النص
على أن لهم علما بما على الناس من أحكام الله تعالى وأن أقوالهم حجة
في حق الله تعالى فلا تثبت الحجة في حقه على حكمه إلا ما أوجب
العلم قطعا وكذلك خبر الله تعالى عن علمهم لا يقع إلا على الحقيقة
لأن الله تعالى شبه شهاداتنا على الناس بشهادة الرسول علينا
بقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وشهادة الرسول موجبة
للعلم فكذلك شهاداتنا ولأن شهادتنا لو لم تكن موجبة علما يقينا
لصارت كشهادة غيرنا بآرائهم فلا تبقى حجة فدل أن شهادتنا
موجبة للعلم **فإن قيل** إن الآية وردت في أمور
الآخرة قلنا لا تفصيل في الآية بين أحكام الدنيا والآخرة
ولأن شهادة الآخرة شهادة أداء يحكم بها بما علمنا في الدنيا
ولو لم تكن شهادتنا موجبة للعلم لما طلب القضاء بها والقاضي
علام الغيوب لا يقضي إلا بالثابت حقا ومتى احتمل علمنا
الخطأ في الدنيا لم تكن شهادة موجبة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول

من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم ولو جاز اجماعهم على الضلالة لما كان مخالفهم
نظير المشاقة الرسول فلما جعل مخالفهم احد شطري استيجاب
النار علم انه مثل الشطر الآخر وقد جاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غير واحد ان الله تعالى لا يجمع امتي على ضلال
وجاء الوعيد في مخالفة الجماعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه

القول في تحديد الاجماع

قال الشيخ الامام نجم الملة والدين ايده الله قال ابو زيد رحمه الله
حد الاجماع الذي هو حجة اجماع علماء عصر من اهل العدالة
والاجتهاد على حكم ثم ثبوت الاجماع منهم قد يكون بنص الكل عليه
وقد يكون بنص بعضهم وسكوت الباقين ثم حد السكوت
الذي هو حجة السكوت عند عرض الفتوى عليهم او عند اشتهار
الفتوى في الناس من غير ظهور رد احد من اقران المجتهدين وذلك

وذلك لانه اذا كان الحكم عنده بخلاف ما سمع لم يسعه السكوت
عن ذكره لان تغيير المنكر واجب وقد وصفوا بذلك بقوله
تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيدل حاله على
سكوت بحل وذلك اذا كان المسموع حقا هذا اذا دام على
السكوت الى مدة تنقضي في مثلها الحاجة الى النظر لاصابة
الحق لان نفس السكوت قد يكون للنظر وطلب الصواب ولا عبرة
بقلة العلماء وكثرتهم ولا الثبات على ذلك حتى يموتوا ولا عبرة
بمخالفة العامة الذين لا رأي لهم في الباب ولا عبرة بخلاف
المتهمين بالهوى فيما خالفوا فيما نسبوا به الى الهوى لانه لا ينسب
الى الهوى الا اذا خالف فيما يجب الفتوى به بدليل يوجب
العلم يقينا فيصير خلافه ذلك الدليل برأيه ساقطا كخلافه
نصا يروى له فيصير هوى اما الاجماع من الكل نصا فلا
اشكال في كونه حجة موجبة للعلم للدلائل التي جعلت الاجماع
حجة واما كونه حجة اذا نص بعضهم وسكت الباقون فلان
السامع ما يحل له السكوت عن بيان الحق اذا علمه في خلافه

فيدل عدالته على ان سكوته على سبيل تحمل له وهو في كون المسموع
حقا وانما شرطنا مدة التامل لدرك الحق لان الحق لا ينال بالاجتهاد
الا بعد نظر في اشباه الحادثة وتمييز الاشبه من الجملة
ولا بد لهذا من مدة ثم المدة لمثله في العادات لا تمتد الى الموت
بل الى حين يتبين له الوجه فيه اما على الموافقة فلا يلزمه النطق
به فسكوته عن الرد دليل الوفاق او على المخالفة فيرده لان
رد الباطل واجب وفي حمل سكوته على المخالفة تفسيقه وذلك
حرام فوجب حمله على سكوت تحمل او يتعارض عليه الاشباه
فيلزمه الفتوى باي الاشباه كان فيصير سكوته فتوى بما ظهر
من الاول ولا يشترط لصحة الاجماع الثبات على الفتوى
منهم ما لم يموتوا لما ثبت ان الحق لا يعدو اجماعهم فيعلم يقينا
بعد الاجماع اصابتهم الحق بعينه فلا يجوز بعد ذلك من واحد
منهم ولا من جماعتهم خلافه كما لا يسعهم خلاف كتاب الله تعالى
ولا يجوز حمل سكوت من سكت على المهابة منهم لانهم اهل
العدالة والانقياد للحق وما روي عن ابن عباس حين قيل له في

في انكاره العول في الفرائض هلا ذكرت حجتك لعمر فقال مهابة
لا يصح هذا عنه عندنا لان عمر كان يقدمه ويستحسن اجتهاده
وعمر رضي الله عنه كان الين للحق من غيره وكان يحرضهم على القول
له ويقول لا خير فيكم ما لم تقولوا ولا خير في ما لم اسمع وتاويل
قوله مهابة ان صح عنه ان يكون مهابة لسبقه عليه في الدين
والفقه والراي فمنعته عن المبالغة في المناظرة لا انه سكت عن نفس
الرد فيكون سكوته تسليما هذا كله من كتاب تحديد ادلة الشرع

القول في اقسام الاجماع

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله قال ابو زيد رحمه الله
اقسام الاجماع اربعة اجماع الصحابة نصا واجماعهم بنص البعض
وسكوت الباقين واجماع اهل عصر بعدهم على حكم لم يتقدمهم فيه
قول واجماعهم على احد اقوال اختلف فيها السلف ومن الناس
من قال لا اجماع لمن بعد الصحابة ومنهم من قال لا اجماع الا
لاهل المدينة ومنهم من قال لا اجماع الا لعترة الرسول صلى الله عليه

لان الامام منهم والامام معصوم عن الكذب ومنهم من قال
لا اجماع اذا كان في السلف من خالفهم قال ابو زيد رحمه الله
والصحيح هو القول الاول لان الدلايل التي جعلت الاجماع
حجة لم تخص قوما بنسب ولا مكان ولا قرن والاقوال
الاربعة الاخيرة مهجورة وقد حكى مشايخنا عن محمد بن الحسن
رحمه الله نصا ان اجماع اهل كل عصر حجة الا انه على
مراتب اربع فالاقوى اجماع الصحابة نصا لانه لا خلاف
فيه بين الامة لان العترة يكونون فيهم وكذلك اهل المدينة
ثم الذي ثبت بنص بعضهم وسكوت الباقين لان السكوت في
الدلالة على التقرير دون النص ثم اجماع من بعد الصحابة
على حكم لم يظهر فيه قول ممن سبقهم لان الصحابة كانوا خلفا
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم كانوا خلفا الصحابة
فيقع بينهم وبين خلفهم من التفاوت قرب ما يقع بينهم وبين
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اجماعهم على حكم سبقهم
فيه مخالف لان هذا فصل اختلف فيه الفقها ه قال

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله وانما
قدمنا ذكر اصول الحجج الموجبة للعلم على هذا الترتيب لان
العقايد لا تنبني الا على ادلة توجب علم الشهادة اذ الاعتقاد
شهادة بتحقيق ما وقع عقد القلب وليعلم ان اهل الحق بنوا
عقايدهم على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة وقد سبق
في صدر الكتاب ذكر بعض الايمة الاعلام ممن شرح كتاب
السواد الاعظم وهم الصحابة والتابعون وان بعضهم سماه
كتاب العقايد وبيان السنة والجماعة وهذا هو كتاب العقايد
الذي تقدم الوعد بشرحه فنبدا بتوفيق الله ومنه بذكره
فصولا على سياق اصله ثم بشرح كلمات فصوله على نسجه
ومنواله ان شا الله تعالى واصل شرحه على الاختصار للامام
القاضي اقضى القضاة ابي حفص عمر بن ابي بكر بن محمد الغزنوي
رحمه الله وقد ذكر الامام سيف الحق النسفي رحمه الله في
اصوله في الابانة عن جلالة قدر هذا الكتاب والكشف
عن علو رتبة راويه وتبحره في علوم الملة فقال ان ابا جعفر

الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الامة على العموم وعلى
علوم اصحاب ابي حنيفة قدس الله روحه على الخصوص
وذكر في كتاب العقايد الذي افتتحه فقال الصحيح عندي مذهب
فقهاء الملة ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب
ابن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون
من اصول الدين ويدينون به رب العالمين ثم شرع في
ذكر اقاويلهم فقال نقول في توحيد الله تعالى معتقدين
بتوفيق الله ان الله تعالى واحد لا شريك له ولا شي مثله ولا شي
يعجزه ولا اله غيره قديم بلا ابتداء دايم بلا انتهاء لا يفنى
ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد لا تبلغه الاوهام ولا تدركه
الافهام ولا يشبه الانام حي لا يموت قيوم لا ينام خالق
بلا حاجة رازق بلا مؤونة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة
ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيا لم يكن
قبلهم من صفته وكما كان بصفاته ازليا كذلك لا يزال عليها
ابديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البريه

البرية استفاد اسم الباري له معنى الربوبية ولا مربوب
ومعنى الخالق ولا مخلوق كما انه يحيي الموتى بعد ما احيا استحق
هذا الاسم قبل احيايهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشايهم
ذلك بانه على كل شي قدير وكل شي اليه فقير وكل امر
عليه يسير لا يحتاج الى شي ليس كمثله شي وهو السميع البصير
خلق الخلق بعلمه وقدر لهم اقدارا وضرب لهم اجالا لم يخف
عليه شي من افعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل
ان يخلقهم وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شي يجري
بقدرته ومشيته ومشيته تنفذ لا مشية للعباد الا ما
شا لهم فما شا لهم كان وما لم يشا لم يكن يهدي من يشا ويعصم
ويعافي من يشا فضلا ويضل من يشا ويخذل ويبتلي من يشا
عدلا وكلهم يتقلبون في مشيته وعدله وهو متعالي عن
الاضداد والانداد لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه ولا غالب
لامره امنا بذلك كله وايقنا ان كلا من عنده اما قوله
الطحاوي رحمه الله في افتتاح العقايد هذا ذكر بيان السنة

والجماعة فانما قال ذلك لقوله تعالى لنبيه صلوات الله عليه
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فالسنة
عبارة عن الطريقة والملة التي امر الله تعالى رسوله عليه
السلام بالكون عليها وعلى حقيتها قامت الحجج الواضحات
والبراهين القاطعات وذلك معنى قوله تعالى على بصيرة
اي انا على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان وقوله ومن
اتبعني اي ومن اتبعني ايضا على حجة وبرهان   واما قوله
رحمه الله والجماعة فهم الذين اتبعوه على ملته ودانوا بها
ودعوا سائر الامم اليها حتى صار اجماعهم حجة من حجج
الله تعالى موجبة للعلم قطعا   واما قوله
فقهاء الملة رحمهم الله نقول في توحيد الله تعالى معتقدين
بتوفيق الله تعالى فانما قالوا بتوفيق الله لان الوصول الى توحيد
الله يكون بتوفيق الله وهدايته وهو مذهب اهل السنة
والجماعة على ما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا اي بتوفيقنا وهدايتنا وقال تعالى يهدي الله لنوره

بين اهل السنة والجماعة

بلغ

من يشاء

واما قولهم معتقدين

فانما قالوا ذلك نفيا للنفاق وتحقيقا للايمان اذ الايمان
هو التصديق والاعتقاد وذلك يكون بالقلب قال الله
تعالى فيمن اقر باللسان دون القلب قالوا آمنا بافواههم ولم
تؤمن قلوبهم

واما قولهم نقول في توحيد

الله تعالى   فانما ابتدوا بالتوحيد لانه اول خطاب يجب
على المكلفين واليه دعت الانبياء والرسل عليهم السلام
وبه نزلت الكتب السماوية وبه تشهد خلقة اقسام العالم
بالدلائل المنصوبة فيها اما دعوة الرسل عليهم السلام فان
الانبياء والرسل الذين قامت على ايديهم المعجزات الخارجة
عن وسع الخلائق كصيرورة النار بردا وسلاما على ابرهيم
وانقلاب العصا ثعبانا يسعى وتلقف على يدي موسى وتسخير
الريح والجن والشياطين والطيور لسليمان وتسبيح الجبال

والالانة الحديد لداود وخروج الناقة من الصخر لصالح
واحيا الموتى لعيسى وانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع
وكلام الشاة المسمومة وشهادة الضب والذيب وتسبيح
الحصا في الكف لمحمد صلوات الله عليهم فهولاء وغيرهم
من الانبيا كلهم دعوا الى توحيد الله تعالى قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون اخبر الله تعالى انه لم يرسل رسولا من قبل
رسوله محمد صلوات الله عليه الا بتجريد الالوهية
والوحدانية له وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من
امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
قال المفسرون الروح الرسالة والنبوة والكتب المنزلة
سمى هذه الاشيا روحا لانه تحصل بها حيوة الدين وقوله
ان انذروا فيه اضمار اي انذروا وقولوا انه لا اله الا انا
فاتقون وهذا اخبار انه بعث الانبيا والرسل داعين
الى تجريد الالوهية والوحدانية لله تعالى وقال تعالى ولقد

ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
قال ابو منصور الماتريدي رحمه الله فيه اضمار كانه قال
ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وعلى ذلك بعث الانبيا والرسل
جميعا الى اقوامهم بالدعاء الى توحيد الله تعالى وجعل
العبادة له وبالنهي عن عبادة غيره وقال تعالى ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قال المفسرون
معناه اي وحدوا الله لان العبادة لا تصح الا بالتوحيد
قال الامام ابو منصور رحمه الله قوله ما لكم من اله غيره
اي ما لكم من اله تثبت الوهيته وربوبيته بالدليل والحجج
والبراهين غيره ثم قال تعالى فكذبوه فانجيناه والذين
معه يعني نوحا والذين امنوا به واتبعوه ثم اخبر تعالى
ما فعل بالمكذبين فقال واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
وهي حجج الله تعالى على الوحدانية والالوهية وحجج الرسالة
ثم ذكر رسالة هود وصالح ولوط وشعيب وموسى في هذه

السورة ودعوتهم الى التوحيد وذكر هلاك المكذبين
بالتوحيد والرسالة وذكر تعالى في رسالة محمد لدعوة
الناس الى التوحيد فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
يحيي ويميت قال امام الهدى رحمه الله في هذا النص حجة
قاطعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس
كافة وكذلك المتواتر عنه انه قال بعثت الى الناس كافة
وفي الاية انه لما خاطب الله تعالى رسوله ان يقول اني رسول
الله اليكم جميعا وانه لا سبيل له الى ان يخاطب جميع الناس
بنفسه كان ذلك على ما في وسعه وطاقته وهو ان يبعث
الرسل اليهم فيقول انه رسول الله اليكم فخاطب صلى الله
عليه وسلم من حضر بنفسه ودعاهم الى توحيد الله تعالى
وعبادته وارسل الى من بعد عنه الرسل والكتب يدعوهم
الى توحيد الله تعالى وعبادته وترك عبادة غيره فانتشر
ذلك بتبليغ الرسل وبلوغ الكتب وصار صلى الله عليه بذلك

بذلك مبلغا وقد استقبل صلى الله عليه بالدعوة الجبابرة
والفراعنة وقال لعمه ابي طالب قل معي كلمة أحاج لك بها
عند الله عز وجل وهي كلمة لا اله الا الله وقال لكفار
قريش اريد منكم كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي اليكم بها
العجم الجزية قالوا ما هي فقال قولوا لا اله الا الله فقال
ابو جهل والفراعنة أجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها واما دعوة الكتب
السماوية الى التوحيد فان الله عز وجل ارسل الى خلقه رسلا
وانزل عليهم صحفا وكتبا سماوية كالتورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم ونحوها وانزل القرآن على محمد صلى الله عليه
وكلها تدعوا الى توحيد رب العالمين وعبادته وقد افتتح
الله عز وجل كتابه الذي اعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل
سورة منه بالتوحيد فقال الحمد لله رب العالمين اخبر انه

رب العالمين قال امام الهدي ابو منصور رحمه الله في معنى الرب
ثلثة اوجه الاله والمالك والمربي لكل شيء على ما يليق بذلك
والعالم اسم لجميع المكونات واثبت لنفسه الوحدانية في كونه
رب العالمين ويدخل تحت لفظ العالمين كل عالم يتجدد على حسب
تجدد الزمان فكان المراد عالم كل زمان تقدم وعالم كل
زمان تاخر فلذلك ذكر العالمين مع كون لفظ العالم اسما
لجميع المحدثات وذكر في ثانية سورة من كتابه المعجز
فقال والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وهذا
خطاب لكافة المكلفين بالوحدانية وتجريد الالوهية
ففي قوله والهكم اله واحد اثبات الوهية اله واحد وفي قوله
لا اله الا هو نفي الالوهية عما سواه وذكر في ثالثة سورة من
كتابه تجريد الالوهية والتوحيد لنفسه وان كتبه السماوية
متفقة على ذلك فقال الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل
عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه اي نزله موافقا
مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والزبور

والزبور والصحف ولا شك ولا ريب ان اول ما يصدق
بعضها بعضا في التوحيد والاسماء والصفات ثم في الوعد
والوعيد والثواب والعقاب والانباء والقصص ثم في
حقيقة الرفع والابقاء في الشرعيات على ما احاط به علمه
تعالى في الازل واقتضاه حكمته البالغة في مصالح عباده
فثبت اتفاق جميع الكتب السماوية على كون التوحيد اول
فرض يلزم العباد وقال ـــــ في ابطال تسمية غيره
بالالوهية ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان اخبر انه ما انزل في تسميته شيء سواه الها مما عبدوا
من دونه حجة ولا برهانا وقال تعالى لرسوله قل انما انا
منذر وما من اله الا الله الواحد القهار قال امام الهدي
ابو منصور رحمه الله امره ان يقول لهم انما انا منذر انذركم
وابلغ اليكم ان كل ما عبد دونه فليس باله انما الاله هو
الله الواحد القهار الذي ظهر اثار قهره في كل الخلائق وقال
الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات

هن ام الكتاب واخر متشابهات اخبر ان ايات الكتاب
المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم قسمان محكمات هن
اصل الكتاب يجب اتباعها دعوة اليها واعتقادا اياها
واخر متشابهات واخبر ان اتباع ظاهرها زيغ فقال
تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
وافتتح المحكمات بفرضية التوحيد وبين زيغ من اتبع
ما تشابه منه ومدح الراسخين بالاقرار بكون الكل
من عند الله مع ترك اتباع ما تشابه منه ثم ذكر تعالى
في موضع اخر اقسام العالم بقوله فاطر السموات والارض
ثم ذكر خلق البشر والانعام ثم عقب ذلك بنفي المماثلة
بينه وبين شيء من العالم بقوله ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير فنفى تعالى عن نفسه مشابهة العالم
فالزم الكل توحيد صانع العالم وجعل سورة اخلاص
التوحيد عند اخر سورة القران فقال مخاطبا لرسوله
وخاتم انبيائه ولكل عاقل من خلقه قل هو الله احد الله الصمد

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد نفى في هذه السورة
المحكمة عن ذاته وصفاته جميع معاني خلقه وصفاتهم
واما بيان وجه الشهادة بالسنة الدلائل المنصوبة
في خلقه اقسام العالم بوجوب التوحيد فنقول
وبالله التوفيق ان العالم اسم لجميع ما سوى الله تعالى
من الموجودات سمي عالما لكونه علما على ثبوت صانع واحد
قديم حي سميع بصير قادر عليم مدبر حكيم ثم اقسامه
على الاجمال اعيان واعراض ثم الاعيان قسمان متركب
وهو الجسم وغير متركب وهو الجوهر فجميع اقسام العالم
على التفصيل ثلثة جواهر واجسام واعراض ثم الجوهر
في اللغة عبارة عن الاصل يقال لفلان جوهر شريف
اي اصل شريف وحده عند الاصوليين ما يقوم بذاته
قابلا لحلول الصفات المتضادات كالسواد والبياض
والحركة والسكون واما الجسم فهو المتركب عن جزئين
فصاعدا وعند الحساب الجسم ماله طول وعرض وعمق

هو

والمعوّل عليه الأول. وأما العرض فهو في اللغة اسم لما
لا دوام له يقال فلان في عارض شغل أو مرض وعند
المتكلمين اسم للصفات الثابتة للمحدثات كالألوان
والأكوان والطعوم ونحوها وحدّه عند بعضهم هو
ما يقوم بالجوهر وقيل هو ما لا يستغني في وجوده عن
محل ثم الأعراض لا شك في ثبوتها عند أكثر العقلاء وهي
الألوان كالسواد والبياض والحمرة ونحوها والأكوان
كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق والطعوم والروائح
والعلوم والقدر والإرادات والاعتقادات والشكوك
والرطوبات واليبوسات وغيرها وقد أنكرها ونفاها
طوائف الدهرية والثنوية هربًا من لزوم حدوث
العالم ولا متمسك لهم في ذلك فنقول الدليل على ثبوتها أنا
نرى جسمًا أسود ثم رأيناه أبيض وعين ذلك الجسم باقٍ
فلا يخلو إما أن كان أسود لذاته فلا يتصور أن لا يبقى أسود
وذاته الذي هو علة اتصافه أسود موجود وإما أن كان اسود

أسود لمعنًى غير الذات فلا يجوز أن يصير أبيض أيضًا وذاته
الذي هو علة كونه أسود موجود فقد تحقق انعدام السواد
بعد ما كان موجودًا أو تحقق وجود البياض وحدوثه
بعد أن لم يكن والذات موجود في الحالين فكان هذا دليلًا
على ثبوت الأعراض ووافق الثنوية أبو بكر الأصم في نفي
الأعراض فيقال له أليس أن من آمن كان مطيعًا وينال الثواب
ومن كفر كان عاصيًا ويستحق العقاب وكذا في كل طاعة
ومعصية أفيتعلق كل ذلك بوجود ذاته أم بوجود معنًى
وراء ذاته فإن قال بذاته بان بهته وظهر مكابرته وإن قال
بمعنى وراء ذاته فقد ترك مذهبه وانقاد للحق وكذا
من شتم غيره يسخطه ومدحه يرضيه والرضا والسخط
لا يتعلقان بذات الشاتم والمادح ولا رضاه وسخطه
يرجعان إلى ذاته وعرف بهذا أن إنكار الأعراض من قبيل جحد
الضروريات وإنكار المشاهدات وكذا يقال له ما حدّ
المفتري فلا بد من أن يقول ثمانون وفي الزنا مائة ولا بد

من أن يعرف أن المائة أكثر من الثمانين بعشرين وليس الضارب
بمتعدد ولا المضروب ولا السوط الذي هو آلة الضرب
فلو لم يكن للضرب الذي هو عرض وجود لكان لا شيء أكثر
من لا شيء بعشرين وهذا مما لا يخفى بطلانه على المجانين فضلا
عن العقلاء وإذ قد ثبت أن العالم بأسره ما ذكرنا من الأعراض
والجواهر والأجسام فلا يوجد في العالم قسم إلا وهو
داخل تحت ما ذكرنا من الأعراض والأعيان سفليا كان
أو علويا جمادا كان أو ناميا نباتا كان أو حيوانا إذ لا واسطة
بين ما يقوم بنفسه قابلا للحلول غيره وهو الأعيان
متركبة كانت أو غير متركبة وبين ما لا يقوم بنفسه وهو
الأعراض ثم نحتاج إلى معرفة معنى القديم والمحدث
فنقول إن القديم ما لا أول لوجوده والمحدث ما لوجوده
ابتداء وقيل المحدث ما تأخر وجوده عن الأزلي وقيل ما هو
ما لوجوده أول وهذه العبارات كلها تنبئ عن معنى واحد
وقد ثبت بالدليل أن أجزاء العالم في الأصل قسمان أعراض وأعيان ليس

ليس وراء هذين القسمين شيء من أجزاء العالم فيجب أن نبحث
عن كل واحد من القسمين أقديم هو أم محدث فبدأنا
بالأعراض فتأملنا فيها فرأيناها محدثة وذلك لأنا رأينا
ساكنا يتحرك بعد سكونه وقد أقمنا الدلالة على كون
الحركة والسكون عرضين فكان الجسم فإنما حين كان ساكنا
وقد حدثت فيه الحركة بعد أن لم تكن موجودة حال كون
الجسم ساكنا فحدثت الآن فعلمنا حدوثها بالحس والمشاهدة
وعلم المشاهدة فوق سائر أنواع العلوم والسكون كان
موجودا وقد انعدم حين حدثت الحركة وعلم أنه كان
محدثا حيث قبل العدم لأن القديم يستحيل عليه العدم
وهذا لأن القديم واجب الوجود لأنه لو لم يكن واجب
الوجود لكان جائز الوجود أو ممتنع الوجود إذ لا قسمة
لما يخطر بالبال ثبوته وراء هذه الأقسام وهي جائز الوجود
وواجب الوجود وممتنع الوجود وبطل كون القديم
ممتنع الوجود لأن وجوده قد تحقق ومحال أن يتحقق

ممتنع الوجود لاستحالة اجتماع الوجوب والامتناع
ولا يقال انه جايز الوجود لان ما كان جايز الوجود كان
جايز العدم وما كان جايز الوجود كان لوجوده ابتدا وهو
تخصيص المخصص والقديم لا ابتدا لوجوده فهو واجب
الوجود بذاته فثبت ان الموجود قسمان لا ثالث لهما
قديم ومحدث ولما قبل السكون العدم دل انه كان جايز
الوجود لا واجب الوجود فاذا عرف هذا علم كون
السكون محدثا بهذا الاستدلال وعلم حدوث الحركة
بالحس والمشاهدة وكذا هذا في جميع الاعراض المتعاقبة
من نحو السواد والبياض والاجتماع والافتراق وغيرها
واذ قد ثبت حدوث الاعراض وتقرر تاملنا في حال
الاعيان فوجدناها غير متعرية عن الاعراض التي ثبت
حدوثها بالدليل القطعي ثم تاملنا فوجدنا تعريها عن الاعراض
وخلوها عنها ممتنعا مستحيلا وذلك لانا راينا الاجتماع
والافتراق معتقبين وراء المفترق والمجتمع وكذا راينا الحركة والسكون

والسكون معتقبين وراء المتحرك والساكن على ما بينا في ثبوت
الاعراض وحد الاجتماع تماس الجوهرين حتى لا يكون لثالث
بينهما مكان وحد الافتراق تباين جوهرين حتى يكون
لثالث بينهما مكان ثم راينا خلو الجوهر عن الحركة والسكون
محالا ممتنعا لان المتمكن في مكان اما ان ينتقل عنه فيكون
متحركا واما ان يستقر فيه فيكون ساكنا فثبت كون خلو
الجوهر عنهما ممتنعا محالا واذا ثبت استحالة خلو الجوهر
عن الاعراض ثبت استحالة تقدمها على الاعراض لما ان
في تقدمها على الاعراض خلوها عنها وقد بينا استحالته
بالبرهان القاطع واذا ثبت ان الجوهر لا تسبق الاعراض
وقد اقمنا الدلالة على كون الاعراض حادثة ثبت كون
الجواهر حادثة لان ما لا يسبق الحادث فهو حادث
لان الحادث ما لوجوده ابتدا اذا كان لوجوده ابتداء
كان محدثا ضرورة وهذا لان العرض كان محدثا لهذا
فما ساواه في حد الحدوث كان مساويا اياه في الحدوث

وإذ قد ثبت بما بيّنا من الدلائل القطعية حدوث الأعراض
والجواهر كلها ثبت حدوث الطبائع والهيولى وجميع
ما تسميه الدهرية المعطلة والطبيعيون عناصر
واسطقسات وحدوث الأفلاك بما فيها من البروج
والكواكب والشمس والقمر وحدوث الزمان والخلاء
إذ كله داخل تحت ما أقمنا من الدلالة على حدوثه وإذ
قد ثبت بالدليل القاطع أن العالم بجميع أقسامه محدث
وكان قبل الحدوث معدوما جائز الوجود وجائز البقاء
على العدم وما يجوز عليه الحالان لا يختص بإحدى الحالتين
إلا بمخصص كالجسم لما جاز أن يكون متحركا وأن يكون ساكنا
لم يختص بأحدهما إلا بمعنى أوجب اختصاصه بها وهو
الحركة أو السكون فكذا حدوث العالم لا بد من وجود
معنى أوجب تبدله لأن العالم قبل الحدوث كان معدوما وما
وكان جائزا أن يوجد على هيئة غير هذه الهيئة والقدر
أصغر أو أكبر وأزين من هذا ولما اختص بهذه الهيئة دل اختصاصا صح

١

اختصاصه بها على أن مخصصا خصصه بهذه الهيئة
وبهذه الدلالة يستدل على وجود الباني لكل بناء
يشاهد في الدنيا وتقررت هذه الدلالة في العقول
حتى أن من جوّز وجود ذلك من غير صانع أطبق العقلاء
على تجهيله وإلحاقه بالمجانين ولأن حدوثه ووجوده
من غير مخصص وموجد محال لأنه كان معدوما قبل حدوثه
فمحال أن يتوهم أنه وجد وحدث لا بموجد ومحدث
لأن العدم نفي حقيقة والحدوث ابتداء وجود فلا
يتحقق من غير مخصص إذ حقيقة العدم الانتفاء والانعدام
لا الوجود ومحال أيضا أن يتوهم أنه أحدث نفسه
في حالة العدم لما أنه معدوم لما انه معدوم لا حقيقة
له في نفسه والإحداث فعل ووجود الفعل من غير
فاعل باطل وتحقيقه هذا وهو أن الآدمي مع أنه ليس
بعرض بل هو جوهر وليس بجماد بل هو حيوان وليس
بعجماء بل هو ناطق وهذه الحالة هي النهاية في القوة والتدبير

ولهذا يغلب بحيله اللطيفة وتدابيره الصائبة جميع الحيوانات
الارضية فيستسخر الفيلة العظام والاسود الضارية والحيات
الناهشة فيستعملها في حوائجه ويستخرج الحيتان من قعور
الماء ويستنزل الطيور من الهواء ثم هو في كمال عقله وعلمه
بالامور وتمام قوته وبصارته بوجوه الحيل والتدابير
يعجز عن تغيير صفة له ذميمة الى ما يستحليه من الحسن وعن
تغيير قصر قامته الى طولها وسواد بشرته الى نضارتها فلان
لا يتاتى ولا يتصور ايجاد اصل العالم ممن هو معدوم اظهر
للعقول واقهر للحواس فثبت انه كان بصانع حي قديم قدير
قدرته ذاتية ازلية لا يعجزها شيء وتحقيقه ايضا ان كل
عين من اعيان العالم اجتمعت فيه الطبايع المتضادة متجاورة
التي من شانها التباين ومن طباعها التنافر ولو تركت لتباينت
وتعطلت للحال فدل وجودها متجاورة متفقة على خلاف
شانها ان ذلك ليس من ذواتها بل بقادر جبار جبرها على
مقتضى ارادته النافذة لا لطبعها بكمال قدرته وحكمته هذه كلها

دلائل ثبوت الصانع واذ قد ثبت بما مر من الدلايل ان
العالم لا بد له من صانع لاستحالة وجود المعدوم بلا موجد
ومخصص فبعد ذلك نقول ان العالم شهد بجملته وبكل جزء
من اجزائه بشهادة الخلقة ودلالة الصنعة وهي التغيير
والتاليف والتركيب والتسخير على ان الصانع واحد لا شريك
له وذلك لانه لا يجوز ان يكون للعالم صانعان لانه لو كان الصانع
اثنين فاراد ايجاده فلا يخلو اما ان كانا عاجزين او كانا قادرين
او كان احدهما قادرا والاخر عاجزا فان كانا عاجزين سقطا
جميعا لزوال قدرة كل واحد منهما عما هو مقدور في نفسه
لكونه جائز الوجود والعاجز لا يكون الها فبطلت الوهيتهما
وبقي المراد على العدم ولو كان احدهما قادرا على ايجاده ولم
يكن الاخر قادرا بطل الوهية العاجز لكونه مقهورا فتحقق
وجود المصنوع المراد وهو العالم العاجز بايجاد الواحد القادر
ولو كانا قادرين فاما ان يقدرا على طريق التعاون دون
الانفراد فيبطلان جميعا للزوم الحاجة اياهما الى التساعد

وزوال قدرة الايجاد عن كل واحد منهما على الانفراد
بالذات اذ شرط ايجاد المعدوم هي القدرة الذاتية بحقيقة
ان الموصوفين من حكما العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا ذرة
او شعيرة لم يقدروا لعدم القدرة الذاتية لان قدرتهم
اعيان لذواتهم لانها مستفادة من غيره واما ان يقدر كل
واحد منهما على ايجاد العالم على الانفراد فاراد كل واحد
منهما ايجاده على الاستبداد لامتناع ثبوت الكمال في
الاشتراك والتساعد لان الكمال من شرط الاله فيقع التدافع
والتمانع طلبا لتحقيق الكمال اذ الكمال في التفرد بالصنع
فحينئذ يتعطل وجود المصنوع حتى يظهر الغالب من
المغلوب فلما تحقق وجود العالم المصنوع على الاتقان
والاحكام مولفا منتظما مركبا عاجزا مسخرا شهدت
خلقته بثبوت صانع واحد قديم حي سميع بصير قادر
عليم مدبر حكيم وكذى شهدت خلقة كل جزء من
اجزاء العالم وهذه الدلالة تسمى دلالة التمانع اخذها اهل

الحق من كتاب الله تعالى قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وقال تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وذكر تعالى في ابطال
الوهية العدد على ما كانت تعتقد عبدة الاصنام فقال
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله فكان فيه اثبات الالوهية لنفسه تعالى
لنفاذ مشيئته وفيه ابطال الوهية العدد باثبات العجز
لغيره عما اراده هو الله تعالى وقال في موضع آخر قل ارايتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وفيه
ابطال ربوبية غيره لعجزه عن كشف ما اثبته هو تعالى
وقال تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على
قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به استدل بانعدام القدرة
لغيره عن الاتيان بهذه الاشيا عند اخذه تعالى اياها على
ثبوت وحدانيته واستحالة الوهية من لا قدرة له وهذه

الدلالة لا تستقيم على اصول المعتزلة فانهم يقولون
ان الله تعالى اراد من الكافر الايمان واراد الكافر
من نفسه الكفر فنفذت ارادة الكافر وتعطلت ارادة
الله تعالى وهذا منهم خلاف ما علم الله تعالى رسوله
لابطال مذاهب الثنوية فانه تعالى اثبت الوهية
نفسه بنفوذ ارادته وابطل الوهية غيره بعدم نفاذ
ارادته ثم من عظيم جرائهم ووقاحتهم يرومون التخلص
عن هذا الالزام الظاهر بحيل ضعيفة بادية العوار
مكشوفة الستار ذكرها ائمة اهل السنة وابطلوها
واظهروا عوارها بانها لا تجديهم سوى العجز عن اثبات
الوحدانية لله تعالى بهذه الطرق التي علم الله تعالى امته
على وجهه لابطال مذاهب الثنوية واطبق على الاحتجاج
بها كافة اهل التوحيد لدحض شبهات الثنوية ○

واما قوله لا شريك له

فقد

فقد اراد بذلك نفي انواع الشرك التي هي كفر وهي
الشرك في الذات ثم الشرك في تسمية الالوهية واستحقاق
العبادة ثم الشرك في الوصف وهذه الانواع منفية عن
الله تعالى وقد قامت الادلة العقلية والسمعية على براءة
الله تعالى منها وتعاليه عنها اما الدلائل البرهانية فما سبق
بيانها من شهادة العالم بجملته وبكل جزء من اجزائه
بلسان التسخير والتاليف والتركيب بان الصانع واحد
لا شريك له اذ لو كان عددا لوقع التمانع طلبا للكمال
اذ هو شرط الكمال الالهي فلم يتحقق وجود المصنوع حتى
يظهر الغالب من المغلوب اذ في القول بالتساعد والاشتراك
سقوطهما للزوم الحاجة والنقص ولما تحقق وجود
العالم محكما متقنا مسخرا مؤلفا مركبا دل ان الصانع واحد
فانتفت الشركة في المصنوع لانتفاء الشريك في الصنع
وهذه الدلالة متحققة في كل جزء من اجزاء العالم على
حدة ثم الشرك في الذات فعل المجوس فانهم اثبتوا للعالم

صابعين اسم احدهما يزدان زعموا انه خالق الخيرات والمسرات
والاجسام الحسنة والاخر اهرمن وهو ابليس عليه
اللعنة ولهم هذيانات كثيرة في مقالتهم زعموا ان يزدان
تفكر في نفسه هل يخرج عليه من يضاده في ملكه
فتولد من تلك الفكرة عفونة في بعضه فتولد من تلك
العفونة اهرمن وقال فرقة منهم يسمون المسخية
ان يزدان كان نورا محضا ثم مسخ بعضه فصار ظلمة
فكان اهرمن من تلك الظلمة وقوم منهم يسمون الزروانية
قالوا ان زروان وهو النور القديم عندهم شك في صلوته
فحدث الشيطان وهو اهرمن من تلك الشكة
وما ذكرنا من الدلائل القطعية فهي توجب بطلان ان يكون
مع الله تعالى قديم اخر فيبطل القول بقدم اثنين
ولان قولهم بقدم السفيه ينادي ببطلانه اذ السفه نهاية
في النقص والقول بقدم من فيه ادنى النقص محال
اذ من شرط القديم الكمال لان ذاتا ما فقط لا يوجب نقصا

في ذاته ولا في صفته اذ ذاك اقتضا عدمه وذات ما
فقط لا يقتضي عدمه اذ لو اقتضاه لما تصور وجوده واذا
كل نقص ممكن في ذات ما فذاك باثبات غيره ليعرف
بنقصان هذا مثبته قال الشيخ الامام العالم نجم
الملة والدين ايده الله ولا حاجة الى بسط القول في ذكر
مقالة المجوس ههنا وانما ذكرت ههنا اصل مقالتهم
عقيب ذكر اثبات التوحيد وحدث العالم بانواع الادلة
القاطعة لكي يواظب الموحد على الاذعان بالعجز عن شكر
نعمة التوحيد واما الشرك في تسمية الالوهية واستحقاق
العبادة فهو صنيع مشركي العرب فانهم اشركوا مع الله
تعالى ما عبدوا من الاصنام في استحقاق العبادة وتسمية
الالوهية مع اقرارهم بالتوحيد في الذات والتخليق على
ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واما النوع الثالث وهو الاشراك
في الوصف بالصورة والجسم وساير صفات المحدثين

فهو كقول اليهود في الباري تعالى انه على مثال صورة البشر
وتابعهم على ذلك المشبهة الجعدية والمجسمة والكرامية
حتى وصفوا بالاعضاء والجوارح واما الدلالة الشرعية
على نفي الشريك فكثيرة منها قوله تعالى هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس الى قوله الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون وصف الله تعالى نفسه بتجريد
الالوهية والوحدانية وانه القدوس وهو الطاهر
عن الآفات والعيوب ووصف نفسه بالجبروت
والعظمة والكبرياء والتكبر هو الارتفاع عن معاني
الخلق ثم قال سبحان الله وهي كلمة تنزيه وتنزيه سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله
فقال براءة الله من كل سوء ثم قال عز وجل عما يشركون
والاشراك ينتظم على الاوجه الثلثة المقدم ذكرها
اذ الاشراك هو التسوية فالتسوية حيث اثبتوا اثنين
كان ذلك تسوية في الذات ومشركوا العرب حيث عبدوا
الاصنام

الاصنام وسموها آلهة صاروا مشركين مع اقرارهم بالتوحيد
في التخليق وكان ذلك تسوية منهم بين الله تعالى وبين الاصنام
على ما اخبر تعالى عن اقرارهم بتلك التسوية يوم القيامة عند
تبريهم منها وهو قوله اذ نسويكم برب العالمين وكذلك اشراك
اليهود ومن تابعهم من المجسمة بوصفهم الباري تعالى بالصورة
والجسم على مثال صورة البشر تسوية منهم بين الله تعالى وبين
البشر وقد نزه الله تعالى نفسه عن كل انواع الشرك بقوله
سبحان الله عما يشركون وبقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
وبقوله سبحان الله عما يصفون وقد صرح الله تعالى بنفي مماثلة
الخلق عن نفسه بقوله ليس كمثله شيء وعظم امر الشرك
بحرمان الجنة وهو قوله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة فبهذه الادلة جمع فقهاء الملة رحمهم الله في
عقيدتهم بين اثبات الوحدانية وبين نفي الشريك لتحقيق
الايمان في الذات والصفات لانه تعالى واحد بافعاله
احد بذاته هـ

وامّا قولهم ولا شيء مثله

فهو تحقيق لاثبات كمال ذاته في الازل والقدم بنفي النظير
والمماثل ووصفه بالتعالي عن المشابهة والمماثلة وانما قالوا
ذلك بالبراهين العقلية التي احتج بها ابرهيم على قومه وسماها
الله تعالى حجة وبالنصوص المحكمة اما البراهين العقلية فهي
ما ذكر اهل الحق وعلما الاصول فقالوا ان القول بالتشابه
بين الله تعالى وبين خلقه قول بنفي الالوهية وانكار الصانع
لان التماثل بين الشيئين من كل وجه يوجب المساواة بينهما
من كل وجه والمماثلة بينهما من وجه تقتضي المساواة بينهما
من ذلك الوجه فالمشابهة بين الله تعالى وبين العالم ان كانت
من كل وجه فانها تقتضي المساواة في الحكم من كل وجه
ومعلوم قطعا ان حكم العالم الحدث وان صفة الله تعالى
القدم فتوجب المساواة ان يكون العالم قديما او الصانع
محدثا من جميع الوجوه وان كانت المشابهة من وجه دون وجه

وجه

وجه يوجب ان يكون العالم قديما من وجه محدثا من وجه
وكذلك الصانع ثم المحدث من كل وجه او من وجه لا يكون
الها واذا اوجب ذلك قدم العالم انتفى الصانع لاستغناء
القديم عن غيره فكان القول بالتشابه موجبا لنفي الالوهية
وقد قامت الدلايل القطعية على ثبوت الصانع فما يوجب نفيه
كان باطلا ولان الخلق اجسام وجواهر واعراض فلو كان الباري
تعالى يشبه الخلق لكان من هذه الاقسام فيجب ان تكون له
خاصية هذه الاشيا وخاصية الاجسام التركب والتركب
يتحقق من الاجزا او الابعاض فكان الجسم متبعضا متجزيا
ولا يجوز ان يكون الباري تعالى كذلك اذ التركب لا بد له
من مركب فمن قال انه جسم فقد ابطل الوهيته وجعله مصنوعا
ومن قال انه قديم مع كونه جسما فقد ابطل حدثية الاجسام
وصار قايلا بقدمها وابطل الدلالة على ثبوت صانع العالم اذ الدلالة
على كون الاجسام محدثة وان لها صانعا صنعها كونها متركبة
واما الجوهر فعبارة عن الاصل القابل للتركب فلو كان

الباري تعالى جوهراً لكان محلاً قابلاً للحوادث وذلك محال
لان قبول الحوادث من امارات الحدث بدليل ان الجوهر
لا ينفك عن الالوان والاكوان اما ان يكون متحركاً او ساكناً
فلا ينفك عن التغير والقديم لا يجوز عليه التغير وبقبول
التغير والتركيب استدل اهل الحق على كون العالم مصنوعاً
وعلى كون نفسه صانعاً بقوله في اي صورة ما شاء ركبك
حتى اقسم على كون العالم مصنوعه بقبول التركيب وتكرر الاحوال
عليه بقوله فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر
اذا اتسق لتركبن طبقاً عن طبق وهو تكرر الاحوال عليهم
حالاً بعد حال ثم قال فما لهم لا يؤمنون اي اي شيء منعهم
عن الايمان بالصانع الواحد القديم مع معاينتهم دلايل
حدوث العالم بالتغير والتاليف والتركيب والتسخير
وتعاقب الاحوال عليهم فبطل ان يكون صانع العالم جسماً
او جوهراً لما فيهما من قبول التركيب والتغير وحلول الحوادث
واما العرض فخاصيته ان لا يقوم بنفسه ويستحيل بقاؤه وتعالى

بلغ

ويتعالى صانع العالم ان يكون كذلك اذ هو قايم بذاته وبتكوينه
قامت الجواهر والاجسام حاملة للاعراض واذا بطل
ان يكون الباري عز وجل من جنس العالم بطل القول بالتشابه
بينه وبين العالم فهذه هي البراهين العقلية التي احتج بها
ابرهيم خليل الله صلوات الله عليه على قومه وقد سماها الله
تعالى حجة على ما قال تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكباً
الى قوله فلما افل قال لا احب الافلين تبرا عليه السلام من
الوهية من يافل وينتقل بالذات من مكان الى مكان وقال
في افول القمر فلما افل قال يا قوم لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين جعل وصف الرب بالانتقال بالذات من
مكان الى مكان ضلالاً وقال في افول الشمس فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون جعل وصف الرب بالانتقال
من مكان الى مكان بالذات شركاً ثم قال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً الاية جعل وصف
الرب باوصاف العالم شركاً وضلالاً ثم قال تعالى وتلك

حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ٥ واما حجج السمع على نفي
المشابهة والمماثلة عن الله تعالى فمنها قوله تعالى ليس كمثله
شيء قال امام الهدى ابو منصور رحمه الله اي ليس مثله
شيء قال اهل الحق لان الخلق ذووا اعداد واشكال وامثال
من حيث العدد ثم انهم وان كانوا ذوي امثال واشكال فليس
يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه ومن كل الجهات
ولكن انما يشبه بعضهم بعضا لجهة او بوجه بصفة او بنفس
ثم صار بعضهم امثالا لبعض واشباها بتلك الجهة وبذلك
الوجه والله تعالى نفى عن نفسه مماثلة شيء من العالم بهذا
الكلام المحكم الذي لا احتمال فيه فدل ان الله تعالى ليس
بشبيه للخلق ولا له منهم مثال بوجه من الوجوه ولا له
شبيه منهم لا فيما يرجع الى الصفة ولا فيما يرجع الى النفس
وهو يتعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم ثم هذا التحقيق
الذي تناوله هذا النص المحكم كان قاطعا لجميع اوهام
المشابهة والمماثلة بين صانع العالم وبين العالم لو كان مذكورا على

حدة غير متسق كقوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وكيف وقد قدم تعالى
امام هذا النص المحكم في تلك السورة ذكر الوهيته ووحدانيته
بقوله ذلكم الله ربكم ثم اتبع ذكر الوهيته بنعوت وحدانيته
وكمال قدرته وكون ما سواه تحت قهره وسلطانه
من السموات والارض وهما من اعظم المخلوقات في العالم
المشاهد فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات
ما فيها وما فوقها من الخلائق ودخل تحت قهره وسلطانه
بذكر الارض ما فيها وما تحتها فقال فاطر السموات والارض
ثم اتبع ذكرهما بذكر من سخر لهم ما في السموات والارض وهم
البشر فقال وجعل لكم من انفسكم ازواجا وهذا الجنس
هو المصور باحسن الصور المخلوق في احسن تقويم
المشتمل على الازواج والاشكال والاصناف والامثال
ثم اتبع بذكرهم ما جعل لهم من الانعام المشتملة على الاصناف
والازواج فقال وجعل لكم من الانعام ازواجا يذرؤكم فيه

ثم اتبع ذكر اقسام العالم نسقا عليه ذكر تعاليه عن مشابهة
العالم اياه على المبالغة نفيا للاوهام الخلق عن المشاكلة
والمماثلة فقال جل جلاله ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ثم دل قوله ليس كمثله شيء انه تعالى يطلق عليه اسم
الشيء لانه نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية
لان اسم الشيء ليس ينبئ عن الكيفية والمائية والجنسية
وانما ينبئ عن مطلق الوجود والله تعالى موجود واجب الوجود
لذاته وما سواه جائز الوجود ولا مماثلة بين القديم والمحدث
فنفى عنه ما ورد واطلق الشيئية فيقال انه تعالى شيء لا كالاشياء
كما يقال عالم لا كالعلماء ينفي عنه شبه الاشياء والنفي اثبات
وفي الاثبات توحيد ولو لم يجز اطلاق اسم الشيء عليه
لنفى الشيئية كما نفى المثلية دل انه يسمى شيئا وهو كقوله تعالى
قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اثبت انه شيء لا كالاشياء ○

واما قولهم ولا شيء يعجزه

قال القاضي

قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله في شرحه لهذه
العقايد هذا القول منهم وصف له تعالى بكمال القدرة
وانما قالوا ذلك بادلة العقول والسمع اما دليل العقل
فلان وجود كل شيء به فمحال ان يعجزه شيء ولان العجز
نقص وهو من امارات الحدث اذ ذات ما لا يقتضي
نقصه لما يفضي ذلك الى العدم والقديم يستحيل عليه العدم
فثبت تنزيهه عن النقايص التي هي من سمات الحدث ولان
العجز ضد القدرة وبالقدرة يتحقق وجود المقدور
وعند العجز يتعذر الوجود ثم الفاعل في الشاهد قاصر
القدرة لان قدرته مستفادة من غيره فيقدر على حسب
ما اقدره غيره ولذلك لا يتعدى فعله عن محل قدرته
لانه قادر بغيره لا بذاته والفاعل في الغايب قادر
بذاته فكان كامل القدرة اذ قدرته ذاتية ازلية
لا نهاية لها وبها اخرج العالم من العدم الى الوجود
من غير اصل ومثال فيقدر على انشاء شيء لا من شيء كالسموات

والارضين وعلى انشاء شيء من شيء كالانسان من النطفة وفيه
اظهار كمال القدرة فان الصانع عزت قدرته قلب
النطفة علقة فكونها دما عبيطا ثم قلب العلقة مضغة
فاعدم العلقة حتى لم يبق منها شيء والمضغة قطعة
لحم ثم قلب المضغة عظاما فاعدم المضغة حتى لم يبق
منها شيء ثم كسا العظام لحما ونفخ فيه الروح وجعله
بشرا سويا في ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم
وظلمة المشيمة ففيه ايجاد شيء من شيء بالاضافة الى النطفة
وفيه ايجاد شيء لا من شيء حيث اعدم الاصل وهو النطفة
ثم اوجد العلقة ثم اعدم العلقة واوجد المضغة ثم
اعدم المضغة واوجد العظام ثم خلق فيه الروح
لا من شيء وهذه الاحوال كلها دلايل على كمال القدرة
وفيها ابطال قول الطبايعية اذ الطبايع لا تقتضي خلاف
طباعها ولا يتصور منها تخصيص هيئة دون هيئة لانها
موات لا توصف بحيوة ولا قدرة ولا علم وفيها ابطال قول

قول الدهرية بقدم العالم لوجود تعاقب الاحوال
المختلفة وفيها ابطال قول الدهرية حيث انكروا ايجاد الشيء
لا من شيء كما في الشاهد حيث يتخذ الباب من الخشب
والثوب من الغزل قيل لهم هذا تمويه منكم واستدلال باطل
لان الاصل الذي اتخذ منه الباب وهو الخشب فانه قايم
بعينه لم يتبدل ذاته وانما حدث فيه تغيير صفته
وهيئته وكذلك الغزل في الثوب قايم بعينه وذلك
لقصور قدرة الفاعل في الشاهد حيث يفعل بقدرة
مستفادة من غيره والفاعل في الغايب اعدم الاصل
وهي النطفة واوجد جوهرا اخر وهو المضغة ثم اعدم
المضغة واوجد العظام ثم جعله بشرا سويا وليس فيه
شيء من اجزاء الاصل فهو ايجاد شيء لا من شيء اذ هو كامل
القدرة يفعل بقدرة ذاتية ازلية فبطل تمويه الدهرية
ومنه دلايل كمال قدرة الغايب قيام السما في الهوا بلا علاقة
من فوق ولا عمد من تحت فهذه اعجوبة عظيمة لولا اعتياد

البشر بمشاهدتهم اياها الصعقوا من عظيم هولها ثم هذه
الاعجوبة قائمة الى يوم نطوي السما كطي السجل ونظير
هذه الاعجوبة قيام السحاب المسخر بين السما والارض
في الهوا بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت والهوا شي
لطيف ليس بمقر لشي كثيف حتى لو اجتمع الخلائق على
اقامة خردلة او ريشة في الهوا لما قدروا على ذلك
وقد جعل الله تعالى بقدرته الازلية من الهوا مقرا
للسحاب وهو جسم كثيف غليظ وقد طبق وجه السماء
قايما تارة وسايرا تارة منبسطا في الطول والعرض حاملا
بحور الما لا يبين منها قليل ولا كثير الا بامر الصانع القديم
ومعلوم قطعا ان الشي الثقيل من طبعه في الهوا الانحدار
والنزول فهذه كلها من ايات كمال قدرة الله تعالى وبهذه
الادلة قال فقها الملة ولا شي يعجزه واما دليل السمع
فنحو قوله تعالى واعلم ان الله على كل شي قدير وقوله
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى

للكتب

بلى وهو الخلاق العليم

واما قولهم ولا اله غيره

قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله هذا منهم قول
ببطلان كل معبود سوى الله تعالى اذ الاله في لغة
العرب هو المعبود وكانوا يعبدون الاصنام ويسمونها
الهة فقالوا ولا اله غيره ليعلم ان الله تعالى لم ينصب من
خلقه الهة يعبدون من دونه على ما قال تعالى اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون اي لم نجعل ذلك وقال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ومن جهة دليل العقل ان خلقة كل
انسان تشهد بالتاليف والتركيب بوحدانية صانع واحد

فخلقته تشهد انه عبد لمعبود واحد عبودة ايجاد
وتخليق اذ خلقته لم تتحقق الا بصانع واحد اذ في القول
بالعدد بطلان وجوده بدليل التمانع فتشهد وجوده
بايجاد واحد فبطل كل معبود سواه

واما قولهم قديم بلا ابتداء

فهذا منهم تصريح بان الله تعالى قديم ازلي وقولهم بلا
ابتدا تاكيد منهم لقدمه تعالى بالازل حقيقة من غير
تجدد اولية اذ قد يطلق اسم القديم على ما لوجوده
ابتدا كما يقال هذا بنا قديم وشيخ قديم ونحو قوله
كالعرجون القديم يراد به تقدم وجوده على نظيره
في الحدوث والقديم في اسما الله تعالى معناه انه ازلي
لم يزل واجب الوجود لذاته قديم باسمائه وصفاته
بلا ابتدا على ما مر بيانه في فصل اثبات حدث العالم وقدم
الصانع بالبراهين القطعية ثم الاصل في اسما الله تعالى

التوقيف

التوقيف الشرعي بكتاب ناطق او خبر متواتر ولا يوجد
في الكتاب في اسمايه تعالى لفظة القديم ولا في المتواتر
وانما ورد في بعض الاخبار الاحاد والعقايد انما تبنى
على الدلايل الموجبة للعلم قطعا وقد اطبق العقلا من
الاولين والاخرين على تسمية صانع العالم قديما وفي
هذا دلالة واضحة على كون العقل حجة من حجج الله تعالى
وقال الله تعالى في اثبات قدرته وسلطانه وكمال صفاته
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل
شي قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو بكل شي عليم قال امام الهدى ابو منصور
رحمه الله قوله تعالى له ملك السموات والارض وجوه
احدها هو المالك لكل ملك في السموات والارض
كقوله مالك الملك والثاني هو الذي افتقر الخلق واحوجهم
اليه والثالث هو القاهر الغالب العالم بالاشيا على
حقيقتها وقوله يحيي ويميت اي يحيي من شا ويميت من شا

وهو على كل شئ قدير من الاحيا والامانة وغيرهما وقوله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن هو حرف التوحيد ومعناه
هو الاول بذاته بلا ابتدا والاخر بذاته بلا انتهاء والظاهر
بذاته والباطن بذاته وهذا قول اهل الحق في معناه ثم
قال ابو منصور رحمه الله وصف تعالى نفسه بهذا لئلا يفهم
من اوليته ما يفهم من اولية غيره ولا يفهم من اخريته
ما يفهم من اخرية غيره وكذلك لا يفهم من ظاهريته ما يفهم
من ظاهرية غيره ولا من باطنيته ما يفهم من باطنية غيره
وهذا كما اخبر تعالى بانه عظيم لطيف وكل حرف منهما
في الشاهد مما يناقض الاخر وينفيه فان ما عظم في الشاهد
لم يلطف وما لطف منه لم يعظم في الشاهد فذكر هذه
الاسما لنفسه لئلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة غيره
وكذلك لا يفهم من سائر صفاته ما يفهم من صفات غيره والله الموفق

واما قولهم دايم بلا انتهاء

فهذا منهم اقرار بانه باقي بذاته قديم لم يزل فهو باقي لا يزال
لان القديم يستحيل عليه التغير والزوال فقالوا انه
دايم بلا انتهاء ليعلم ان دوامه تعالى ليس يتعلق بالزمان
كلما مضى زمان يحدث زمان كدوام الاخرة بل هو
الاول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء

واما قولهم لا يفنى ولا يبيد

قال القاضي ابو حفص الغزنوي جمعوا بين اللفظين تاكيدا للدوام
وبقايه فارادوا بنفي الفناء نفي تلاشي الذات وارادوا بالثاني
نفي بطلان الحيوة اذ تلاشي الذات وبطلان الحيوة محال
في صفات الله تعالى لقدمه الثابت بغير علة اذ هو واجب
الوجود لذاته فهو واجب البقاء لذاته

واما قولهم ولا يكون الا ما يريد

قال الغزنوي في شرحه والنسفي في اصوله انما قالوا ذلك

لان كل موجود سواه فهو بتخليقه وتكوينه وارادته فلا يكون
بغيره ايجاد شي اذ لا خالق غيره ولا موجد سواه لما مر من الدلايل
القاطعة على كون العالم بجميع اقسامه واجزائه مصنوع واحد
قديم وقد علقوا وجود العالم بالتكوين والارادة فيقع الكلام
ههنا في اثبات الصفات لله تعالى فنقول قال اهل الحق ان
التكوين صفة ازلية قايمة بذات الله تعالى كصفة العلم
والقدرة والسمع والبصر فكان التكوين ازليا والمكون
حادثا كالقدرة كانت ازلية والمقدور حادثا وكذا الارادة
صفة ازلية قايمة بذات الله تعالى والمراد حادث
فيكون التكوين لكل مكون تكوينا له لوقت وجوده كارادة
وجود كل موجود يكون ارادة لوجوده لوقت وجوده
قال سيف الحق ابو المعين النسفي اعلم بان التكوين
والتخليق والخلق والايجاد والاحداث والاختراع اسماء
مترادفة يراد بها كلها معنى واحد فتخص استعمال لفظة التكوين
اقتفاء للاثار اسلافنا رحمهم الله اما الارادة فقد قال اهل اللغة ان

ان الارادة مشتقة من الرود والرود يذكر ويراد به الطلب
ولهذا اسموا طالب الكلاء رايدا ومنه المثل السائر الرايد لا يكذب
اهله ومنه قولهم جارية رودآء لما انها تمايل في مشيتها الا انه
استعمل في الطلب لما ان الطالب للشي يميل في مشيه تارة
الى اليمنة وتارة الى اليسرة ليتبين مطلوبه من غيره فيجوز
ان يكون الاصل فيه الطلب الا انه استعمل في الميلان
لما الميل في العادات لن يكون الا لطلب شي يأمله فسمي
الميل رودا الا انه اسم ما هو المقصود منه هذا هو ماخذ
هذه اللفظة في اللغة واما حدها فقد قيل انها معنى ينافي الكراهة
والاضطرار ويوجب لمن هي له القصد والاختيار فتكون
فايدتها على هذا التحديد كون الموصوف بها مختارا فيما فعله
غير مضطر اليه لوجود ما ينافي الكره والاضطرار وهو الاختيار
وقيل في تحديدها انها معنى يوجب اختصاص المفعول
بوجه دون وجه اذ لولا الارادة لوقعت المفعولات
كلها في وقت واحد على هيئة واحدة وصفة واحدة فاذا

خرجت المفعولات على الترادف والتوالي وعلى النظام
والاتساق وعلى الهيآت المختلفة والصفات المتباينة
على حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة كان ذلك دليلا على
اتصاف الفاعل بالارادة اذ لولا الارادة لما كان وقت لوجود
المفعول اولى من وقت ولا هيئة اولى من غيرها ولا صفة
ولا كمية ولا كيفية اولى مما سواها ثم ان هذا المعنى الذي
تحصل به هذه المعاني ارادة لما ان الفاعل اذا فعل شيئا في وقت
على هيئة وصفة فقد طلب هذا الوجه لهذا المفعول دون
ما سواه من الوجوه اذ مال الى تخصيصه بهذا الوجه دون
غيره من الوجوه والمراد بلفظة الارادة عند المتكلمين
هو هذا المعنى الذي بينا وهو كون الموصوف بها مختارا
في فعله او خروج مفعولاته على وجه دون وجه وهي
بعينها المشية عندهم فالارادة والمشية عند المتكلمين
لفظان ينبئان عن معنى واحد لم يفرق بينهما احد من المتكلمين
الا الكرامية فانهم زعموا ان المشية صفة لله تعالى ازلية
والارادة

والارادة غير المشية وهي حادثة عندهم في ذات الله تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا واذ عرفت الارادة بحدها فنقول
قال جمهور الائمة ان الله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة
وقال النظام ومعتزلة بغداد كالكعبي واستاذه ابي الحسين
الخياط ومن تابعهم ان الله تعالى لا يوصف بالارادة على
الحقيقة بل يوصف بها بطريق المجاز فقالوا فاما اذا اضيف
الى فعل الله فمعناه انه امر به قالوا لان الارادة هي الشهوة
فلو كان تعالى مريدا لكان مشتهيا وذلك لا يجوز ووجه اهل
الحق على ان الله تعالى مريد وقوع المفعولات المتجانسة
على اوصاف مخصوصة يجوز وقوعها على غيرها وكذى
على هيئات مخصوصة في امكنة مخصوصة وازمنة مخصوصة
فيعلم عند تجانسها ان وقوعها على هذا الاختلاف في هذه
الوجوه لم يكن من اقتضاء ذواتها فعلم ان ذلك لارادة الفاعل
على ذلك لولاها لما وقعت على تلك الوجوه مع مساواة غيرها
من الوجوه في جواز الوقوع وبها يستدل على كون الفاعل

فقيل اراد الله كذى فمعناه انه
فعل وان كان من ذلك فعل غير الله

في الشاهد يريد لما فعله كالبناء والكتابة وغيرهما
ولانه لو لم يكن مريدا لكان مضطرا في افعاله والمضطر
عاجز محل لنفوذ قدرة غيره فيه اذ ما وجد في المضطر
من الفعل محض تخليق غيره ولا اكتساب له فيه ولا قدرة
له عليه ومن هو بهذه الصفة وهو محدث ومن الدليل
على بطلان قول المخالف ان الارادة اذا اضيفت الى فعل
غير الله يراد به الامر قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا فيلزمهم احد وجهين اما ان يقولوا انه لم يامرهم
بالايمان نصرة لمذهبهم واصرارا على هواهم فيلزمهم
الانسلاخ لتكذيبهم نصوص الامر بالايمان للكل او يقولوا
امر بالايمان ولم يوجد الايمان منهم جميعا فكان فيه
تناقض وتكذيب واثبات الخلف في خبره وذلك محال
وقولهم ان الارادة شهوة فذلك منهم تلبيس اعتمدوه لنفي
الصفة عن الله تعالى لان الشهوة ارادة مخصوصة وهي
ارادة ما فيه نفع للمريد والله تعالى لا ينتفع بشي فلا يكون
ارادته

ارادته اشتهاء بل ارادته صفة ربوبية ولا يجب ان يفهم من
ارادة الله تعالى ما يفهم من ارادة خلقه كما لا يفهم من فعله
وعلمه وسائر صفاته ما يفهم من صفات خلقه فان العلم
في الشاهد يكون باعتبار القلب وكذا الفعل في الشاهد
يكون بالعلاج وبالالة وتعالى الله عز وجل عن معاني خلقه
وقد قامت الدلايل القاطعة من العقليات على ما ذكرنا
ومن السمعيات نحو قوله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
وصف نفسه بالمشية والارادة فيثبتان على الحقيقة
اذ ثبوت الصفة له على المجاز محال لانه نقص ومن شرط
القديم الكمال وقال تعالى انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول ٢٠
له كن فيكون ه

واما قولهم لا تبلغه الاوهام

ولا تدركه الافهام

قال اقضى القضاة ابو حفص الغزنوي رحمه الله الوهم هو ما يرجح

كونه والفهم هو ما يحصله العقل ويحيط به والله عز وجل
ليس بذي كيفية فيتطبع في الاوهام وليس بذي حد فيبلغ
العقل كنهه بل هو متعالي عن ان يحيط به شيء اذ المحيط
اشرف من المحاط به والقديم يترفع عن احاطة شيء به
قال الله تعالى ولا يحيطون به علما وقال الله تعالى ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء قال الامام ابو منصور
رحمه الله هذه الاية حجة ورد على المعتزلة في نفيهم
العلم عن الله تعالى وقد وصف نفسه به واخبر
ان له العلم وقوله تعالى الا بما شاء يحتمل الا علم الغيب
فانهم لا يعلمونه كقوله قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ويحتمل لا يعلمون من علم جميع
الاشياء الا قدر ما يعلمهم الله تعالى ويخلق فيهم من
العلوم الضرورية والاختيارية كقول الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا وقال تعالى لا تدركه الابصار
والادراك في اللغة هو النفوذ والاحاطة باطراف الشي

الشيء وجوانبه والله تعالى يتعالى عن ذلك لانه خالق الحدود
والنهايات وغلطت المعتزلة حيث حملت نفي الادراك
على نفي الرؤية والله عز وجل تمدح بنفي الادراك وهو
الاحاطة اذ المحاط محصور فتمدح الله تعالى عن ان يحيط
به شيء ويحصره وكم من شيء لا يدرك اذا لم ير فلا يمدح
في مجرد نفي الرؤية اذ لا يدرك غيره اذا لم ير فكان
التمدح في نفي الادراك مع الرؤية ولان الرؤية مشاهدة
الموجود على ما هو به كالعلم فكما يعلم بلا كيفية ولا
ماهية فكذلك يرى بلا كيفية ولا ماهية ولان الرؤية
اثبات وتحقيق فلا ينافي الكمال بل يلايمه ويحققه
اذ الرؤية من صفات الموجود والله تعالى موجود واجب
الوجود لذاته فكان جائز الرؤية عقلا وقد ثبت
بورود الشرع فوجب الاعتقاد بانه مرئي بلا كيفية
ولا ماهية كما عرف بلا كيفية ولا ماهية ولا احاطة وانما
تاخرت الرؤية الى الاخرة لاثبات محنة الايمان عن غيب

بالإسناد لا بالآيات عن اختيار إذ لا إيمان ينفع عند
العيان لأنه يقع اضطرارا ولذلك لم ينفع إيمان الكفرة
في الآخرة لوقوعه في دار العيان وإنما الكلفة ببذل
المجهود في الوصول إلى معرفة المعبود والإيمان به عن
غيب بالإسناد لا بشهادة الآيات عن اختيار
مع مجاهدة نوازع النفس ودفع الشبهات فكان تأخير
الرؤية إلى الآخرة لإثبات المحنة بالأوامر والنواهي
لعاقبة الجزاء في دار البقاء

وأما قولهم ولا يشبهه الأنام

قال الغزنوي رحمه الله هذا منهم نفي لمشابهة الأنام
إياه تعالى عن صفات الحدث الموسومة بالكيفية
وقد وجب نفي المماثلة والمشابهة بين الله تعالى وبين
العالم من جميع الوجوه بالدلائل القاطعة العقلية والسمعية
على ما سبق بيانها عند شرح قولهم ولا شيء مثله قال الشيخ الإمام

الإمام نجم الدين أيده الله ثم معنى الأنام قيل الأنام كل ذي
روح وقيل هو جميع الخلائق كذا ذكر في كتاب
التأويلات في قوله تعالى والأرض وضعها للأنام قال
الإمام أبو منصور رحمه الله هو عندنا كان المراد به
البشر حيث أخبر أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض
جميعا منه ثم أخبر أنه وضع الأرض للأنام قال
الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله فإن كان
فقهاء الملة رحمهم الله أرادوا بالأنام جميع الخلائق فلا
إشكال أن مشابهة الخلائق منفية عن الله تعالى بالنص
المحكم المذكور على نسق ذكر أقسام العالم من السماوات
والأرض والبشر والأنعام بقوله تعالى ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وإن كانوا أرادوا بالأنام كل
ذي روح فقد دخل تحت لفظة الأنام الملائكة والبشر
والجن وكل ذي روح سواهم فإذا نفوا عن الله تعالى
مشابهة هؤلاء الموصوفين بالحياة والقدرة والفعل

الاختياري فقد نفوا مشابهة ما دونهم من سائر المخلوقات
بطريق الاولى وان كانوا ارادوا بالانام البشر فكذلك
اذ المقصود تخليق العالم هم البشر لقوله تعالى وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض جميعا فكان نفي
مشابهتهم عن الله تعالى نفيا لمشابهة من سواهم من الخلايق
من طريق الاولى وحمل تلفظهم بالانام على ارادة البشر
اولى لانهم علموا ان اليهود لعنهم الله مجسمة وقد
تبعتهم من هذه الامة طوايف التجسيم والتشبيه
وصفوا الباري تعالى بانه جسم على صورة البشر وكذلك
النصارى مشبهة حيث وصفوا الباري تعالى بالولد
والصاحبة فارادوا بقولهم ولا يشبهه الانام الرد
عليهم على المبالغة في تنزيه الله عز وجل وتنزيهه
عما لا يليق به مع نفيهم مشابهة العالم عن الله
تعالى بقولهم ولا شيء مثله في صدر فصل
التوحيد وبالله التوفيق

واما قولهم

واما قولهم حي لا يموت

معناه ان الذي شهد العالم بجملته وبكل جزء من
اجزائه بشهادة الخلقة ودلالة الصنعة بالسنة
التسخير والتاليف والتركيب والتصوير على وحدانيته
والوهيته وقدمه ودوامه هو حي لا يموت وعلى
ذلك خاطب الله تعالى كافة العباد ودلهم على الوحدانية
والالوهية والقدرة والحيوة والعلم والحكمة
والتدبير والسلطان بعجايب مصنوعاته وبدايع مفعولاته
فقال عز وجل الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم هو الحي لا اله الا هو ففي هذه الاية دلايل
العقول والحكمة وحجج السمع فبدا بذكر الاله الصانع
بقوله ذلكم الله ربكم ثم ذكر الصنع بقوله الذي جعل
ثم ذكر المصنوع بقوله الارض ثم ذكر دلالة المصنوعية

بقوله قرارا اي جعلها مع سعتها وعظمها على هيئة يقرون
عليها ويفترشونها ويتعيشون فيها وهي موات مسخرة مصنوعة
محدثة ليست بقديمة اذ القديم يرتفع عن التغير
والمهانة ويتعالى عن اوصاف النقص والموانية وهذه
فراش مبسوط يفترشها الخلائق مسخرة مذللة لا تدفع عن
نفسها مع سعتها وعظمها القاء الاقذار عليها وشق الاخاديد
والانهار فيها فثبت كونها مصنوعة محدثة عاجزة مسخرة
ولم تكن محدثة لنفسها لاستحالة الصنع من المعدوم
ولامتناع الايجاد من المحدث مع كونه حيا فاعلا مختارا
فثبت وجودها وحدوثها بصانع قديم حي واحد وهو الله
تعالى اذ لو كان الصانع عددا لم يتحقق وجودها بدلالة التمانع
ثم قال تعالى والسماء بناء اي سقفا محفوظا قايما في الهواء
بلا علاقة ولا عمد وهي مع سعتها وعظمها وغلظها وصلا
بتها موات مسخرة لم تكن بنفسها بل بصانع واحد قديم
حي قادر امسكها في الهواء عن السقوط بقدرة ذاتية ازلية وهو

وهو الله تعالى ثم جعل منافعهما مع بعد ما بينهما متصلة
ليعلم ان ذلك كله صنع واحد ثم خاطب العقلاء في
تصوير جوهرهم وتركيب ابدانهم لينظروا في آيات
الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته وحكمته فقال
عز ذكره وصوركم وهم يعلمون انهم كانوا امواتا نطفا سلت
من صلب الذكر وترايب الانثى ثم صارت في قرار مكين
في ظلمات ثلث قد انقطع عنها تدبير الابوين وساير الخلايق
ولو كانت موضوعة على لوح او طبق واجتمع حكماء
العالم على ان يصوروا منها شيا لم يقدروا ويحال توهم عمل
الطبايع فيها لانها موات عاجزة لا توصف بحيوة ولن
يتاتى من الموات فعل وتدبير ثم دل الصانع القديم على
معرفة وحدانيته وربوبيته باثار صنعه بالتصوير والتركيب
اذ لا صورة الا بمصور ولا تركيب الا بمركب ودل على معرفة
حكمته وعلمه باثار الاتقان والاحكام بقوله فاحسن
صوركم قال امام الهدى ابو منصور رحمه الله فيه وجهان

فأحسن أي أحكم وأتقن في الدلالة على معرفة وحدانيته وربوبيته
على ما أظهر في كل شيء من الدلالة على الوحدانية والربوبية والقدرة
والحكمة والثاني فأحسن صوركم أي أحسن تركيبها
منتصبا فإنها غير منكبة كسائر الصور المنكبة على وجهها
ثم ذكرهم تعالى بنعمه عليهم فيما تقوم به أنفسهم فقال ورزقكم
من الطيبات قال الإمام أبو منصور رحمه الله الأوجه
أن يكون معناه أي رزقكم من أطيب ما أخرج من الأرض
لأنه أخرج منها نباتا مختلفا فجعل أطيبه وألينه رزقا
للبشر وسائره رزقا للدواب ثم قال ذلكم الله ربكم
أي ذلكم الذي صنع بكم هذا هو ربكم لا أحد سواه فتبارك
الله رب العالمين ثم قال هو الحي لا إله إلا هو قال المفسرون
أي هو الحي الذي لا يموت أبدا قال الإمام أبو منصور رحمه الله
هذا يعرفه كل أحد لكن الأصل في معنى الحي هو النهاية والغاية
في الثناء عليه بالمدح والكمال وفيه أن الفعل المحكم لن يتأتى
إلا من حي قادر عليم سميع بصير حكيم يجري العلم بذلك مجرى

مجرى المعارف البديهية الضرورية حتى أن العقلاء بأسرهم
ينسبون من يضيف نسج الديابيج المنقوشة وتحصيل التصاوير
المونقة وبناء القصور العالية واتخاذ السفن الجارية
وتجر الخشب على الاعتدال إلى ميت عاجز جاهل إما إلى
الحماقة والغباوة والجنون المطبق وإما إلى العناد والمكابرة
ولا يتخالج بهم في ذلك ريب ولا شك وحاصل هذا كله
أنا عرفنا صفات الكمال في الشاهد من الحياة والعلم والقدرة
والسمع والبصر بتعاقب أضدادها التي هي صفات النقص
من الموت والجهل والعجز والصمم والعمى وعرفنا ثبوت
صفات الكمال في القديم لمعرفتنا باستحالة ثبوت النقائص
في حقه وعرفنا ثبوت القدرة والعلم بدلالة المحدثات
عليهما إذ لا فعل يتأتى بدون القدرة ولا إحكام يحصل
بدون العلم وعرفنا ثبوت الحياة بطريقين عند جماعة
من أصحابنا بدلالة المحدثات عليها إذ إحكام الفعل
كما لا يتصور إلا من قادر عالم كذلك لا يتصور إلا من حي

بحقيقة ان الحيوة لذات ما لا يعرف في الشاهد الا بوجود
الافعال الاختيارية وعند وجودها يقع التيقن بثبوت
الحيوة بحيث لا مجال للريب في ذلك ويعد الشاك سوفسطائيا
متجاهلا وكما يستدل بالفعل المحكم المتقن على كون الفاعل
قادرا عالما يستدل به على كونه حيا وتمكن في فطر
العقول بطلان وجود ذلك من غير حي على ما قررنا بالدليل
القاطع وعرفنا ثبوت الحياة عند جماعة من اصحابنا بدلالات
العلم والقدرة بواسطة الفعل فان الفعل يدل على علم
الفاعل وقدرته ويستحيل ثبوتهما بدون الحيوة اذ
الحيوة شرط ثبوتهما اذ الموت والجمادية يضادان العلم
والقدرة فان العقول السليمة كما تابى قبول قول من اخبر
عن اجتماع الموت والحيوة والسواد والبياض والحركة
والسكون في ذات واحد في وقت واحد كذلك تابى قبول
قول من يجوز ثبوت العلم والقدرة للميت ولو جاز اجتماع
العلم والقدرة مع الموت لجاز ان يكون كل نساج نفيس وكل

وكل صورة مونقة وكل قصر عالي في العالم كانت حاصلة
عن فعل الجمادات والموتى ولعل كل تصنيف دقيق في فن
من العلوم كان من عمل الموتى والجمادات ويجوز هذا
كله هذيان وخروج من قضية العقول والتحاق
بالسوفسطائية فثبت بما بينا من الدلايل العقلية والحجج
السمعية ان صانع العالم موجود قائم بذاته حي قديم
باقي قادر عالم سميع بصير متكلم خالق مريد حكيم
واحد ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس يشبه
لشي من المحدثات اذ قد اقمنا الدلايل القاطعة على كون
العالم بجميع اقسامه كان معدوما واثبات المصنوعية
فيهما بادية ظاهرة على ما بينا فيستحيل فيستحيل
وجوده بلا صانع كما بينا استحالة وجود الابنية المحكمة
في الشاهد بلا باني ويستحيل وجوده من غير موجود
اذ لا صنع للمعدوم ويستحيل وجوده من غير قايم بذاته
لما ان القايم بغيره محدث ويستحيل وجوده من غير حي اذ الميت

لا يتاتى منه صنع ويستحيل وجوده من غير قديم باق بذاته
اذ ما سواه محدث يستحيل منه ايجاد المعدوم ويستحيل
وجوده من غير قادر بذاته اذ القادر بغيره لا يقدر على
شئ بل صفة ذميمة موجودة فيه فلان لا يقدر على ايجاد
المعدوم اولى واظهر ويستحيل وجوده من غير عالم اذ
لا يتاتى منه احكام الفعل واتقانه والعالم مفعول محكم
متقن ويستحيل وجوده من غير سميع اذ الاصم ناقص
والناقص لا يكون الها ويستحيل وجوده من غير بصير
لمعنى النقص وكذى يستحيل وجوده من غير متكلم اذ
ضد الكلام نقص ويستحيل وجوده من غير خالق
اذ التخليق اخراج المعدوم من العدم الى الوجود وعدم
ذلك المعنى في الازل نقص والناقص لا يكون الها ويستحيل
وجوده من غير مريد لانعدام المعنى الذي به يكون تخصيص
المفعولات ويستحيل وجوده من غير حكيم لانعدام
الاحكام والاتقان قال سيف الحق ابو المعين وسائر ائمة
الهدى

الهدى هذه المعاني كلها توجب الكمال فكانت من شرط
القديم واضدادها نقص والناقص لا يكون الها ويستحيل
وجوده من غير واحد لما في العدد من التدافع والتمانع
الموجب لتعطل المصنوع حتى يتحقق الغالب الواحد
وقد تحقق وجود المصنوع فتحقق وحدانية الصانع
ويستحيل وجوده من جسم لما دل الجسم على كونه مصنوعا
والمصنوع لا يكون الها وكذى العرض والجوهر للزوم
الحدثية والمصنوعية اياهما وكذى يستحيل وجود العالم
من شبيه للعالم لما في ذلك من لزوم دلالة الحدث وتعطل
القدم قال الله تعالى في اثبات الالوهية والوحدانية
لنفسه مخاطبا لكافة العقلاء من خلقه والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال في اثبات ملكية
العالم لنفسه ونفي المشابهة فقال فاطر السموات والارض
ثم اتبعه بذكر خلق البشر والانعام ثم اتبعه بذكر نفي المماثلة
على المبالغة فقال ليس كمثله شئ وهو السميع البصير

وقال في اثبات الازلية والبقا هو الاول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم وقال في نفي الشريك والعدد
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وقال وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقال في اثبات خالقية
كل الاشياء لنفسه واستحقاق العبادة والالوهية على
الانفراد فقال ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
فاعبدوه وذكر في اثبات الالوهية وكمال القدرة ونفاذ
الارادة والبقا والعظمة والحيوة الازلية الباقية لنفسه
فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بناء وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم
وقال هو الحي لا اله الا هو وقال ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

واما قولهم قيوم لا ينام

اقروا

اقروا واثبتوا قبل هذا بان صانع العالم حي لما قامت الدلايل
القاطعة ان اثبات الحيوة اصل في اثبات صفات الكمال
لما في نفي الحيوة نفي السمع والبصر والعلم والقدرة والارادة
وفي القول بتعري ذات الباري تعالى عن شيء من صفات الكمال
اثبات ضده وهو محال على القديم وقد اثبتوا ههنا بانه
تعالى قيوم لا ينام وفي معنى القيوم وجهان قال قايلون
القيوم هو القايم على كل نفس بما كسبت وقال آخرون
القيوم هو الحافظ قال الامام ابو منصور رحمه الله القيوم
والقايم والقيام يرجع الى معنى واحد وقولهم لا ينام نفي
للنوم والسنة والسهو والغفلة وفي القيوم وصف
اياه تعالى بالقيام بمصالح الخلق وارزاقهم وانه قايم على
كل شيء بحفظه وتعاهده وتصريفه فيما شا وفيه نفي
السهو والغفلة عنه قال الله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
وقد سمى الله تعالى نفسه حيا قيوما مع تجريد الالوهية

والوحدانية في غير موضع من كتابه فقال الله تعالى لا اله الا هو
الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وقال وعنت الوجوه للحي
القيوم قالوا ومعنى الحي هو الحي بذاته لا بحيوة هي غيره كالخلق
فانهم احيا بحيوة هي غيرهم لذلك حل فيهم الموت فاما الله
تعالى فهو حي بذاته اي ان الحيوة صفة ذاتية ازلية له لا هو
ولا غيره فيستحيل ان يحله الموت اذ الازلي يستحيل عليه العدم

واما قولهم خالق بلا حاجة

منعوا عنه الحاجة اذ الحاجة نقص يفتقر المحتاج الى دفعه
والقديم يستحيل في حقه طريان ما يفتقر الى رفعه ودفعه
فيتعالى عن مساس الحاجة قال الله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقرا الى الله والله هو الغني وقال ان الله لغني عن العالمين
بل اوجد العالم لحاجات المحتاجين من جلب المنافع بالطاعة
ودفع المضار باجتناب المعصية قال الله تعالى وما خلقنا
السما والارض وما بينهما لاعبين اخبر تعالى انه لم يخلق السموات والارض

والارض وما بينهما لعبا باطلا على ما اعتقدا ولئك الكفرة
بان تكون السما سما والارض ارضا لا لتكونا وما بينهما دليلا
على صانع حكيم مستحق للشكر فيفعلوا ما شاؤوا وينتفعوا
بمنافع السما والارض ثم يموتوا ويتلاشوا بلا عاقبة بعث
ولا جزا ولا حساب على ما شكروا او كفروا فيكون على زعمهم
انشا السموات والارض وانشا ما بينهما لعبا باطلا فرد الله
تعالى عليهم ظنهم وزعمهم واخبر انه خلقهما وما فيهما لعاقبة
ارادها وهو ان يمتحن اهلهما بالاوامر والنواهي اذ في الشاهد
من عمل عملا لا يقصد به عاقبة فهو عابث ويتعالى من دلت
المصنوعات على قدمه ووحدانيته وحكمته ان يكون فعله
عبثا ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون اخبر انه لو لم يكن رجوعهم اليه بعد موتهم
وفنائهم لكان خلقه اياهم عبثا ثم نزه تعالى نفسه عن
ان يكون فعله عبثا بقوله فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو
رب العرش الكريم وقال وما خلقنا السما والارض وما بينهما

باطلا ثم بين ان ذلك ظن من قال ذلك ظن الذين كفروا ثم بين
جزاء ظنهم وكفرهم بالصانع وانكارهم البعث بقوله فويل للذين
كفروا من النار وقال الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق
وقوله الم تر حرف تنبيه عن اعجوبة قال ابو منصور رحمه الله
فان كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصير كانه
قال قد رايت وعلمت ان الله تعالى خلق السموات والارض
بالحق وان كان الخطاب لاوليك يقول اعلموا ان الله خلق
السموات والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا ثم قوله بالحق
قال عامة المفسرين بالحق اي للحق قال ابو منصور رحمه
الله معنى قولهم للحق اي للامر الكاين لا محالة وهي الاخرة
لانه خلق العالم الاول للعالم الثاني فان المطلوب من خلق
هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلق السموات والارض
في الحاصل للثاني لا للاول لانه لو كان للاول دون الثاني لحصل قف
خلقهما للفناء فان فنا هذا العالم متحقق وهم البشر الذين
سخر لهم ما في السموات وما في الارض جميعا يموتون ويفنون حصهم

حقيقة ومعلوم ان الخلق للفنا خاصة بلا عاقبة خارج عن
الحكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون وقال اخرون قوله بالحق اي بالحكمة
والحكمة ما نصب فيهما من ايات الوحدانية والالوهية
وكمال القدرة والعلم والحكمة والاستغنا عن كل شي وقال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وتاويله عند
اهل الحق اي لامرهم بعبادتي وانهاهم عن معصيتي فكان
خلق الخلق لحاجتهم لا لحاجته اذ هو غني بنفسه عن العالمين

واما قولهم رازق بلا مؤونة

فانما قالوا ذلك لانه تعالى يرزق خلقه بلا كسب ولا علاج
ولا استعانة بسبب لان جميع ما يريد يكون بالتكوين
على ما قال تعالى انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
فلا تلحقه المؤونة لانه كامل القدرة كامل الغنى اذ قدرته
بذاته لا بقدرة مستفادة وغناه بنفسه لا بغيره فتعالى

عن لحوق المؤونة والكلفة لكنه تعالى خلق العالم الاول
وهي الدنيا للاستعباد والمحنة بالاوامر والنواهي وخلق
العالم الثاني وهي الآخرة للجزاء والوفاق خالدين فجعل
امور الدنيا معلقة بالاسباب امتحانا وابتلاء على ما قال
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وجعل
اهلها بعضهم لبعض سخريا على ما قال تعالى وجعلنا بعضهم
لبعض سخريا وجعل منافع السماء وهي الكواكب والشمس
والقمر والامطار متصلة بمنافع الارض وهي اخراج
النبات والزروع والاشجار لاظهار دلائل الوحدانية
والالوهية ولاظهار آثار الحكمة البالغة والمشية النافذة
وخلق اصل البشر وهو آدم صلوات الله عليه من صلصال
كالفخار وخلق نسله من ماء مذر لاظهار الآيات والعبر
وخلق الملائكة من نور ومما شاء على ما ورد في الخبر
وخلق الجان من مارج من نار وخلق للعاقبة الباقية
دارين الجنة والنار وقدر الخير والشر وضرب الآجال والمقادير

بلغ

والمقادير وكل شيء عنده بمقدار وامتحن الملائكة
بمحن متنوعة بعضهم بالكون مع السحاب والامطار
وبعضهم بكتبة اعمال البشر وكل شيء قبل الخلق عنده مسطر
وجعل السماء مع سعتها وعظمها قائمة في الهواء بلا علاقة
ولا عمد بالقدرة القاهرة وكذا جعل السحب الثقال
الماطرة وعليها بحور الماء قارة على متن الهواء بلا علاقة من
فوق ولا عمد من تحت وهي اعجوبة مشاهدة نصبها الله تعالى
اظهارا لآثار القدرة والحكمة وليعلموا انه يرزق خلقه
بلا مؤونة وانه امتحن البشر بالشكر والصبر بالاسباب
المذكورة وكل ذلك للمحنة لا للاستعانة وكفى ذلك دليلا
على تحقيق ذلك قيام السماء مع عظمها وسعتها في الهواء
وقيام السحاب الثقال مسخرا بين السماء والارض والله الموفق

وأمّا فوقهم ممتنٌّ بلا مخافة

فانما قالوا ذلك لاستحالة ورود الضرر عليه منهم حيث

اخرجهم الى الوجود من العدم ثم خولهم وقوتهم به لا
بانفسهم فلم تكن اماتته اياهم لمخافة منهم اذ هو العزيز
القهار المنفرد بالدوام والبقاء القاهر لعباده بالموت
والفناء انشاهم ليكون انشاؤه دليلا لهم على ان لهم موجدا
قديما اوجدهم بقدرته لا لحاجته بل لظهور عظمته
وتعاليه وكذلك جعل مماتهم دليلا على تفرده بالعز والبقاء
فكان من كمال قدرته ان اوجدهم من العدم ومن كمال
حكمته ان اماتهم ليعيدهم بعد التلاشي والعدم ليجازيهم
في دار البقاء والدوام اعلاما لهم انه ما بناهم ليهدمهم بلا
عاقبة البعث والاعادة فيكون سفها وعبثا تعالى عن ذلك
اذ هو القديم الحكيم ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان الخلق لا لعاقبة البعث
والرجوع اليه يكون عبثا ثم نزه ذاته القديم عن ان
يكون فعله عبثا بقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو
رب العرش الكريم ∴ واما قولهم

واما قولهم باعث بلا مشقة

فانما قالوا ذلك لان الله خلق العالم بلا مشقة بالتكوين
القايم بذاته على ما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فتعالى في بعثهم واعادتهم بعد موتهم
وتلاشيهم عن لحوق المشقة بل الاعادة في عقول الخلق
اهون من الانشاء والابداء قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول
اي ما عيينا بالخلق الاول فكيف نعيي بالخلق الثاني وقال
تعالى ولقد علمتم النشاة الاولى وقال منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال جوابا للذي
انكر البعث وضرب مثلا وقال من يحيي العظام وهي
رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو الى قوله اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم وذكر تعالى في الكشف عن احوال
النشاة الاولى لالزام الحجة على منكري النشاة الثانية

وهي البعث بعد الموت فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم قوله فانا خلقناكم
قالوا معناه اي خلقنا اصلكم وهو ادم من تراب وخلقنا
اولاده من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اي كيف
تشكون في البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث
الا ان تصيروا ترابا وماء في اخر امركم وقد كنتم في مبادي
احوالكم ترابا وماء فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ماء وترابا
قال امام الهدى رحمه الله وفيه تاويل اخر فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فلو اجتمع
حكماء البشر ليعرفوا المعنى الذي خلق البشر من ذلك التراب
او من النطفة ما قدروا عليه اذ ما وجدوا في التراب والماء
اثر البشر ولا وجدوا فيه معنى البشرية فمن قدر على ابتداء
انشاء هذا العالم من التراب او من النطفة من غير ان يكون
في الاصل اثر ما خلق منه ولا معناه فهو قادر على اعادتهم اعاده

الخلق
واعادة الشيء في عقول اهون من الابتدا فمن قدر على
الابتدا فهو على الاعادة اقدر وقوله تعالى من مضغة
مخلقة وغير مخلقة قال قائلون مخلقة اي مخلوقة خلقا
وغير مخلقة اي مني وكذا نطفة على حالها غير مخلوقة خلقا
وقال اخرون قوله مخلقة اي تامة وغير مخلقة اي غير
تامة خلقا على ما يشاء قال ابو منصور رحمه الله وهذا
اشبه لان التشديد انما يذكر لتكثير الفعل فكانه قال
مخلقة اي قد اتم خلقها من الجوارح والاعضاء وغير مخلقة
اي غير تامة خلقها ناقصة وقوله لنبين لكم فيه وجوه احدها
يبين قدرته وسلطانه اي من قدر على تحويلهم وتقليبهم
من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية بعد اعدام
الترابية بحيث لم يبق من اجزاء التراب شيء ومن حال النطفة
الى حال العلقة ثم الى حال المضغة بعد اعدام الاولى
فهو قادر على البعث والاحياء بعد ما صاروا ترابا وتلاشت
اجزاؤهم فليس في موتهم وفنائهم الا هذا وعلى هذا انشاهم

ابدًا فلذلك ينشيهم اعادةً والوجه الثاني اي تبين علمه
في الظلمات الثلث التي كان هو فيها ان كيف قلبه من حالٍ
الي حالٍ في تلك الظلمات وركب فيه عينين يبصر بهما
بفتحةٍ واحدةٍ الي السما مسافة خمس مائة عامٍ لينظر اليها
فيتاملها قايمةً في الهوا مسخرةً مبنيةً منضدةً مرتبةً محفوظةً
بلا علاقةٍ ولا عمدٍ ثم الي نفسه اي يتامل في نفسه ثم ينظر
الي الارض والي ما فيها ليستدل بالصنعة علي الصانع وركب
فيه سمعين لاستماع ما يومر وينهي ويدين للاخذ والاعطا
ورجلين للسعي والطلب ولسانًا لينطق بالحق وشفتين
للفتح والطبق وقلبًا وعقلًا ليستدل بما حضر علي ما غاب
ليعلم ان من دبر هذا التدبير في تلك الظلمات قادرٌ قديمٌ
عالمٌ حكيمٌ لا يخفي عليه شي والثالث تبين حكمته وتدبيره
في خلق الانسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع حكماء
العالم ليعرفوا المعني الذي خلق الانسان منه وصار بشرًا
ما قدروا عليه ليعلموا انه حكيمٌ بذاته عليمٌ بذاته لا بتعليم غيره

غيرٍ ومن كان هذا سبيله لا يعجزه شي وانه ينشي الاشيا من
الاشيا وينشي لا من الاشيا علي ما شا وكيف شا وبالله الحول
والقوة ومنه التوفيق والعصمة قال ايمة التحقيق رحمهم الله
ففي هذا الفصل حجة كافية لعقلا العالم علي اثبات البعث
وتحقيقه وفي كون السما قايمةً في الهوا فوق روسهم بلا علاقةٍ
من فوقٍ ولا عمدٍ من تحتٍ وهي سموات عاجزة مسخرة مع سعتها
وغلظها اعجوبة ظاهرة واية قاهرة للعقول والحواس
ولولا اعتياد الناظرين منذ نشوهم اليها ومشاهدتهم اياها
كذلك لصعقوا لعظيم هول القدرة القاهرة ثم جعل الله
تعالي السحاب الثقال حاملًا لبحور الماء مسخرًا بين الارض
والسما بلا علاقةٍ من فوقٍ ولا عمدٍ من تحتٍ قايمًا تارةً وسايرًا
تارةً قد طبق وجه السماء في الطول والعرض اعجوبة ظاهرة
وعلم ظاهر لولا امساكه بالقدرة الازلية لاهلكت
بوقوعها الخلايق اجمع فمن قدر علي ذلك فهو قادرٌ علي كل
شي من الانشا والاعادة بعد التلاشي والفنا فيبطل قول

الدهرية بقدم العالم بشهادات الخلقة ودلائل الحدث المصنوعة
بالتغير المعاين والحدوث المشاهد وتلاشيهم جيلا بعد جيلا
ومن شرط القديم أن لا يتغير وبإبطال قول الثنوية بأدلة التدافع
والتمانع ما مر بيانها وبإبطال قول أهل الطبع بأدلة العقول علي
وشهادات المعارف على ما سبق بيانها إذ الطبائع موات عاجزة
جاهلة لا توصف بحياة ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا علم
ولا يتأتى الفعل من الموات ولا الإحكام من الجاهل ولا تخصيص
المفعول بحالة وهيئة من غير حي مريد ولكن الدهرية
والثنوية والطبايعية كابروا أدلة العقول ومعجزات
الأنبياء والرسل وشهادات الحواس التي هي طرق العلوم
والحقائق وموهوا بخيالات فاسدة وظنون كاذبة بلغ
خلعا لربقة العبودية التي شهدت بها خلقتهم ودلت عليها
جبلتهم ورضوا برتبة البهائم المهملة عن الأوامر والنواهي
التي هي شرف العقلاء وحلية الحكماء ثم هو مع ذلك يدعون
الفلسفة والحكمة ويموهون على الضعفة المنكبين على تحصيل الحطام

الحطام بإضافة الصنع إلى العناصر الأربعة وهي التراب والماء
والنار والهواء وإلى الطبائع البسيطة وهي الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة ولبسوا على أهل الجهل والغباوة إذا ألزموا
بشيء من دلائل حدث العالم من التغير والوجود والانعدام
فقالوا ذلك ظهور وكمون فوقعوا عند ذلك في تيار الحيرة
والضلالة تضرب بهم أمواج السفسطة والجهالة حتى يضحك
منهم أهل الجهل والغباوة فضلا عن أهل المعرفة والحكمة
وبيان الظهور والكمون الذي تشبثوا بهما على زعمهم أن تكون
النخلة العظيمة الطويلة بسعفها المنتشرة وأعذاقها المتدلاة
كامنة في النواة والطير العظيم الجثة بجناحيه ومخالبه
ومنقاره وريشه كامنا في البيضة بجميع أوصافه المذكورة
والرجل العظيم الجثة الذي أنهما في استجماع الأعضاء والجوارح
والحواس السليمة والعقل والقلب وهو بضعة لحم محل
للتأمل والتفكر مع لحية طويلة وعريضة وشيبة
بيضاء مع سائر أوصافه المذكورة على هيئة المذكورة كامن

في تلك النطفة المذرة التي هي قطرة ما لم يرد عليها تدبير
صانع حكيم قلبها من حال الى حال ومعلوم كون تلك النطفة
في صلب الذكر فزعمت الدهرية هذا الهذيان الخارج عن
قضية العقول وشهادات المعارف نعوذ بالله من الخذلان
وحرمان العرفان ولذلك عذب المكذبون لاتيان الرسالة
المعاندون لحجج الوحدانية بانواع الاستيصال كقوم نوح
بالطوفان حتى لم يترك على الارض من الكافرين ديارا وكذلك
فعل بعاد قوم هود وبثمود قوم صالح واهل مدين قوم
شعيب وقلب قريات لوط وخسف بقارون مع داره
وطم باليم فرعون مع جنوده وكلهم كذبوا الرسل وانكروا
البعث بعد الموت وقد تواترت بذلك الاخبار والاخبار
المتواترة توجب العلم بالمخبر قطعا كمشاهدة العيان
عند كل من لا يكابر العيان فان العلم بالملوك المتقدمين
كذي القرنين وسليمان والقياصرة والاكاسرة ثبت العلم
بهم قطعا بالخبر المتواتر كما ثبت العلم بهم لمن راهم عيانا وكذلك

وكذلك ثبت العلم بالبلدان النائية كمكة والمدينة ومصر
عن الخبر المتواتر يقينا كما ثبت العلم بها لمن راها عيانا وكذلك
تواتر الخبر باحياء الموتى معجزة لبعض الرسل وهو عيسى
صلوات الله عليه وذلك من ايات البعث بعد الموت وكذلك
ابرهيم صلوات الله عليه طلب من ربه عز وجل كيف يحيي
الموتى ليكون له اية حسية حجة على منكري البعث فقال له
خذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله على كل شيء
قدير قوله فصرهن قيل اي قطعهن ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا قالوا ففعل ابرهيم ذلك ثم اخذ رؤوس الطيور
الاربعة فدعاهن فاتينه سعيا احياء وتواتر الخبر بذلك
وجاء به الكتاب المعجز وكذلك تواتر الخبر ان رجلا مات
واحياه الله تعالى بعد مائة سنة وقد ورد به الكتاب
العزيز وهو قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال اكثر المفسرين هو عزير عليه السلام مر على قرية

وهي خاوية على عروشها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها
فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما
او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام قال الامام ابو منصور رحمه الله
اراد والله اعلم ان يريه الآية في نفسه على البعث والاحياء
بعد الاماتة وان يكون آية للمتاخرين على انكار البعث
والاحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس
وفي كيفية اراءته الاحياء وجوه قيل انه احيا عينيه وقلبه
فادرك بهما كيفية الاحياء في بقية نفسه فيصير
احياء الميت معاينا له فيكون قوله وانظر الى العظام كيف
ننشزها اي انظر الى عظامك وقيل احيا نفسه واراه كيفية
احياء الميت في حماره بقوله وانظر الى حمارك فيكون قوله
وانظر الى حمارك يعني الى احياء حمارك وقوله وانظر
الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما روي عن السدي
انه قال ان الله تعالى احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك
وقد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار

من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت
فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس
فيها لحم ودم ثم كسا العظام لحما ودما ليس فيه روح
ثم اقبل ملك حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار
ونهق باذن الله تعالى قال الامام ابو منصور رحمه الله وكان
في قصته آيات عجيبة منها ما قيل انه اتى اولاده وهم
شيوخ وهو شاب بعد ما لبث مائة عام ومنها ابقاء طعامه
وشرابه مائة عام على ما عليه من غير تغير ومن طبعه
الفساد والتغير عند مضي ايام فكيف عند مضي الزمان الطويل
ومنها موت حماره وليس من طبع الحمار الهلاك والفساد
عن سريع فهذه آيات عجيبة على اظهار قدرة الله تعالى
يبقي طبعه الفساد من غير تغير ويغير ويهلك ما طبعه
البقاء من جنس الطاهر فيكون كل واحدة منها دلالة على
قدرة الاحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى واعلم ان الله
على كل شيء قدير وكذلك تواتر الخبر ان قوما خرجوا

فرارًا من الموت فاماتهم الله ماية تعالى ومكثوا زمانا ثم
احياهم وقد ورد في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله الم تر حرف تنبيه
عن اعجوبة كانت ولذلك يكون تاويل هذه الكلمة
تارة عبارة عن الخبر وتارة عن العلم وتارة عن
النظر فقيل الم تر بمعنى الم تخبر وتارة بمعنى الم تنظر
وتارة بمعنى الم تعلم ومثل هذا انما يقال عن اعجوبة في
القصة ثم تكلم اهل التاويل في قصة اولئك قال
قايلون كانوا خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله
فاماتهم الله عز وجل ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا
الى الجهاد في سبيل الله تعالى وقال اخرون انه وقع
الطاعون في قومهم فخرج اناس وبقي اناس فنجا الخارجون
وهلك الباقون فلما كانت السنة الثانية خرجوا باجمعهم الا

الا قليلا فاماتهم الله تعالى ثم احياهم كذلك روي عن
الحسن وكذلك روي عن ابن عباس قالوا كانوا اربعة
الاف خرجوا فرارا من الطاعون فماتوا فمر عليهم نبي
من الانبيا فدعا ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل
كانوا ثمانين الفا وممن اميتوا ثم احياهم الله تعالى
ما قص الله تعالى في كتابه بقوله واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم
تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم الاية قال قايلون هم
الذين اختارهم موسى سبعين رجلا ليحملهم الى الطور يسمعنا
لبانهم بالتوراة فقالوا لن نصدقك بالرسالة والتورية
حتى نرى الله جهرة فيخبرنا انه انزلها عليك وممن بعث
بعد الموت ما ذكر الله تعالى في كتابه فقال واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الى قوله واذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته

لعلكم تعقلون وذلك انه قتل في بني اسرايل قتيل فاختلفوا
في قاتله وتدافعوا فرفعوا الامر الى موسى عليه السلام
فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة واخبرهم ان فعلوا هم
ذلك وضربوا المقتول ببعضها فان القتيل يعيش ويخبرهم
بمن قتله ففعلوا ذلك فعاش المقتول وقال قتلني فلان
بن فلان ثم استلقى ميتا وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى
اي هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون
ذلك فانهم كانوا لا يتوهمون الاحيا بضرب بعض البقرة
عليه وقوله تعالى ويريكم اياته لعلكم تعقلون قال
ابو منصور رحمه الله فيه وجوه يحتمل يريكم اياته اي يريكم
ايات وحدانيته ويحتمل اي يريكم ايات احيا الموتى وايات
البعث بعد الموت ويحتمل ويريكم ايات نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم اذا اخبر بهذه القصة عن الغيب وذكرها
على وجه يعلم اهل الكتاب انه عن الله تعالى يخبر اذ علموا
انه لم يكن له حظ في العلوم الخبرية لانه ولد من قوم اميين و

ولم يحسن قراءة الكتب ولم يخط بيمينه ولم يختلف الى من
عنده علم ذلك ولم يفارق عشيرته فيتوهم انه تعلم من
البشر فكان باب تحصيل العلوم الخبرية من قبل البشر
منسدا عليه وكان يخبر عن القصة على التفصيل بحيث لا يعرفه
الا الحذاق منهم في علم الكتاب وكانت العلوم الخبرية
متداولة بين اهل الكتب السماوية من التوراة والانجيل
والزبور ونحوها بلسان السوريانية والعبرانية وهي
معدومة عنده صلوات الله عليه فدل اخباره بكل
قصة ذكرها الله تعالى في كتابه على كونها حجة واضحة بلغ
على نبوته ورسالته صلوات الله عليه وسلامه

واما قولهم ما زال بصفاته قديما

قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته
قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله ارادوا بهذا
القول ان الله تعالى متصف بجميع صفاته قبل وصف

الواصفين اياه بها اي ان الله تعالى موصوف باسمائه وصفاته
الذاتية كالحيوة والقدرة والعلم والارادة والمشية
والسمع والبصر وبصفاته الفعلية كالتخليق والتكوين
والايجاد والاحداث والاحيا والاماتة كلها صفات له
قائمة بذاته في الازل وتاخر ظهور آثارها الى الاوقات
التي علم وجودها في الازل وتاخر ظهور الاثر عن المؤثر
ثابت بالادلة القاطعة وهذا هو مذهب ابي حنيفة
وابي يوسف ومحمد بن الحسن ومالك بن انس والشافعي واحمد بن
حنبل وسائر اهل السنة والجماعة واذ قد ثبت بالادلة
القاطعة ان صانع العالم قديم ومن شرط القدم التبري
عن النقائص ثبت انه حي قادر سميع بصير عالم اذ لو لم
يكن كذلك لكان موصوفا باضدادها اذ هذه صفات
متضادة متعاقبة لذلك فلو لم تكن هذه الصفات وهي
الحيوة والقدرة والسمع والبصر والعلم ثابتة له لثبت
ما يعاقبها وتضادها من الموت والجهل والعمى والصمم والعجز

والعجز وهي نقص ومن شرط القدم الكمال فدل انه موصوف
بما بينا من صفات الكمال لما انتفى عنه اضدادها التي هي
من سمات الحدث لكونها نقائص واذا ثبت ايضا انه هو
المخترع لهذا العالم مع اختلاف انواعه وهو الخالق له
على ما هو عليه من الاحكام والاتقان وبديع الصنعة
وعجيب النظم والترتيب وتركيب الافلاك الدائرة وما
فيها من الكواكب الثابتة والسائرة وتسخير الشمس والقمر
دائبين يستبقان فلا يتداركان ويتداركان فلا يختلطان
وجعل الليل والنهار متكررين على الخلائق احدهما
يغشي بسلطانه وجوه الاشياء ويغطيها ويكشف الآخر
السواتر عن وجوه الاشياء ويجليها وما يرى ويشاهد
في ابدان الحيوانات من الحيوة والتمييز والاهتدا الى اجتلاب
المنافع واجتناب المضار وما فيها من لطائف الحواس ومجاري
الانفاس وما في الاجسام الجامدة من البدائع والخواص
التي اودعت فيها على وجه لو تامل علما العالم وحكما الانام

الموصوفون بدقة الافكار وحدة الخواطر وكمال التمييز
ورجاحة العقول الى انصرام الاعمار وانقضاء الاجال
لما وقفوا على كنهها ولا على جزء من الف جزء مما فيها من
اثار كمال الحكمة ولطايف التدبير على ما قال الصانع القديم
في كتابه الحكيم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ثبت
انه حي قادر عالم سميع بصير يجري العلم بذلك مجرى المعارف
البديهية الضرورية حتى ان العقلا باسرهم ينسبون
من يصيب بنا القصور العالية والدور الواسعة ذوات
التقاطيع العجيبة ونسج الديابيج المنقوشة وتحصيل
التصاوير المونقة ونصب الاسرة المرفوعة واتخاذ
السفن الجارية ذوات الشراعات العالية ونجر الخشب
المنجورة على التقاسيم المعتدلة الى ميت عاجز جاهل
اما الى الحماقة والجنون واما الى العناد ومكابرة العيان بلغ
فعرفنا ثبوت هذه الصفات التي هي صفات الكمال
قطعا لانتفاء النقايص عن القديم ثم كما دلت المحدثات على

على القدرة والعلم لما لا يتاتى الفعل بدون القدرة ولا
يحصل احكام الفعل بدون العلم كذلك دلت على ثبوت
الحيوة لان الفعل ~~بدون العلم~~ كما لا يتاتى بدون القدرة
ولا احكام يحصل بدون العلم كذلك لا يتصور وجود
الفعل الا من حي حقيقة ان الحيوة لذات ما لا يعرف
في الشاهد الا بوجود الافعال الاختيارية وعند
وجودها يقع التيقن بثبوت الحيوة بحيث لا مجال
للريب في ذلك ويعد الشاك فيه متجاهلا ودليل استحالة
ثبوت القدرة والعلم بدون الحيوة ان الموت والجمادية
يضادان العلم والقدرة كما يضادان الحيوة اذ العقول
السليمة كما تابى قبول قول من اخبر عن اجتماع الموت
والحيوة والسواد والبياض والحركة والسكون في محل
واحد في وقت واحد تابى قبول قول من يجوز ثبوت القدرة
والعلم للميت ونعرف امتناع اجتماعهما مع الموت
كما نعرف امتناع اجتماع الحيوة والموت حقيقة انه لو جاز

ثبوت القدرة والعلم بدون الحيوة لجاز ان يكون كل
ديباج نفيس وكل صورة مونقة وكل قصر عالي في العالم
كانت حاصلة عن فعل الجمادات والموتى ولعل كل
تصنيف دقيق في فن من العلوم كان من عمل الموتى والجمادات
ونحو هذا كله هذيان وخروج عن قضية العقول
والتحاق بالسوفسطائية المتجاهلة الدهرية وبالطبايعية
حيث اضافوا احداث الحيوانات الى الموات وعرف بهذا
بطلان قول ابي الحسن الصالحي ان الحيوة ليست بشرط
للقدرة والعلم وجوز وجودهما في الموتى والاجسام
الموات وكذا جوز السمع والبصر فيها وعرف ايضا
بطلان قول الكرامية حيث جوزوا اجتماع ما وراء
القدرة مع الموت واذ قد عرف بالادلة القاطعة انه
تعالى حي عالم قادر سميع بصير نقول انه تعالى يجوز
ان يوصف بها فيقال حي قادر عالم سميع بصير بل يجب
بل لا يثبت دين الاسلام الذي ما كان خلق العالم حقا وحكمة الا لا

الا بايجابه واثباته وزعم بعض المتفلسفة ان كل اسم يجوز
اطلاقه على المحدث لا يجوز اطلاقه على الله تعالى لانه
يوجب التشابه وتبعهم على هذا الكلام الباطل القرامطة
وقصدهم بهذا التمويه تعطيل الصانع وهو مذهب خباث
الدهرية ذكر ايمة الاصول امثال هذا الهذيانات من
مقالات المعطلة تنبيها وتحذيرا لضعفة المسلمين
عن الوقوع في شرك حبائل المبطلين بسبب النظر في كتبهم
والاصغاء الى تمويهاتهم وزعم الناشي ان الوصف له تعالى
بهذه الصفات مجاز على احدى الروايتين عنه كذا ذكر
عنه ابو المعين النسفي في اصوله ثم انه قد ثبت بالادلة
القاطعة والبراهين الساطعة ان الله تعالى كان موصوفا
بهذه الصفات في الازل فكان حيا قادرا عالما بصيرا
وهو مذهب اهل الحق واذ قد ثبت انه تعالى كان في الازل
عالما فيقال لكل من اثبت الصانع انه تعالى كان عالما بذاته
وبصفاته وبما وراء ذلك مما يكون وان كان العالم معدوما

في الأزل وأثبتوا دخول المعدوم تحت العلم قال هشام
ابن الحكم أحد رؤساء الغلاة وهشام بن عمرو أحد رؤساء
المعتزلة انه لم يكن عالما بما وراء ذاته ومنعا تعلق العلم
بالمعدوم وقال أهل الحق وعامة المتكلمين ان القول
بخروج المعدوم من أن يكون معلوما يناقض أدلة العقول
ويرد على قواعد الدين بالإبطال ويلحق قائله بالمعطلة وبيان
ذلك بالبرهان القاطع أن كون الفعل محكما متقنا يدل على
علم فاعله به على ما بيناه غير مرة وتقررت صحة ذلك
في العقول السليمة حتى أن من يوقع ممن لا علم له تحصيل
صورة مونقة أو صنعة بديعة عجيبة عُدّ متجاهلا
إذ شرط ذلك هو ثبوت العلم به قبل وجود المفعول
لا بعد وجوده ليحصله على حسب ما علمه من الإتقان
والجودة لا على ما يضاده من الوهاء والرداءة على ما سبق
بيانه وتحقيقه ما عرف من بطلان إضافة الأفعال
المحكمة إلى الجاهل كبطلان إضافتها إلى الميت العاجز

فمن لم يجوز العلم بالمعدوم فقد جوز وجود الأفعال
المحكمة والصنائع البديعة لا عن علم لفاعله به وهو
محال ولأن كل قاصد تحصيل شيء يكون ذلك الشيء
ثابتا في علمه فيحصله على حسب علمه به لولا ذلك لما أمكنه
تحصيله عرف صحة هذا كل من رجع إلى نفسه معرفة لا يسوغه
عقله جحودها وكذى كل من يفعل فعلا لعاقبة حميدة
يعد حكيما ومن يفعل لا لعاقبة حميدة يعد سفيها ولو لم
يكن العلم بالعواقب ثابتا لما اتصف فعل بحكمة ولا سفه
ولا فاعل ما اتصف بحكيم ولكان كل فعل يوجد في الشاهد
موجودا لا إحكام فيه ولا اختلال ولا اعتدال فكان
صانعا مجانا وفي هذا بلوغ هذا القائل نهاية السفه
والبطلان وغاية العناد والتعطيل ومن الأدلة السمعية
القطعية ما أخبر الله تعالى الأنبياء المتقدمين عليهم السلام
من أنباء نبينا محمد صلوات الله عليه في التوراة والإنجيل
بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا

عندهم في التورية والانجيل وبشارة عيسى عليه السلام
على ما نطق به الكتاب بقوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد وبقوله محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل وما انبا الله تعالى في القران من الاخبار عن
الكائنات من نحو قوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد
وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الاية وما اخبر من احوال القيامة كقوله ويوم
تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله يوم
نطوي السما كطي السجل للكتب وقوله يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وما ذكر
من سوق اهل الجنة اليها وسوق اهل النار اليها وحصول
الزفير والشهيق من الكفار وشهادة الجوارح عليهم يوم القيامة
وطلبهم العود الى الدنيا واخباره تعالى عنهم انهم لو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه واخباره بانكار الكفار تبليغ الرسل اليهم

اليهم وشهادة امة محمد عليه السلام للرسل بالتبليغ اليهم
وقوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغير ذلك
مما يتعذر حصره وتعداده وانكار هذه الايات كفر
صريح وتعلقهم بظواهر ايات ليس المراد منها ما توهموا
تعلق باطل وما تشبثوا بها على خلاف السمعيات الموجبة
للعلم قطعا بلا احتمال كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة
وقوله ان الله عنده علم الساعة وساير النصوص المذكورة
وعلى مخالفة البراهين العقلية التي لا تمثيل فيها بان الله تعالى
عالم بما كان وبما يكون الا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم
فتعلقوا بظواهر هذه الايات وهي قوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله لعله
يتذكر او يخشى وقوله لننظر كيف تعملون وقوله لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين واشباه ذلك من الايات وقالوا ان الابتلاء

انما يكون ليظهر ما خفي عليه وليحصل علم ما لم يكن حاصلا
بحال من ابتلاه فتدل الايات انه لا يكون عالما بالمعدوم ما لم
يوجد كما في الشاهد وجواب اهل الحق عنها على الاستيعاب
لا يتسع هاهنا فنذكر على الايجاز فنقول وبالله التوفيق
اما الابتلاء من الله تعالى فليس ليثبت له به العلم كما في حق
من يجهل العواقب بل الابتلاء منه تعالى ليظهر ما علم
في الازل على ما علم وكذا قوله لنعلم من يتبع الرسول
اي لنعلم كائنا ما قد علم انه يكون ونعلم موجودا
ما قد علم قبل الوجود انه يوجد لانه تعالى يعلم المعلومات
على ما هي يعلم المعدوم حال العدم معدوما ويعلم انه
سيوجد لا يقال انه يعلم المعدوم موجودا حال كونه
معدوما فاذا وجد في الوقت الذي علم وجوده فيه
يعلمه كائنا موجودا وكذا قوله لنعلم اي الحزبين اي
ليظهر ما كنا علمنا على ما علمنا وقوله لننظر كيف تعملون
اي ليظهر عملكم على ما كان علمه وكلمة لعل من الله تعالى واجب

واجب فكان اخبارا على القطع فانه تذكر وخشي حين ادركه
الغرق فقال امنت بالذي امنت به بنوا اسرايل ولكنه
تذكر وخشي عند معاينة البأس وحينئذ لا ينفع الايمان
او كان ذلك للترجي عند موسى عليه السلام فان الانبياء
عليهم السلام امروا بالدعا الى الايمان على رجاء الوجود
عندهم فاذا علموا ان قومهم لا يؤمنون امسكوا عن دعائهم
فاما الله تعالى فانه بعث الرسل وانزل الكتب لدعا الكل
الى توحيده وعبادته ليظهر ما علم في الازل على ما علم
اذ الجزاء على وجود الايتمار الظاهر والخلاف الظاهر
لا على العلم الباطن على ما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
فهذه وجوه كشف شبهتهم وبالله العصمة وهذا كما
تعلق هشام بن الحكم وغيره من المجسمة بظواهر المتشابهات
فاثبتوا بها الاعضاء والجوارح على خلاف النصوص المحكمة
وعلى مخالفة اهل السنة والجماعة مع سماعهم حكم الكتاب

بزيغ من اتبع ما تشابه منه بقوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الاية فلم يكن ذلك
الا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم ولا قوة الا بالله

فصل واذ قد ثبت انه تعالى حي قادر سميع
بصير عالم وكان في الازل ويكون لا يزال موصوفا
بهذه الصفات فبعد ذلك تاملنا فعرفنا ان الحي يستحيل
ان يكون بدون الحيوة وكذى القادر بدون القدرة
والعالم بدون العلم وكذى ما وراء ذلك من الصفات
فعلمنا ان الله تعالى له حيوة وهي صفة له قائمة بذاته
وكذى العلم والقدرة والسمع والبصر وهذه الصفات
لا يقال لكل صفة منها انها الذات ولا يقال انها غير
الذات بل هي معاني لازمة للذات من الازل الى الابد بلا ابتداء
ولا انتهاء

فصل وزعمت المعتزلة ان الله تعالى
لا حيوة له ولا قدرة ولا علم ولا سمع ولا بصر فهو حي لا حيوة
له عالم لا علم له وكذى في الصفات كلها والذي دعاهم الى هذا
الجاهل

الجاهل شبهة تعلقوا بها منها قولهم ان الصفة اذا لم تكن
هي الذات فهي غير الذات والقول بالاشيا المتغايرة في الازل
منافي للتوحيد ومنها قالوا ان القول بازلية الصفات
قول باثبات القدما وذلك لا يجوز ومنها قالوا ان الصفات
لو ثبتت لكانت باقية ولا وجه الى القول بقيام الصفة
بالصفة قال ابو المعين رحمه الله ولاهل الحق من الحجج
السمعية القاطعة قوله تعالى ولا يحيطون بشي من علمه
الا بما شا وقوله فاعلموا انما انزل بعلم الله وقوله تعالى
انزله بعلمه وقوله تعالى ان القوة لله وقوله تعالى ان الله
هو الرزاق ذو القوة فالله تعالى اثبت لنفسه العلم والقوة
بنصوص صريحة محكمة والمعتزلة يابون ذلك فاذا هم
على زعمهم وتحكمهم اعلم بالله من الله تعالى بنفسه وهذا مما
لا يخفى فساده وبطلانه بحقيقة ان القول بان الله تعالى
عالم بما لا علم له به وقادر بما لا قدرة له عليه محال متناقض
لا يخفى كونه مناقضة على اغبى خليقة الله تعالى وكذى

لا يختلف على اسماع اهل اللسان قول القايل الله تعالى ليس بعالم
وقوله الله تعالى لا علم له بشي والاول فاسد وكذى الثاني قوله
الله تعالى ليس بقادر على شي وقوله لا قدرة له فهذا ما ذهبت
المعتزلة اليه وجعلوه توحيدا وسموا به انفسهم اهل التوحيد
بحيث يتسارع كل سامع الى اكفار قايله ونسبته الى المناقضة
قال سيف الحق ابو المعين ميمون بن محمد النسفي
رحمه الله وهذا النوع من الاستدلال يسمى عند ارباب المنطق
الاستشهاد بشهادات المعارف يعنون بالمعارف العلوم
الاولية الثابتة في اصل خلقة كل مميز وجبلته ولهذا يقولون
ان من تمسك بمثل هذا الراي الذي اعتقدته المعتزلة
ينبغي ان يصون عقيدته للذهنها لئلا يقابلوه بالطعن والاستهزا
واستدل الامام الهدى ابو منصور بهذا الدليل الذي ذكرناه
ثم قال في اثبات كلامه اي قلب يصبر على القول بانه عالم
بما لا علم له ليحتمل ان يختاره عاقل فضلا من ان يجيب غيره
ثم قال سيف الحق رحمه الله في كتابه الملقب بتبصرة الادلة

ولاهل الحق في المسئلة طرق منها طريقة الاستدلال
بالاسم الثابت بالنصوص التي لا ريب في ثبوتها والاجماع
الذي لا يخالف فيه في الامة وهذه الطريقة ان يقال
ان الله تعالى يسمى حيا قادرا عالما سميعا بصيرا باقيا ثم التسمية
اما ان كانت وضعت لتدل على مطلق الوجود كلفظة الموجود
والشي واما ان كانت وضعت لتدل على معنى ورا الوجود
وذلك المعنى اما مابية يمتاز بها النوع من النوع كاسم الادمي
والاسد والفرس فان لكل مسمى من هذه الاشيا مابية
يمتاز بها عن الاخر من صورة مخصوصة او خاصية لازمة
فتدل التسمية على ان له معنى ورا مطلق الوجود اختص
به فصار لاجله نوعا على حدة كالنطق والاغتذا للادمي
واما صفة قايمة بالمسمى اشتق منها الاسم كالمتكلم والمريد
والاسود والابيض والمتحرك والساكن فان كل تسمية
منها اشتقت من معنى يعرف عند اطلاق هذا الاسم ثبوت
تلك الصفة ثم ان هذه التسمية على ما عليه وضع الكلام

انما يكون اطلاقه على مسماه صدقا اذا كان المعنى الذي هو ماخذ
الاشتقاق ثابتا وعند انعدامه يعد كذبا الا اذا نقل عن
حقيقته وجعل لقبا للذات وعلما يمتاز به الذات عن اغياره
من بني جنسه لا باعتبار المعنى كما يلقب الاعمى بالبصير ويسمى
العبوس ضاحكا والضحاك عباسا ولا يثبت كونه لقبا علما الا بضرب
اصطلاح لا يعرفه اسما للذات من لا وقوف له على ذلك الاصطلاح
فاما الوصف فقد يعرفه اسما للموصوف به كل من كان
من اهل اللغة بالوقوف على المعنى وان لم يعرف الاصطلاح
ولا سمع احدا اطلق عليه هذا الوصف واذا عرفت هذه المقدمة
جينا الى الغرض المطلوب وهو اقامة الدليل على ما هو المطلوب
من اثبات صفات الله تعالى فنقول لا ريب ان هذه الالفاظ
من قبيل الالفاظ المشتقة عن المعاني فاذا اطلقت على ذات
يراد بها اثبات ما هو ماخذ الاشتقاق ولا اثبات الذات فحسب
كما في الاسم المتكلم والمتحرك والساكن وغيرها فلو اطلقت
هذه الالفاظ ولم يرد بها اثبات المعاني لكانت القابا واعلاما

وجعل ما هو من صفات المدح لقبا للذات ما واطلاقه عليه
عند عدم المعنى الذي هو ماخذ الاشتقاق نوع من الهزو
والسخرية كالاعمى يسمى بصيرا او الزنجي يسمى ابيض ومن جعل
اطلاق الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الاسماء
الحسنى والصفات العلى على الخالق على طريق السخرية فهو
غير عارف بالله وبرسله وكذا كان الله تعالى على راي
المعتزلة يامر عباده بالثناء عليه بهذه الاسماء امرا
بالسخرية وكفر من يجوز هذا مما لا يخفى يحققه ان هذه الاسامي
لو كانت غير مثبتة للمعاني وكانت القابا واعلاما لم يثبت
بكل لفظ منها الا الذات فيثبت بقولنا حي الذات وكذا
بقولنا قادر وعالم وبصير فقولنا ان الله تعالى عالم قادر
سميع بصير قولا بانه تعالى ذات ذات ذات ولم يحصل
بكل لفظ فايدة سوى ما حصلت بالاول وحيث لم يكن
كذلك بل حصل بكل لفظ للسامع من الفايدة ما لا
يحصل بغيره من الالفاظ علم ان هذه الاسامي ما اطلقت

الا لاثبات ما فيهما من المعاني قال ابو المعين رحمه الله ولاهل
الحق على اثبات الصفات ايضا دلالة المحدثات وهي ان المفعولات
كما دل على الفاعل فطلقه يدل على القدرة وكونه محكما متقنا
يدل على العلم فان كل من راى المفعول محكما متقنا استدل
بكونه مفعولا على قدرة فاعله به حتى ان من راى ديباجا
منقشا او دارا فاخرة فيها نقوش ونصاوير وهي مبنية على
غاية الاحكام والانقان فزعم ان ذلك نسج جاهل بصناعة
النسج عاجز عنها وبنى تلك الدار جاهل بصنعة البناء
عاجز عنها استجهل ونسب اما الى الحماقة واما الى العناد
والمكابرة كما ان من زعم ان ذلك كله كان بنفسه من غير
ناسج ولا باني نسب الى ذلك قال الشيخ الامام
العالم نجم الملة والدين ايده الله وللمعتزلة اعتراضات
على ادلة اهل الحق في اثبات الصفات دفعها المتكلمون
وابطلوها واودعوها كتبهم صيانة لقلوب ضعفة المسلمين
وذبا عن حريم الدين لا تدعو الحاجة الى ذكرها ههنا الماه

ويكونه محكما على علم فاعله صح

لما قد ذكرنا من الحجج السمعية الموجبة للعلم ما يوجب الانقياد
لها والاذعان لحكمها وذكرنا الاجماع الذي لا مخالف
فيه في الامة الهادية اذ من خالف فيه يسقط اعتبار خلافه
لما به يصير صاحب هوى لخلافه فيما يجب الفتوى به بدليل
يوجب العلم يقينا ولا شك في كون الاجماع دليلا موجبا
للعلم لثبوته بحجة قاطعة بالكتاب الناطق والخبر
المتواتر فلا عبرة بخلاف صاحب الهوى في المسايل الاعتقادية
في الفصل الذي نسب الى الهوى بخلافه فيه حتى ذكر القاضي
ابو زيد في كتاب تحديد ادلة الشرع فقال واما صاحب
الهوى فلا عبرة بخلافه في نفس ما نسب الى الهوى لانه لا ينسب
الهوى الا اذا خالف فيما يجب الفتوى به بدليل يوجب
العلم يقينا فيصير بخلافه ذلك الدليل برايه ساقطا
كما يسقط رايه بخلافه نصا يروى له وقد ذكرنا النصوص
الصريحة باثبات العلم والقوة لله تعالى وذكرنا البراهين
العقلية القطعية التي توجب الانقياد لمن لا يكابر

الادلة ولا يعاند الحجج باصراره على هواه ومعلوم ما ذكر
الله تعالى في معاندي الايات والحجج بقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي
قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله والمعتزلة بلغوا
في مكابرة ادلة اهل الحق حدا يحملون القران على مذاهبهم
وما يميل اليه هوى نفوسهم والحق الواجب حمل المذاهب
على القران لا حمل القران على المذهب ومن تصفح تاويلاتهم
للقران على مخالفة اهل الحق تحقق ذلك وذلك كما قرا بعضهم
قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه برفع الباء على جعل
الفعل للقلب ذلك الكافر والمنزل من الله تعالى بفتح
الباء على جعل الفعل لله تعالى وكذا قرا بعضهم قوله تعالى
قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق بالتنوين فقرا من شر
ما خلق يريد من شر لم يخلقه الله تعالى وههنا في فصل
الصفات اثبت الله تعالى لنفسه العلم والقدرة واخبر
بذلك بنصوص صريحة محكمة غير محتملة كقوله تعالى ولا

ولا يحيطون بشي من علمه وقوله انزله بعلمه وقوله واعلموا
انما انزل بعلم الله وقوله ان القوة لله واطبق اهل الحق على
الانقياد لها واعتقاد موجبها والمعتزلة ابوا قبول ذلك
ثم لما امتنعوا عن ذلك وقالوا انه تعالى حي لا حيوة له عالم
لا علم له قادر لا قدرة له سموا انفسهم بذلك اهل التوحيد
وعابوا على اهل الحق حيث اثبتوا لله تعالى الحيوة والعلم والقدرة
ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله عليهم
السلام والصالحون من عباده فكان مما يقال للمعتزلة
ان الله تعالى اثبت لنفسه العلم والقدرة بنص صريح محكم
والزم عباده العلم بذلك بقوله واعلموا انما انزل بعلم الله
وقال ان القوة لله فوصف نفسه بالعلم والقوة افانتم يا معشر
المعتزلة اعلم بالله من الله تعالى ثم معلوم انه لا فرق عند
اهل اللسان بين قول القايل الله ليس بعالم وبين قوله الله
لا علم له بشي فالاول فاسد وكذا الثاني ومع هذا التعطيل
سموا انفسهم اهل التوحيد ثم قالوا انما نثبت للعبد قدرة

التخليق لئلا يكون الله تعالى معاقبا عباده على ما يخلق هو
بنفسه فيكون عادلا في تعذيبهم فابطلوا التوحيد بهذا
العدل فانهم جعلوا كل فعل حصل من المخلوقين المختارين
مخلوقا لهم فيكون كل فاعل مميز من روحاني وجسداني
وكل فاعل مختار مميز حتى يكون كل كلب وخنزير وبق وبعوض
خالقا عندهم ثم ابطلوا عدلهم بتوحيدهم فانهم نفوا عن الله
تعالى جميع الصفات من الحيوة والعلم والقدرة والكلام
والارادة والتخليق والتكوين وزعموا انه هو التوحيد
وانكروا ان يكون الكلام وفيه الامر والنهي معنى قايما
بذات الله تعالى وجعلوه محدثا مخلوقا في محل غير ذات الله
تعالى وقد ساعدوا ان الفاعل من قام به الفعل لا من خلق
الفعل فابطلوا امر الله ونهيه وبطل بذلك الحل والحرمة
وخرج الفعل عن كونه طاعة او معصية وكان التعذيب
على ما ليس بمعصية فابطلوا عدلهم بتوحيدهم وهذا كله
جواب اهل الحق ذكره ايمة الاصول منهم سيف الحق ابو المعين
النسفي

النسفي واما قولهم ان اثبات الصفات قول بالقدماء فاجاب
عن ذلك بعض الصفاتية فقالوا نحن لم نقل ان الصفات
قايمات بذواتها حتى يرد علينا ما قالوا وانما نقول ان الله
تعالى قديم بصفاته وصفاته قايمة بذاته فاندفع عنهم
الزام المعتزلة وبعض اصحاب الصفات قالوا ان القديم
هو المتقدم في الوجود او الموجود الذي لا ابتدا لوجوده
فنحن نقول ان كل صفة قديمة بذات الله تعالى ولا نجوز
القول بالقدما مطلقا لئلا يسبق الى وهم السامع ان
كل قديم من القدماء قايم بذاته موصوف بصفات
الالوهية بل نقول ان الله تعالى قديم بصفاته وعند
اطلاق لفظة القديم على كل صفة ينبغي ان يقيد فيقال
ان القديم القايم بالذات واحد وهو الله تعالى وله صفات
الكمال كل صفة قايمة بذات الله تعالى وهي قديمة
على معنى ان ليس لوجودها ابتدا وانها في الوجود متقدمة
على المحدثات فبطل توهم المعتزلة وما يقوله الاسكافي

والصالحي والجبائي من رؤسائ القدرية ان القول
بالقدماء قول بالالهة كلام في غاية الفساد فانه لم يقل
احد من اهل اللغة ولا من اهل الكلام بان القديم في اللغة
هو الاله فان العرب يقولون هذا بناء قديم وشيخ قديم
يريدون به المتقدم في الوجود دون الوصف له بالالوهية
وفي الكتاب قوله تعالى كالعرجون القديم المتقدم في
الوجود على نظيره وهذا كافي في ابطال قولهم ومع
ذلك يقال للقايل به لم قلت ان القديم هو الاله
والعقلاء باسرهم على خلاف ما تقوله فان اهل اللغة
يطلقون لفظة القديم من غير ارادة الالوهية وكذي
الدهرية يعتقدون قدم كل جزء من اجزاء العالم
من غير اعتقاد الالوهية والكفرة يسمون الاصنام
الهة وان كانوا لا يعتقدون قدمها بل كانوا ينحتونها من الخشب
والاحجار وكانوا يعتقدون كونها مخلوقة على ما قال تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وجملة الامر ان

في منكري الصفات لله تعالى انما قصدوا بنفيها التعطيل
وموهوا بدعوى التوحيد خوفا من معرة السيف او وقعوا
في ذلك غلطا بالنظر في صفات الخلق حيث راوها اعراضا
اغيار الذوات فظنوا ان اثبات الصفات للباري تعالى
يكون كذلك فان كان السبب هو الاول فلا برء لدايهم
وان كان السبب هو الثاني ففيما اوردنا من الحجج والبراهين
كفاية وبلاغ ثم كيف ما كان فقد استمروا على لزوم الوقاحة
ومكابرة الادلة فلا فايدة في بسط الحجاج معهم سوى الذب
عن حريم الدين وتحذير ضعفة المسلمين واذا كان كذلك
فالاشتغال بحل شبهاتهم فضل وليس بلازم فنقول
ان الادلة القاطعة قد قامت على ان ذوات الخلق وصفاتهم
محدثة وان صفاتهم اعراض لا تقوم بانفسها بل بذوات محدثة
هي جواهر واجسام يجوز عليها الوجود والتعري وقامت
البراهين الساطعة والحجج القاطعة على ان الله تعالى قديم
لم يزل دايم لا يزال ومن شرط القدم الكمال وقد قامت الادلة

القاطعة على ثبوت صفات الكمال له في الازل بلا ريب ولا شك
وكذلك قامت الادلة القاطعة على كون حدوث الصفات له
ممتنعا محالا لما في ذلك من لزوم النقص في الازل وثبوت
التغير عما كان في الازل وكل ذلك محال في حق القديم
وكذلك قامت الادلة على استحالة عدمها وحصل العلم
بهذه المقدمات انها دايمة لا محالة وعلم بالبديهة ان
القول بدايم ليس بباق محال وكذا قام الدليل على ان القول
بباق لا بقا له محال كما ان القول بعالم لا علم له وبقادر لا
قدرة له محال فيجب التمسك بتلك الادلة القاطعة
ولا يلزم الاشتغال بما وراء ذلك من الفضول ومن تلك
الفضول قول المعتزلة لو كانت له صفات لكانت باقية
ويستحيل قيام البقاء بالبقاء ومنها قولهم لو كانت له
صفة لكانت غير الله والقول بوجود غير الله في الازل
محال قال ابو المعين النسفي رحمه الله هذا منهم تحكم
محض ودعوى مجردة عن البرهان ويكفي المنع بان يقال لهم لم

لم قلتم وابطال ما يجعلونه حدا للغيرين جوابا عن مقالتهم فيقال
وما حد الغيرين ليظهر بمعرفته ان خصمكم اثبت في الازل
ما هو غير الله فزعمت الكرامية ان حد الغيرين هو الشيان
فذات الله تعالى لما كان شيا وصفته شي فهما شيان ولهذا
قالت الكرامية ان صفة الله غير الله قال ابو المعين رحمه
الله هذا التحديد فاسد لان الغير من الاسما الاضافية كالعلو
والسفل والاب والابن ولهذا لا يطلق اسم الغير الا
باعتبار وجود اخر والشي اسم ذاتي يستحقه المسمى به لاعتبار
ذاته ولفظة الحد مع المحدود بمنزلة الاسمين المترادفين
لا تفاوت بينهما فمن جعل احد اللفظين حدا للاخر فهو قليل
المعرفة بحقايق الاسامي وشرايط صحة التحديد وقال
ابو هاشم من المعتزلة ان الغيرين مذكوران لا يكون احدهما
جملة يدخل تحتها الاخر واحترز بهذا عن الواحد من
العشرة وعن يد الانسان مع اعضايه فان العشرة جملة
دخل تحتها الاحاد ولا يقال لكل واحد هو العشرة

ولا غيرها وكذى كل عضو من الانسان ليس غير الانسان
ولا هو قال ابو المعين رحمه الله وهذا التحديد
فاسد لان لفظة المذكور كما يتناول الموجود يتناول
المعدوم واطلاق اسم الغير على المعدوم فاسد باباه اهل
اللغة بل الغير اسم يتناول احد الموجودين باعتبار الآخر
ثم الاحوال عند ابي هاشم مذكورات وليست احدها
جملة تدخل تحتها الاخرى فيفسد تحديده ثم تجاهل
مع ذلك فانه لما انتهت نوبة رياسة المعتزلة ولم يبال
عن التجاهل ونصب نفسه ضحكة للخلق في ترويج ما هو
عليه من الباطل في نفي الصفات عن الله تعالى وقال ان
قولنا عالم في الشاهد والغايب اثبات حال تخالف بها
الذات ذاتا ليس بعالم وكذى قال في الحي والقادر والسميع
والبصير ثم تجاهل وقال تلك الحال ليست هي الذات
ولا غير الذات ولا معنى ورا الذات ولا هي موجودة ولا
معدومة ولا هي مذكورة ولا غير مذكورة ولا معلومة ولا

ولا لا معلومة فهذا منه غاية في الوقاحة وقلة المبالاة
من التخبط في دين الله عز وجل ووقع في هذا الباطل حيث
خالف اهل الحق في اثبات الصفات لله عز وجل وعاب
عليهم قولهم ان صفة الله ليست هي الله حتى لا يكون فيه
تعطيل الذات وليست هي غير الله حتى لا تكون صفته عرضا
كصفات الخلق بل صفة الله تعالى معنى قايم بذات الله تعالى
من الازل الى الابد بلا ابتداء ولا انتهاء وهكذى شان من
كابر حجج الحق وخالف اهله يتخبط في سلوكه سبيل
الحق بهواه ثم بيان فساد كلامه ان يقال له الا قلت انه عالم
لمعنى مكان قولك عالم لحال فان قال اذا جعلته عالما لمعنى
تشترك فيه المعاني قيل له يلزمك اذا جعلته عالما لحال
ان تشترك فيه الاحوال فيصير عالما بالحال التي يصير بها
قادرا واسود بالحال التي يصير بها حيا فان قال ليست الاحوال
متجانسة قيل له ليست المعاني متجانسة فيجب بجميعها ما يجب
بآحادها فان قال لا يصير عالما بحال مطلقة بل بحال يمتاز

بها الذات عن ذات ليست بعالم قيل له لا يكون عالما بمطلق المعنى
بل بمعنى هو علم يتجلى به المعلوم ثم يقال له هذه الحال راجعة
الى الذات ام الى معنى وراء الذات فان قال هي راجعة الى
الذات فقد التحق بسلفه في تعطيل الذات حيث جعل
الحال هي الذات وان قال هي معنى وراء الذات فقد انقاد
للحق وزال التجاهل وان قال ليست براجعة الى الذات
ولا الى معنى وراء الذات فقد ارتكب محالا الا اذا اثبت واسطة
بين الذات وبين ما وراء الذات ثم يقال اذا لم تكن الحال مذكورة
فكيف ذكرتها واذا ذكرتها كيف زعمت انها ليست بمذكورة
واذا لم تعلمها كيف علمت ان الذات عالم وهو لا يكون عالما
الا بالحال واذا لم تعلم الحال كيف علم الذات عالما واذا
علمت كيف زعمت انها ليست بمعلومة فهذا بيان تجاهله
في اثبات الحال وفساد تحديده للتغاير وقال بعض المعتزلة
الغيران هما المختلفان في الوصف قال ابو المعين رحمه الله
هذا باطل عند الجميع بالواحد من العشرة وباليد من الادمي فان

الواحد من العشرة يختلفان في الوصف وكذا اليد
مع الادمي ولا تغاير وبهذا يبطل قول من يقول ان ما ليس
بالشيء فهو غيره فان الواحد ليس بالعشرة وليس بغيرها
وكذا اليد ليست بالادمي وليست غيره وهذا لان العشرة
اسم يقع على مجموع هذه الافراد فكان اسم العشرة متناولا
كل فرد مع اغياره فلو كان الواحد غيره لصار غير نفسه
لانه من العشرة ولن يكون العشرة بدونه وكذا اسم
زيد يقع عليه باعتبار اعضائه فكان متناولا لمجموع
هذه الاعضاء فاذا قيل يد زيد غيره كانت اليد غير
نفسها وقال بعض المعتزلة الغيران هما اللذان يصح ان
يعلم احدهما ويجهل الاخر قال ابو المعين
وهذا باطل لان الشيء يعلم بجهة ويجهل بجهة كمن يعرف
السواد انه لون ولا يعرف انه مستحيل البقاء فان جعلت
المعتزلة كل جهة غير صاحبتها فقد جعلوا العرض الواحد
الذي هو عرض غير متجزي شيئين متغايرين والقول بتعدد

الواحد وتغايره محال وان لم يجعلوا لكل جهة غير الجهة
الاخرى ابطلوا التحديد ثم قال ابو المعين
رحمه الله ولا حاجة بنا الى الاشتغال بتحديد الغيرين
لان الخصوم هم الذين يريدون نفي الصفات بعلة انها
لو كانت ثابتة لكانت اغيارا للذات فاذا منعناهم
من اثبات المغايرة بطلت شبهتهم ولم يبق لنا حاجة
الى اثبات حد الغيرين ثم نقول على طريق التبرع
حد الغيرين عند اصحابنا انهما الموجودان اللذان يصح
وجود احدهما مع عدم الاخر ودليل صحة هذا الحد
انا استقرينا الاوصاف فعلمنا ان شيئا مما ذكره الخصوم
لا يصلح ان يكون حدا لما بينا وعلمنا ايضا ان الغيرين
ما كانا غيرين لانهما عرضان لثبوت المغايرة بين الباري بلغ
تعالى وبين العالم ولثبوت المغايرة بين الاجسام ولا
لانهما جسمان لثبوت المغايرة بين الاعراض ولا لانهما
قايمان بالذات لثبوت المغايرة بين الاجسام والاعراض واذا

واذا كان كذلك لم يبق الا ما ذكرنا واذا كان حد المغايرة
ينقسم الى هذه الاقسام وكلها ممتنعة لما بينا من الدلايل
ولا امتناع فيما قلنا تعين للصحة على ما هو الاصل في الاستقراء
فصح ان حد الغيرين هما الموجودان اللذان يصح وجود احدهما
مع عدم الاخر وهذا محال في حق الله تعالى وصفاته
فان الله تعالى موجود واجب الوجود لذاته لا يجوز عليه العدم
لانه قديم فيستحيل عليه العدم وصفاته واجبة الوجود
اذ هي صفات المدح والكمال وهي معاني قايمة بذات الله
تعالى في الازل ومن شرط القديم الكمال في تعري ذاته
عن شي من صفات الكمال نقص وجواز النقص عليه محال
لما في ذلك من زوال الكمال وبطلان الالوهية فتعالى
عن النقص والزوال فقلنا ان صفة الله تعالى ليست هي الله
تعالى حتى لا يكون فيه تعطيل الذات وليست هي غير الله حتى
لا يكون صفته عرضا كصفات الخلق فانها اعراض اغيار
لذواتهم بل صفات الله تعالى معاني قايمة بذات الله تعالى

من الأزل بلا ابتداء ولا انتهاء وهذا هو مذهب أهل الحق
ومما يكشف عوار المعتزلة ويبطل تمويهاتهم بأن يقال لهم
ما معنى قولكم إن الله تعالى موصوف بأنه عالم إذا لم يكن
له علم عندكم فإن قالوا موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين
إياه إذ الصفة هي وصف الواصف إياه قيل لهم لو أن
رجلا قال للزنجي إنه أبيض أو للقصير إنه طويل هل كان الزنجي
أبيض والقصير طويلا فإن قالوا نعم كابروا وإن قالوا لا
ناقضوا قولهم موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين إياه
لأن الوصف من الواصف قد وجد ولا عبرة له عند انعدام
المعنى القائم بالموصوف ثم يقال لهم إذا كان العالم
من وصفه متكلم بأنه عالم لا من قام به العلم أو من له
العلم ينبغي أن يقال إن من قال للجماد إنه عالم أو للطفل أو للمجنون
لم يقم به علم إنه عالم أن يكون صادقا في مقالته لوجود
الوصف له بذلك إذ هو يكون عالما بوصف الواصف له
بذلك لا بمعنى قائم به وهذه مكابرة ظاهرة وسوفسطائية
محضة

محضة ثم يقال لهم جميع المسلمين يقولون إن الله تعالى
كان في الأزل موصوفا بكونه حيا عالما لأن كلامه
عند أهل الحق ليس بمخلوق والعلم قائم بذاته مع سائر صفاته
في الأزل وأنتم معشر المعتزلة إن قلتم إن الله تعالى كان
في الأزل موصوفا بكونه عالما فما معنى قولكم ذلك والواصفون
كانوا معدومين في الأزل فلا يتصور وجود كلامهم
ليكون موصوفا بذلك بكلامهم وكلامه تعالى عندكم
محدث مخلوق فلم يوجد منه وصف نفسه بأنه عالم
وعندكم ليس له علم قائم به فكان قولكم إنه كان في الأزل
موصوفا بأنه حي قادر عالم باق سميع بصير تلبيسا وتستيرا
لقولكم حي لا حياة له وعالم لا علم له وقادر لا قدرة له فبقي
قولكم باطلا لا تحقق له قال سيف الحق أبو المعين
النسفي رحمه الله وغيره من علماء الملة فمن وقف على ما بينا
في المسألة من الدلائل والكشف لتمويهات المعتزلة
عرف أن القوم لم يريدوا بما ذهبوا إليه من نفي الحياة والعلم

والقدرة والسمع والبصر والإرادة إلا موافقة إخوانهم
من الفلاسفة في إثبات ذات في القدم ليس بحي ولا قادر
ولا عالم ولا سميع ولا بصير غير أنهم لم يتجاسروا على
إظهار ذلك خوفا من معرة السيف لما فيه من جحود
ما ورد به الكتاب والسنة المتواترة فأطلقوا هذه
الأسامي في الظاهر وأنه بما يؤدي إلى مقصودهم من نفي
كونه حيا قادرا سميعا بصيرا بنفيهم الحيوة والقدرة
والعلم وقد صرح بعضهم أن مرادهم هذا وهو الناشي
على أحد قوليه على ما مر قال الشيخ الإمام العالم
نجم الملة والدين أيده الله هذا الذي سبق ذكره كله
من كلام أبي منصور وأبي حفص الكبير وأبي القاسم الحكيم (السمرقندي)
وأبي حفص أفضى القضاة عمر الغزنوي وسيف الحق أبي
المعين رحمهم الله في بيان قول فقهاء الملة ما زال بصفاته قديما
قبل خلقه أي قبل مخلوق فإنه كقوله تعالى هذا خلق الله أي
هذا مخلوق الله إذ الخلق في هذا عبارة عن المخلوق ولا عن
الخالق

الخلق الذي هو الصفة وقد صرح أبو حنيفة وأبو يوسف
ومحمد رحمهم الله بقوله ما زال بصفاته قديما قبل خلقه
بأزلية صفات الله تعالى وصرحوا ببقائها بقولهم وكما كان
أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا وهم فقهاء ملة الإسلام
وهم أئمة الهدى السابقون لمن بعدهم فإن أبا حنيفة ولد
سنة ثمانين من الهجرة وأدرك نفرا من الصحابة وروى
عنهم وأفتى مع التابعين وناظر الشعبي وعطا وطاوس
وهو أول من دون الفقه ووضع فيه كتبا ورتبه وقد
ضمن الله تعالى حفظ الشريعة وأمر بتعلمها والتفقه فيها
فيستحيل أن يضمن الله تعالى حفظ الشريعة ثم يكون المتدين
بتدينها على غير الحق بل يكون على الحق ويوفقه للصواب
ولذلك نجد من تصفح أصوله مبنية على البراهين الساطعة
والحجج القاطعة وإجماع الأمة الهادية وقد صرح هو
وأصحابه بأزلية صفات الله تعالى وبدوامها وبقائها وهو
مذهب أهل السنة والجماعة وقد ذكرنا بعض الأدلة السمعية

مولد أبا حنيفة رضي الله عنه
وإدراكه نفرا من الصحابة

الصريحة الموجبة للعلم بثبوت صفات الله تعالى كقوله تعالى
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقوله انزله بعلمه وقوله
ان القوة لله وممّا احتج ائمة الاصول لاثبات الاسماء
والصفات لله تعالى في الازل نصوص من الكتاب وهي
قوله تعالى وكان الله سميعا عليما وقوله وكان الله عزيزا حكيما
وقوله وكان الله عفوا قديرا وقوله وكان الله غفورا رحيما
قالوا هذه كلها وردت بلفظ الماضي فكان دليلا على
كونه تعالى موصوفا بها في الازل وقد تقدم اقامة البرهان
على كون هذه الاسامي مشتقة اشتقت منها صفات المدح
والكمال وان تعرّي ذاته تعالى في الازل عن شيء من
صفات الكمال محال

واما قولهم لم يزدد بكونهم

شيئا لم يكن قبلهم من صفة وكما كان بصفاته
ازليا كذلك لا يزال عليها ابديا فانهم قالوا

فانما قالوا ذلك لما قامت البراهين العقلية والحجج السمعية
على انه تعالى قديم كامل فيستحيل ان تكون ذاته في القدم والازل
متعريا عن شيء من صفات المدح والكمال لما في ذلك من النقص
والنقص في حق القديم محال ولذلك قالوا لم يزدد بكونهم شيئا
لم يكن قبلهم من صفة لانه كامل في الازل غني بنفسه متعال
عن الحاجات فيستحيل ان تحدث له صفة لم تكن وان يستفيد
بايجاد العالم اسما او صفة لما في ذلك من ثبوت الحاجة
اذ الحاجة نقص ومن شرط القدم التبري عن النقايص
فوجب القول بتعاليه عن ذلك قال الله تعالى ان الله لغني
عن العالمين وقال يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو
الغني وقد تمدح تعالى بصفات الكمال والاسما الحسنى
وتعبد خلقه بها فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ

المصور له الاسما الحسنى فقوله هو الله الذي لا اله الا هو
فيه اثبات الوحدانية والالوهية لنفسه ونفي الالوهية
عما سواه وان كل معبود سواه فهو باطل وقوله الملك اي
الملك الذي له ملك كل شي ليس لاحد سواه حقيقة الملك
وقوله القدوس اي هو الطاهر الذي تقدس عما قالت
الملحدة فيه من الولد والشريك وسائر سمات الحدث والنقص
وقوله السلام قال بعضهم سمى نفسه سلاما لما
سلم المومنون به من عذابه وقال قايلون فيهم ابو منصور
سمى نفسه سلاما لما هو سالم من الافات والعيوب ومن
سواه من الموجودين لا يسلمون من حلول الافات وقوله
المومن قال قايلون اي يومن المومنون به من العذاب
فلا يمكن لاحد ان يومن احدا من عذابه وقيل معناه
يصدق المومنين بما قالوا اذ يقولون عن حجة وبرهان
وقوله المهيمن قال بعضهم هو القاهر وقال اخرون
هو الشاهد اي شاهد لما انزل على رسوله بالصدق وقوله

وقوله العزيز فيه وجوه احدها الغالب والثاني هو المنيع
وقيل هو الذي لا نظير له وقوله الجبار قال قايلون سمى
نفسه بذلك لانه هو المجبر لكل كسير وقال قايلون سمى
نفسه جبارا لجبروته وعظمته لما تعالى وتجبر عن ان
يكون له مثال واشكال وقوله المتكبر قال ابو منصور
هو من الكبريا والعظمة ولا يليق لغيره هذا الاسم
لان الخلق بعضهم اكفا بعض في الخلقة ولذلك لم يجز لاحد
منهم ان يتكبر على اخر اذ التكبر هو الارتفاع وهو ان لا يرى
غيره شكلا له ولذلك قبح في حق غير الله تعالى فلا يجوز
التكبر الا لله تعالى فسمى تعالى نفسه متكبرا اذ هو المتكبر
بذاته ولم يكن تكبره بغيره وقوله سبحان الله عما يشركون
قال ابو منصور رحمه الله التسبيح تبرية وتنزيه بر الله
تعالى نفسه ونزهها عن جميع ما قالت الملحدة والمبطلون
فيه من الاشراك في الذات كالمجوس والثنوية ومن الاشراك
في تسمية الالوهية واستحقاق العبادة كمشركي العرب

ومن الاشراك في الصفات كصنيع اليهود حيث وصفوه
بالصورة والاستقرار على العرش وقوله تعالى هو الله الخالق
البارئ المصور تمدح بهذه الاسماء التي يشتق منها صفات
الفعل كما تمدح بتلك الاسماء التي يشتق منها صفات
الذات من الوحدانية والالوهية والعظمة والجلال
فهذه النصوص حجة على نفاة صفات الذات والفعل
لما فيها من اثبات صفات المدح والكمال فوجب القول
بثبوتها له في الازل وهي حجة على الاشعرية في انكارهم
ازلية صفات الفعل من التخليق والتكوين والايجاد
والاحياء والاماتة ونحوها من وجهين احدهما انه تمدح
باثبات صفات الفعل لنفسه كما تمدح باثبات صفات الذات
والثاني انهم يقرون بازلية كلام الله تعالى وقد تمدح في الازل
بقوله هو الله الخالق البارئ المصور وتاخر ظهور الاثر
عن المؤثر جائز وبالله التوفيق والعصمة

واما قولهم للبشر منذ خلق الخلق استفاد

استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد
اسم البارئ قال الامام ابو منصور
رحمه الله الخالق البارئ بمعنى واحد يقال برا اي خلق
والبرية الخليقة قال ابو حفص الغزنوي وانما كرر ابو حنيفة
واصحابه ذكر هذه الكلمة تاكيدا وتقريرا والمعنى في
ذلك انه تعالى لم يزل خالقا متصفا بصفة الكمال غير
متعري عن شيء من صفات الكمال والمدح اذ التعري
عن شيء منها يوجب النقص عن ذلك والافتقار الى
حصوله بايجاد العالم فتعالى الله عن ذلك

واما قولهم له معنى الربوبية

ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق

قال ابو حفص الغزنوي لم يرد استبعادا بتصور زواله انهما
مع بقاء ذاته لانه حينئذ تكون الصفة غيره ولا يجوز
ان تكون صفة الله تعالى غيره لان حقيقة الغيرية

انما يتبين بزوال احدهما مع بقاء الاخر وذلك محال
في حق الله تعالى وصفته فلا يقال ان صفة الله تعالى
غيره فيكون الخالق لصفته بصفات الخلق فيكون جعلا
لصفته عرضا اذ صفات الخلق اغيار لهم لكونها اعراضا
تعرض فيهم وتزول والله تعالى قديم بصفاته بلا ابتداء
دائم بكماله بلا انتهاء ولا يقال ان صفة الله هو لان فيه
تعطيل الذات وحاصل المعنى في ذلك انه خالق ولا
مخلوق ورب ولا مربوب لان التخليق معنى قائم بذاته
في الازل وان لم يكن مخلوق كما كان عالما في الازل
بالعالم قبل وجوده وكما كان قادرا في الازل ولا مقدور
وهذا على ما بينوه رحمهم الله من بعد بقولهم كما انه محيي
الموتى بعد ما احيا استحق هذا الاسم قبل احيائهم
كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم قال الامام ابو منصور
رحمه الله في التاويلات كل صفة لله تعالى فهي ذاتية سواء
كانت ترجع الى الذات او ترجع الى الفعل عند اهل السنة
والجماعة

والجماعة لان لله تعالى فعلا ازليا كسائر صفاته من العلم
والقدرة والارادة ونحوها لانه متى لم يكن مستحقا
لاسم الخالق في الازل بمعنى قائم بذاته قبل وجود المخلوق
ثم صار موصوفا به لوجود المخلوق صار وصفه بالخالق
حادثا له بالمخلوق ولا شك ان وصفه بالخالق من
اوصاف الكمال فكان القول بتعريه عنه قولا بقيام
وصف النقص به والقديم يتعالى عن ذلك ولانه
تعالى مدح نفسه بصفات الفعل بقوله هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى وقوله له الاسماء الحسنى
اي الصفات العلى اي لا يسمى بتلك الاسماء على التحقيق
الا هو اذ لا يقال لغيره على الاطلاق الرب ولا الرحمن
ولا المالك فثبت ان له معنى الخالق في الازل ولا مخلوق
وعلى زعم المعتزلة في الصفات الذاتية والفعلية وعلى
قول من تابعهم في صفات الفعل لا يتحقق له المدح الا
بعد حدوث المخلوق فيكون فيه اثبات الحاجة له الى

من به يتحقق له صفات المدح والكمال تعالى الله عن
الحاجة لأنه على زعمهم لم يكن له اسم الخالق قبل وجود
الخلق فصار خلق الخلق لجر النفع وقد وصف تعالى نفسه
بصفة الكمال وعدم الحاجة بقوله والله الغني وأنتم الفقراء
وبقوله إن الله لغني عن العالمين فثبت أن ما يرجع إلى
صفات الفعل أيضا أزلي وفي قوله مالك يوم الدين
دلالة أيضا على قدم التكوين وسائر صفات الفعل
لأن الله تعالى وصف نفسه بكونه مالك يوم الدين
والملك عبارة عن التصرف بالمشيئة وهو عبارة عن
الفعل فكان هذا إخبارا من الله تعالى في الأزل أنه
هو المتصرف يوم الدين لوقت وجوده وهو يوم القيامة
وهو معدوم في الأزل وفي هذا الوقت وفي وقت النزول
فصار هذا حجة على المعتزلة والأشعرية وهو على الأشعرية
ألزم لأنهم يقولون إن الملك عبارة عن التصرف والمعتزلة
يقولون إن الملك عبارة عن القدرة والقدرة صفة ذاتية هـ

هربا عن هذا الإلزام وإن كانوا في التحقيق لا يثبتون لله تعالى
صفة أصلا لا ذاتية ولا فعلية وإنما الصفة عندهم
هي وصف الواصف لا غير ولأن الله تعالى يوصف
بأنه جواد لم يزل وسميع لم يزل وبصير لم يزل وإن كان ما يقع
عليه السمع والبصر والجود معدوما وكذا يوصف
بأنه رب كل شيء في الأزل وإن كانت الأشياء تحدث في
المستقبل لما أنه يوصف بذلك الوقت وجود الأشياء
فكذلك في صفات الفعل يجب أن يوصف بذلك في الأزل

وأما قولهم ذلك بأنه على كل شيء قدير

فقولهم ذلك لفظة إشارة إلى ما تقدم ذكره من الإحياء
والإماتة وسائر الصفات يعنون أنها توجب صفات
المدح والكمال فيجب القول بثبوتها له في الأزل وقولهم
بأنه على كل شيء قدير يعنون أن الله تعالى موصوف
في الأزل بأنه على كل شيء قدير وإن لم تكن الأشياء موجودة

في الأزل فكذلك يجب أن يكون موصوفا في الأزل بساير
صفات المدح من التخليق والتكوين والإحياء والإماتة
لأنه قديم ومن شرط القدم ثبوت الكمال فيجب القول بأنه على
كل شيء قدير

وأما قولهم وكل شيء إليه فقير

معناه قد افتقر كل شيء إليه في تكوينه ووجوده فصار
كل شيء كاينا موجودا بتكوينه وإيجاده ثم افتقر
كل شيء إليه في قوامه وبقائه فهو الذي أحوج كل شيء إليه

وأما قولهم ولا يحتاج إلى شيء

معناه أنه تعالى قديم ومن شرط القدم التبري
عن النقائص والحاجة نقص فيتعالى عن مساس
الحاجة وبكمال الاستغناء وصف نفسه
وهو قوله تعالى إن الله لغني عن العالمين   وأما قولهم

وأما قولهم عقيب نفي الحوائج عنه

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فإنما ذكروه لأنه نص محكم لا احتمال فيه وهو شامل
لنفي جميع سمات المحدثين وصفات المخلوقين عن الله
تعالى ومثبت لصفات المدح والكمال وعلى إثبات
موجبه قامت الحجج والبراهين قال القاضي أبو حفص
الغزنوي قولهم رحمهم الله له معنى الربوبية ولا مربوب
ومعنى الخالق ولا مخلوق كما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا
استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق
قبل إنشائهم هذا منهم إثبات لقدم صفات الذات
والفعل لله تعالى وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وذكر سيف الحق أبو المعين رحمه الله في أصوله إجماع
أهل الحق على إثبات صفات الذات والفعل جميعا
وقالت الكلابية والقلانسية والأشعرية أن جميع

ماهو من صفات الفعل فهو حادث وقالوا ايضا ان التكوين
والمكون واحد وحجة اهل الحق على كون صفات الفعل
ازلية قايمة بذات الله تعالى كصفات الذات وان التكوين
غير المكون قول الله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فالله تعالى عبر عن التكوين بكن
وعن المكون بقوله فيكون وكذى عبر عنه بالشيء فحقيقة
ان خطاب كن غير المكون عند الاشعري وغيره من
المتكلمين هو ان كلام الله تعالى عندنا وعنده صفة
ازلية قايمة بذات الله تعالى والمكونات جواهر واعراض
حادثة غير قايمة بذات الله تعالى ولا شك في ثبوت
التغاير بين الازلي والحادث وبين ما هو صفة قايمة
بذات الله تعالى وبين ما ليس بصفة قايمة بذات الله
تعالى والتكوين ما يتعلق به المكون والايجاد ما يتعلق
الوجود وقد تعلق وجود العالم بخطاب كن فيكون
هو ايجادا وتكوينا وخلقا وهو غير المكون الموجد المخلوق وان

وان العالم خلق به فاذا سلموا ان وجود العالم وتكونه
حصل به فكان تكوينا وتخليقا فمن اعطى الحقيقة ثم
انكر الاسم كان مناقضا وعد المتكلمون هذا من مناقضات
الاشعري قال سيف الحق رحمه الله وهذا لعمري افحش
مناقضة فانه ينفي التكوين ثم يثبته ولو لم يكن هذا تناقضا
فلا تناقض في عالم الله تعالى وكل شبهة للاشعرية اوردوها
من شبههم السمعية والعقلية في اثبات حدوث التكوين
وفي جعل التكوين والمكون واحدا فانها تبطل بهذا
تحقيقه انه ما من كتاب من كتب الاشعري او احد من
اصحابه تكلموا فيه على المعتزلة في اثبات ازلية كلام
الله تعالى الا وقد تعلقوا بهذه الاية وقالوا ان الله تعالى
اخبر انه خلق المخلوقات بخطاب كن فلو كان خطاب كن
مخلوقا لاحتاج الى خطاب اخر وكذى الثاني الى الثالث
الى ما لا يتناهى فدل ان الكلام غير مخلوق واذا كان الامر
كذلك ثبت انهم اثبتوا الله تعالى صفة ازلية يتعلق به

حدوث العالم وهذا هو التكوين والإيجاد والخلق
عند القائلين به وهذا ظاهر لا محيص عنه لمن انصف
ولم يكابر ثم لنا دلايل اخر كافية معجزة للخصوم
اذا انصفوا ولم يكابروا ولنا من الحجج العقلية ان نقول
وبالله التوفيق اجمع المسلمون على ان خالق العالم هو
الله تعالى ولا شك ان الخالق وصف منا لله تعالى لا بد
من وجود معنى يكون به خالقا ثم عند من خالف اهل
الحق في هذه المسئلة لم يكن من الله تعالى الى العالم
معنى يتصف هو بكونه خالقا والعالم بكونه مخلوقا
اذ المعنى الذي به يكون العالم مخلوقا لو كان لكان هو الخلق
والايجاد وذلك عند المخالفين هو عين الموجد المخلوق
لا قائم بذات الله تعالى فاذا كان وجود العالم بالعالم
لا بالله تعالى اذ لم يكن منه اليه معنى يوجد به لان ايجاد
الاشياء بالتكوين وعندهم التكوين هو المكون نفسه فيكون
تكوين السماء هو السماء وكذا خلق كل شيء هو نفس ذلك

ذلك الشيء فلم يكن الى العالم منه تعالى معنى سوى انه
اقدم من العالم ووجود شيء اقدم من شيء لا يجعل من هو
اقدم منه خالقا له اذا لم يكن منه اليه معنى يكون به
خالقا كتكون زيد بعد عمرو لا يجعل عمروا خالقا
لزيد وان كان اقدم منه اذا لم يكن منه اليه صنع وكذا
وكذا القدرة لا توجب كون القادر فاعلا اذا لم يتصل
بها الفعل الا ترى انه تعالى في الازل كان قادرا ولم
يكن المقدور موجودا لما لم يتصل به بالفعل فلم يكن
عند هؤلاء وجود العالم بالباري بل كان وجوده
بنفسه وما كان وجوده بنفسه لا بغيره فهو قديم فيكون
قولهم قولا بقدم العالم وقد تعلق الخصم بشبه سمعية
منها قوله تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين
من دونه فقال استدل سبحانه على توحده بالالوهية
بافعال واطلق عليها اسم الخلق فدل ان الخلق مخلوق
ومنها قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله

ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت
هذا باطلا قال لأنه تعالى جعل في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار آيات على وحدانيته لذوي
العقول ليستدلوا بما فيها من علامات الحدوث وإنما
يستدل على ذلك بمفعولاته لا بصفاته التي هي
غير مرئية لنا وما دل على الصانع فهو مصنوعه فدل أنه
أراد به مفعولاته وسماها دل أن الخلق مخلوق الجواب
عن ذلك قال سيف الحق رحمه الله أما قوله هذا خلق الله
فأروني وغير ذلك من الآيات فنقول للخصم ما أنكرت
على من يقول لك إن المراد بقوله هذا خلق الله وغير
ذلك من الآيات هذا مخلوق الله إذ لا وجه لك إلى إنكار
جواز إقامة المصدر مقام المفعول في اللغة كما في العلم
والقدرة حيث يذكر العلم ويراد به المعلوم وكذا
في القدرة فإن قلت هذا مجاز ولا يصار إليه إلا بدليل
قيل لك إن على قولك وهو مذهب أبي الحسن الأشعري ما

ما كان محتملا للمجاز لا يكون موجبا للعلم قطعا فلا يحتج
به في المسائل الاعتقادية إلا بدليل موجب للعلم قطعا
ويقينا فلا وجه لك إلى التعلق بهذه الآيات ونظائرها
المحتملة للمجاز في محل النزاع إلا إذا أقمت الدلالة على نفي
احتمال المجاز ولا دلالة على ذلك معك ثم نحن نقيم الدلالة
على أن المراد من الآيات هو المخلوق دون الخلق الذي هو
الصفة بطريق المجاز وحمل الكلام على المجاز جائز
بالدليل فمن الدلائل ما أقمنا الدلالة السمعية التي لا مجال
للشبهة في إبطال الاحتجاج بها على ما سبق ذكره وقد أقمنا
الدلائل العقلية الموجبة للعلم بأنه لا بد من وجود معنى
يكون الله تعالى به خالقا وهو التخليق والإيجاد
وأما قول الخصم وإنما يستدل على الصانع بمفعولاته
لا بصفاته التي هي غير مرئية لنا فالجواب عنه
أن نقول لما كان المفعول المرئي دالا أن فاعلا فعله كان
دالا على فعله فيصير فعله معلوما بدلالة مفعوله ثم فعله

يدل على الفاعل اذ لا فعل يتصور بدون الفاعل فكانت
دلالة المصنوع المخلوق على صنع الصانع اذ هذا دلالة
الاثر على المؤثر والعالم اثر فعله لا اثر ذاته ثم الفعل المدلول
عليه يدل على الفاعل فكانت الدلالة على الذات في خلق
السماء لا في نفس السماء بل دلالة نفس السما على الفعل على
ما قررت فكانت فائدة ذكر الخلق هذا وبالله العصمة
وقول الخصم وما دل على الصانع فهو مصنوعه قال سيف الحق
رحمه الله هذا ممنوع بل ما دل على الصانع فهو صنعه
وما دل على الصنع فهو المصنوع فكانت دلالة المصنوع
على الصانع بواسطة دلالته على الصنع واستدل بعض
الاشعرية لما تمسكوا به من القول بحدوث صفات
الفعل فقال ان الفقهاء اجمعوا ان من حلف بصفة من
صفات الذات انعقد يمينه ولو قال وخلق الله
لا افعل لا يكون يمينا قال سيف الحق رحمه الله هذا
منه جهله بمذاهب خصومه في الفقه فان محمد بن الحسن
ذكر

ذكر في كتاب الايمان من المبسوط انه لو قال وعلم الله لا يكون
يمينا ولا خلاف ان العلم من صفات الذات ومع ذلك
لم يجعله يمينا لما ان المتعارف كان عندهم ان العلم يذكر
ويراد به المعلوم ومن المعلومات ما لا يحصى كثرة لا ينعقد
بها الحلف فلم يجوز لهذا حتى انه لو قال اردت به العلم
الذي هو صفة الله تعالى كان يمينا فكذا اذا قال وخلق الله
لان الخلق يذكر ويراد به المخلوق بل المتعارف هذا هو على
ما قررنا فلم ينعقد اليمين به لهذا حتى انه لو قال عنيت به
صفة الله تعالى ينعقد يمينه لكن اقتصرنا بحثنا هذه
المسائل فكان التعلق بمثل هذا جهلا محضا وعلى ذلك
قول الناس ان الله تعالى خالق الخلق وقولهم اللهم ارحم
هذا الخلق وقولهم ان الخلق عبيد الله فالخلق في هذا كله
على ارادة المخلوق لا على ارادة الخلق الذي هو صفة الله
تعالى وقد استدل بعض الاشعرية على ان الخلق ليس
معنى زائدا على المخلوق بقول اهل اللغة فقال قال سيبويه

امثلة
حد الفعل اخذت من لفظ احداث الاسماء مثل قولك
ضرب يضرب فاضرب وقالوا الافعال على ثلثة اقسام
ماض ومستقبل وفعل امر ثم قال هذا المسند له
ايضا ان الفعل على ضربين لازم ومتعدي ثم عندهم المفعول
على الحقيقة هو المصدر ثم يقولون مفعول به ومفعول
له ومفعول فيه ومفعول معه ولا يبدون على ذلك
وما اخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول فدل ذلك
على ما قلنا قال ـــــ سيف الحق ابو المعين رحمه الله
يجنبنا الله هذا الرجل يتعاطى صناعة نظرا لبهائم من وراء
الجبال لا من وراء الجدار ولو عرف مواضعات اهل
النحو ما اشتغل بمثل هذا الكلام الدال على خلوه عن هذه
الصناعة فنقول اولا اكل ما اطلقه سيبويه
صحيح ماخوذ به فان قال لا ابطل احتجاجه وان قال نعم
قيل له ان سيبويه اثبت للعباد فعلا فانه قال في قوله
ضرب زيد ارتفع بفعله فلم زعم صاحبكم الاشعري ان

ان لا فعل في الحقيقة الا لله تعالى وخالف سيبويه
ثم قال حد الفعل امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء
واراد بالاحداث المصادر سماها احداثا لانها تحدث
في راي العين من الفاعلين واضاف الاحداث الى الاسماء
واراد به الذوات التي تحصل منها الافعال الحقيقية
التي هي عندهم المصادر وسماها الاسما لان الاسم
عبارة عن المسمى وهذا ما رده عليه ابو العباس المبرد
وقال هذا خطا لان المصادر من المسميات لا من
الاسما واهل الصناعة قالوا الصحيح ما ذهب اليه
سيبويه لانه عني بالاسما المسميات دون التسميات
كما هو مذهب اهل السنة ان الاسم والمسمى واحد
ثم ان صاحبكم الاشعري لم يقبل من سيبويه قوله ان الاسم
هو المسمى ولا من ابي عبيدة اذ روي عنه هذا بل خالف
جميع من تقدمه وقال ان الاسم هو الصفة واذا كان
هو خالف سيبويه في هذا كله كيف الزمتم خصومكم

الآخذ بقوله قال سبق الحق رحمه الله ثم نقول له ان
الفعل عند النحويين هو ينقسم الى قسمين تعريف وتكليف
ونعني بالتعريف الاخبار وهو ينقسم انقسام الازمنة
وهو الماضي كقولك ضرب امس والقايم وهو الحال
كقولك يضرب والآتي كقولك سيضرب والتكليف
ينقسم الى ايجاب وهو الامر والى منع وهو النهي وهذا
كله من اقسام الكلام ولهذا يقال ان في اقسام الكلام
انه خبر واستخبار وامر ونهي فان كنت اخذت بقول
اهل اللغة ففعل الله اذا كلامه وكلامه ازلي وتساعدنا
فكان فعل الله ازليا ولو كان الفعل حادثا لكان
الكلام حادثا وان لم تقبل هذا من اهل اللغة بطل الزامك
ثم الفعل عندك وعند المتكلمين ما هو المصدر
عند اهل اللغة وهم لا يعدون ذلك فعلا بل يعدونه
اسما ولهذا اختص بعلامات وهي لام التعريف او التنوين
او الاضافة دون علامات الافعال وهي قد وسوف واذا

فاذا ما هو الفعل عندهم ليس بفعل بلا خلاف وما هو الفعل
عند المتكلمين ليس بفعل عند اهل اللغة فكيف تلزم خصمك
الاخذ بقولهم قال سبق الحق رحمه الله ثم قوله
ان عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر ثم يقولون
مفعول به ومفعول له ومفعول فيه ومفعول معه ثم قال
وما اخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا من اوله
الى اخره كلام فاسد متناقض فانه حكى عنهم في اول
كلامه الفصل بين الفعل والمفعول ثم قال في اخر كلامه
وما اخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا هو التناقض
الظاهر وقع فيه لجهله بمواضعات اهل اللغة وبيان
ذلك فان قوله ان عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر
هذا شي يقوله البصريون وخالفهم فيه الفرا فقال ان
المصدر ليس بمفعول بل هو فعل والمفعول به الفعل فلم يكن
هذا مقبولا من البصريين مع مخالفة الفرا اياهم وهو من
رؤسا اهل الكوفة ثم نقول المفعول عندهم ليس ما هو المفعول حقيقة

وكذا الفاعل وكذا المفعول فانك اذا قلت لم يضرب زيد
عمرا كان زيد عندهم فاعلا وعمرو مفعولا ولو قلت
مات خالد وطال الغلام واسود الشعر كان ارتفاع كل اسم
من هؤلاء لكونه فاعلا ولم يوجد من احد من هؤلاء فعل
البتة لكن الفاعل عندهم ما اسند اليه وحدث عنه
ما هو الفعل في صناعتهم فيعد فاعلا وما لم يحدث عنه
ولم يسند اليه كان مفعولا وان لم يقع عليه فعل ما فكان
المصدر عند البصريين مفعولا مطلقا على مقتضى صناعتهم
لا ان يكون مفعولا حقيقة كما لو قلت عبدت الله تعالى
كان انتصاب قولك الله لما ذكرنا وكذا لو قلت لم تعبد
الله تعالى وليست حقيقة الفعل واقعة عليه تعالى الله
عن ذلك فاذا ما هو الفعل عند المتكلمين كان مفعولا
عند البصريين من اهل اللغة وشيء من هذا لا يتصل بما نحن
فيه فكان التعلق بهذا تلبيسا ظاهرا وبالله المعونة
قال الشيخ الامام الاجل العالم نجم الملة والدين ايده الله وذكر

وذكر القاضي ابو حفص الغزنوي في شرحه لعقايد فقهاء
الملة رحمهم الله قد توهم طايفة من الناس ان القول بقدم
صفات الفعل يودي الى القول بقدم المخلوق وهذا
غلط منهم فان الخلق والتخليق والتكوين والايجاد
صفات الخالق دون المخلوق وانما المخلوق يكون مخلوقا
بخلق الله تعالى لان المخلوق يكون بالخلق الذي هو تكوين
الخالق فيكون الخلق اولا والمخلوق ثانيا فبطل ما توهموا
لثبوت تاخر المخلوق عن الخلق ولا يستنكر ان يكون المؤثر
يظهر تاثيره في الحال بلا فصل او مع فصل بمدة وهو
اعني المصنوع في الحال اثر فعل الصانع فاذا اتضح كون الحدثان
في الاوقات التي سبق في علم الله تعالى وجودها فيها
بايجاده وخلقه الذي هو صفة قديمة فكان صفة
الخلق قديمة مع انتفاء قدم المخلوق كثبوت قدم العلم
مع انتفا قدم المعلومات المعدومة وثبوت قدم القدرة
مع انتفاء قدم المقدورات وذكر سيف الحق ابو المعين

بلغ

رحمه الله قول بعض من دفعته الحيرة والافلاس عن الحجة
ممن كان في سني اربعمائة من الهجرة بان قال ان القول
بقدم صفات الفعل قول حادث فقال سيف الحق في كتابه
هذا قول باطل صدر عن الجهل بمذاهب السلف وذلك
ان ابا جعفر الطحاوي رحمه الله وهو ممن لا تخفى درجته
وعلو رتبته في معرفة اقاويل سلف الامة على العموم ومعرفة
اقاويل اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على الخصوص قال في
كتابه المسمى بالعقايد الذي افتتحه فقال صح عندي مذهب
فقهاء الملة ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي يوسف
يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
رحمهم الله ثم شرع في بيان اقاويلهم الى ان قال مازال
بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم
من صفته ثم قال له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى
الخالق ولا مخلوق وارادوا بقولهم قبل خلقه اي قبل
مخلوقاته ثم قال وان قوما كان ابو حنيفة وكبار اصحابه والب

قايلين به مع تبحرهم في انواع العلوم وتقدم زمانهم حتى
عرف ذلك عوام اهل الاسلام فضلا عن خواصهم لعلم
ظاهر على جهالة من نسب ذلك الى حدوث العهد
بعد اربعمائة من الهجرة ثم ان ايمة اصحاب ابي حنيفة السالكين
طريقته في الفروع والاصول المتجنبين عن الاعتزال
الذابين عن حريم الدين كلهم كانوا في قديم الزمان وكذى
ايمتنا بسمرقند الجامعون بين علم الاصول والفروع كانوا
على هذا الراي من لدن الشيخ ابي بكر احمد بن اسحاق ابن صبيح
الجوزجاني صاحب ابي سليمان الجوزجاني تلميذ محمد بن
الحسن وكان في انواع العلوم في الذروة العالية ومن راى
تصانيفه ككتاب الفرق والتمييز وكتاب التوبة
وغيرهما يعرف جلالة قدره ومن كان صاحب محمد بن
الحسن صاحب ابي حنيفة كيف يكون ناشيا حتى يتعرض
لهم بالنشو من كان بعد اربعمائة سنة ثم تلميذه الشيخ ابو نصر
احمد بن العباس المفضل نسبه بسعد بن عبادة الانصاري

سيد الخزرج وكان في العلوم بحرا لا يدرك قعره إماما في
الفروع والأصول وهو أبو نصر أحمد العياضي الذي استشهد
في ديار الترك في أيام نصر بن أحمد بن أسد بن سامان الكبير
ومن نظر في كتابه المصنف في مسألة الصفات وما أتى به
فيه من الدلائل على صحة قول أهل الحق وبطلان قول
المعتزلة والجبارية عرف تبحره في ذلك وحكي أنه لما
استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران
أبي منصور الماتريدي والشيخ الحكيم أبي القاسم السمرقندي
ثم ابناه الإمامان أبو أحمد وأبو بكر العياضيان كانا على
هذا المذهب حتى قال الشيخ أبو حفص العجلي البخاري
وكان صدر ما وراء النهر وهو حافد الشيخ أبي حفص الكبير
الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة قدس الله روحه
أن أبا أحمد العياضي يعتقد مذهبه وعن الشيخ أبي القاسم
الحكيم فلما خرجت خراسان وما وراء النهر منذ مائة
سنة مثل الفقيه أبي أحمد العياضي علما وفقها ولسانا وبيانا

وبيانا ونزاهة وتقى وكذا أخوه أبو بكر العياضي كان
بدا نبيه في أنواع العلوم وسائر خصال الشرف وهو الذي
أوصى أهل سمرقند عند انقضاء أجله أن يتمسكوا بمذهب
أهل السنة ويتجانبوا الأهواء خصوصا الاعتزال وجمع
المسائل العشر التي هي أصول المسائل الخلافية بيننا
وبين المعتزلة قال سيف الحق رحمه الله وقبل هذه الطبقة
كان القاضي أبو عبد الله محمد بن أسلم بن مسلمة بن عبد الله
بن المغيرة بن عمرو بن عوف بن حاضر الأزدي وكان
على قضاء سمرقند في أيام نصر بن أحمد الكبير توفي في
شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثمان وستين ومائتين
ومن هذه الطبقة بسمرقند أبو بكر محمد بن اليمان السمرقندي
صاحب كتاب معالم الدين وكتاب الاعتصام وغيرهما
من الكتب في الكلام وله كتاب الرد على الكرامية من
وقف عليه عرف تبحره وجلالة قدره في العلم بأصول
الدين وبعد هؤلاء الفقيه أبو سلمة محمد بن محمد صاحب

جمل اصول الدين وكان تخرج على ابي احمد العياضي واخذ
منه الفقه والكلام والشيخ ابو الحسن الرستغفني
صاحب كتاب ارشاد المهتدي وكتاب الزوايد والفوايد
في اصناف العلوم قال سيف الحق رحمه الله ولو لم يكن
فيهم الا الامام ابو منصور الذي غاص في بحور العلوم فاستخرج
دررها واتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه
غررها لكان كافيا وعن ثلث مذهب كان هو عليه
لذوي العقول والدين زاجرا وقال غير سيف الحق
في وصفه ان ابا منصور الماتريدي من اجلة اوتاد الملة
واعلام الامة وقد اجتمع عنده من العلوم الملية والحكمية
ما صار به علما مشهورا من اعلام الهدى يعرف به الغاوي
من المهتدي بحق القول لا يستطيعه اهل الاهواء
خصوصا اهل الاعتزال حتى كانت المعتزلة يلقبون
اهل السنة به وينسبون سالكي طريقة ابي حنيفة في
العقايد والاصول اليه فيقولون هولاء الماتريدية لسد

ابا منصور الماتريدي رحمه الله

لشدة ما يغيضهم شانه وقوة انتصاره لمذهب السنة
والجماعة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة ودحضه
شبهات الخصوم ومن كتبه كتاب التوحيد وكتاب المقالات
وكتاب رد اوايل الادلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة
وكتاب تاويلات القران وهو كتاب لا يوازيه في فنه
كتاب بل لا يدانيه شي من تصانيف من سبقه في ذلك الفن
وله كتب شتى قال سيف الحق رحمه الله ولو استقصيت
في ذكر من كان على هذا المذهب من الايمة وابنت عن جلالة
اقدارهم وتبحرهم في اصناف العلوم لطال الكتاب
واكثر من ذكرت من هولاء كانوا ماتوا قبل ثلثماية وكان
وفاة الاشعري في سنة اربع وعشرين وثلثماية وتوفي
الشيخ ابو منصور بعد وفاة الاشعري بقليل ومات
اكثر هولاء الايمة قبل الاشعري بزمان طويل فكيف يرد
القول ممن كان بعد سني ثلثماية او بعد سني اربع ماية من الهجرة
يحدثون العهد لما كان عليه اوليك السلف المتقدمون

وفات الاشعري رحمه الله

وكيف يقبل ما انفرد به الأشعري من الأقاويل بمثل هذه الوقاحة
والجهل بمذاهب السلف وعلى خلاف إجماع الأمة الهادية
ولولا التعنت والإفلاس عن الحجة ثم قال سيف الحق
ابو المعين رحمه الله في كتاب تبصرة الأدلة هذا مع أن
أكثر رجال الصوفية الذين كانت بحور علومهم زاخرة
وكراماتهم فيما بين الخلق ظاهرة كانوا على هذا المذهب
يعني به إثبات أزلية صفات الذات والفعل جميعا ذكر هذا
عنهم الشيخ العالم ابو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي فيما
حكى من مذهبهم وعقيدتهم في كتابه المسمى بالتعرف وهو
الموثوق به فيما يروي العدل فيما حكى قال الشيخ
الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله وقد وقفت على
كتاب التعرف المذكور وعلى أسامي أولئك الأعيان من
الأولياء العارفين وعلى أقاويلهم في التوحيد والصفات
على وجه تقوم به البراهين والحجج وتدل على تحقيق الولاية
وشمول الكرامات الظاهرة لهم ببركة صحة عقيدتهم في

كتاب التعرف للكلاباذي رحمه الله

أسامي مشايخ العظام رحمة الله عليهم

في توحيد الله تعالى وصفاته وقد ذكرت ههنا بعض
الأعلام منهم قال الشيخ العالم العدل ابو بكر بن أبي إسحاق
فممن نطق بعلومهم ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة
رضي الله عنهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي
الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق وأويس القرني والحسن
بن أبي الحسن البصري وممن ذكرهم هنا أيضا مالك بن دينار
وعبد الواحد بن زيد وإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض
وداود الطائي وسفيان بن سعيد الثوري وأبو الفيض
ذو النون المصري والسري السقطي ومعروف الكرخي
ومن أهل خراسان والجبل أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي
وسهل بن عبد الله التستري وممن نشر علوم الإشارة أبو
القاسم الجنيد محمد بن جنيد البغدادي وأبو بكر الشبلي
وأبو الحسين أحمد بن عبد الصمد النوري وأبو سعيد أحمد بن
عيسى الخراز المصري ويقال له لسان التصوف قال
وممن صنف في المعاملات أبو عبد الله حبيق ويحيى بن معاذ

الرازي وابو القاسم اسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي ثم قال
الشيخ رحمه الله عقيب ذكر اساميهم هؤلاء هم المذكورون
المشهود لهم بالفضل الذين جمعوا علوم المواريث الى علوم
الاكتساب سمعوا الحديث وجمعوا الفقه والكلام
واللغة وعلم القران تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم
ثم شرح الشيخ العدل رحمه الله في شرح اقاويلهم في التوحيد
فذكر انهم اجمعوا على ان الله تعالى واحد فرد صمد قديم
عالم قادر حي سميع بصير الى ان قالوا انه تعالى موصوف
بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمى به نفسه
لم يزل قديما باسمائه وصفاته الى ان ذكر قولهم في الصفات
فقال اجمعوا ان لله تعالى صفات على الحقيقة هو بها
موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة
والكبرياء والجبروت والحيوة والقدرة والمشية
والارادة والكلام الى ان قالوا انه لا يجوز ان تحدث
لله صفة لم يستحقها فيما لم يزل وانه لم يستحق اسم الخالق لما

خلقه الخلق ولا باحداثه البرايا استحق اسم الباري ولا
بتصويره الصور استحق اسم المصور الى ان قالوا ان الله تعالى
لم يزل خالقا بارئا مصورا غفورا رحيما وكذلك جميع صفاته
التي وصف بها نفسه يوصف بها كلها في الازل كما يوصف
بالعلم والقدرة والكبرياء والقوة كذلك يوصف بالتكوين
والتصوير والتخليق والارادة وذلك انه لما ثبت انه سميع
بصير قادر خالق باري مصور وانه مدح له فلو استوجب
ذلك بالمخلوق والمصور والمبرؤ لكان محتاجا الى الخلق
والحاجة امارة الحدث وروي عن بعض نقلة الاثار
انه وقف على باب دار القضاة بالكوفة فقال لقد خرج
من هذه الدار سبعون قاضيا وهم على مذهب ابي حنيفة
وهم يقولون القران كلام الله غير مخلوق وذكر القاضي
الامام ابو العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد من
تصنيفه فقال روي عن عبد الملك بن الشوارب انه
اشار الى قصرهم العتيق بالبصرة فقال قد خرج من هذه الدار

وهذا القصر سبعون قاضيا على مذهب ابي حنيفة رضي الله
عنه كلهم كانوا يرون اثبات القدر وان الله تعالى خالق
الخير والشر ويروون ذلك عن ابي حنيفة وابي يوسف
وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن واصحابهم ويروي
هؤلاء القضاة عن ابي حنيفة واصحابه الذين سميناهم
ان من يقول ان الله تبارك وتعالى خلق الخير ولم يخلق
الشر ولم يقدرهما جميعا فهو مبتدع لا يصلى خلفه
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله تعالى
قد ثبت عند علماء الائمة وحفاظهم والعارفين بمذاهب
السلف ان من انتمى الى ابي حنيفة ولم يثبت قدم صفات
الذات والفعل جميعا ولم يثبت ازلية كلام الله تعالى
ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليس هو من مذهب ابي
حنيفة في شيء وذكر القاضي ابو العلاء صاعد رحمه الله
في كتاب الاعتقاد اشياء من اصول ابي حنيفة فمن ذلك
قال ابو العلاء روى عن حماد بن ابي حنيفة عن ابيه رضي

الله عنه انه قال ما الامر الا ما جاء به القرآن ودعا
اليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه اصحابه رضي
الله عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى ذلك فمبتدع
محدث وذكر ايضا فقال روى عن ابي مطيع قال قلت
لابي حنيفة رحمه الله اخبرني عن الايمان فقال تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد بملائكته وكتبه
ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره وتشهد
انه لم يفوض الاعمال الى احد والناس صائرون الى ما خلقوا له
والى ما جرت به المقادير وذكر ايضا فقال روى عن
محمد بن الحسن رحمه الله انه سئل ما كان ابو حنيفة يقول
في باب القدر قال سمعت ابا يوسف يقول كنت عنده
جالسا اذ جاءه رجل من ناحية البصرة فقال يا ابا حنيفة
تثبت القدر فقال كيف لا اثبت القدر وقد بينه
الله تبارك وتعالى فقال انا كل شيء خلقناه بقدر فما بقي
في العالم شيء الا وهو داخل فيه ه

وأما قولهم وقدر لهم أقدارا

قال أقضى القضاة أبو حفص الغزنوي هذا منهم إثبات أن
كل شيء يجري في الخلق وهو بتقدير الله تعالى قال شيخ الحق
رحمه الله في أصوله ثم القدر على وجهين أحدهما الحد
الذي يخرج عليه كل شيء على ما جعله عليه من خير أو شر
من حسن أو قبح من حكمة أو سفه وهو تفسير الحكمة
أن يجعل كل شيء على ما هو عليه ويقدر كل شيء على ما هو
أليق به فمتى أوجده على ما يقتضي الحكمة وجوده عليه كان
حكيما ولهذا قال أهل الحق إن خلق فعل الكفر ليس بسفه
وإنما يكون سفها من يقصد تحصيل السفه حكمة وتحصيل
القبيح حسنا فأما إيجاد ما هو حسن حسنا وما هو قبيح
قبيحا يكون حكمة لا سفها كالإخبار بالشيء على ما هو به
يكون صدقا والوجه الثاني القدر هو بيان ما يقع عليه
كل شيء من زمان ومكان وما له من الثواب والعقاب هذا هو

تفسير

تفسير لفظ القدر وهو مذهب أهل السنة والجماعة
ودليلهم على ذلك ما مر ذكره من الدلائل العقلية على أن
كل شيء لم يكن ثم كان فهو بتخليق الله تعالى وتكوينه إذ
حدوث المعدوم بنفسه محال لما أن المعدوم لا حقيقة
له في نفسه فلا يكون فعل الإيجاد فثبت أن حدوثه بغير
هو قديم لما بينا من الدلائل القاطعة أن المحدث يستحيل
منه إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود ويستحيل أن
يكون خروج المعدوم وحدوثه بإثنين لما مر من الدلائل القاطعة
على استحالة الصانعين لما في ذلك من التدافع والتمانع الموجب
لتعطل المصنوع حتى يظهر الكامل الغالب على ما قال الله
تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وعلى ما قال تعالى
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض فثبت أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء من خير أو شر
ومن الحجج السمعية على ذلك قوله تعالى قل الله خالق كل شيء
وقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر وقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار

والحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القدر
خيره وشره من الله تعالى وحديث سعد بن ابي وقاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه فهو مؤمن ومن
جاء بثلث وكتم واحدة فقد كفر شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله وانه مبعوث من بعد الموت وايمان بالقدر خيره
وشره فمن جاء بثلث وكتم واحدة فقد كفر ذكره سيف الحق
في كتابه الملقب بتبصرة الادلة

واما قولهم وضرب لهم آجالا

قال ابو حفص الغزنوي هذا منهم تحقيق بان الاجل المضروب
لكل احد منهم مبرم محكم لا يحتمل التاخر عنه ولا
التقدم عليه عما ضرب له اذ يكون في التقديم من غيره
تعجيز اياه عن تبليغه الحد الذي ضرب له وذلك محال
في حق الله تعالى وفي التقديم والتاخير من قبله خوف
البدا والجهل وتعالى الله عن ذلك ومن الدليل السمعي

قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
وكذلك الحديث المعروف ان عند تصوير العبد في بطن امه
بامر الله تعالى ملكا فيكتب على جبهته رزقه واجله وسعادته وشقاوته
وفي هذه الادلة بطلان قول المعتزلة ان لكل انسان
اجلين احدهما الموت والاخر القتل والله تعالى اخبر انهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فبطل قولهم ومما
يبطل قولهم ايضا قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله اي لا تموت نفس الا بقبض المسلط على قبض الارواح
روحه وهو ملك الموت وهو كقوله تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم ان مات او قتل وعلى قول المعتزلة
يقدر كل فاسق وكافر ان يأتي الى كل محقون الدم فيقتله
قبل اجله فيكون خلاف قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله والقتل هو الموت وهو انزهاق الروح عند
انتهاء الاجل ووجوب القصاص على ارتكاب النهي لا على
انزهاق الروح وعلى قول المعتزلة تبطل ولاية ملك الموت

عن عموم تسليط الله تعالى على قبض ارواح العالمين وذلك تعجيز
للوكالة الالهية وهو محال ودل على بطلان قولهم ايضا قوله
تعالى كتابا موجلا وفيه معنيان كلاهما واحد احدهما قوله كتابا
موجلا اي وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتاخر كقوله تعالى لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون والثاني كتابا موجلا اي
مثبتا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه كقوله وكل شيء احصيناه
في امام مبين فان قالوا لو يجب على قولكم ان من ذبح شاة غيره
بغير امره ان لا يضمن قيمتها لانه عجل المنفعة لصاحبها
لانه لو لم يقتلها لماتت بحتا وكذى من قتل غيره ينبغي ان لا يجب
القصاص لانه لو لم يقتل يموت قال ابو منصور رحمه الله فنقول
هذا تلبيس وتمويه لان ما علم الله تعالى ان يموت بالقتل
والذبح لا يكون موته حتف انفه وما كتب في اللوح المحفوظ
ان خروج روحه بسبب القتل يكون موته به لا محالة كيلا
يودي الى القول بتغير علم الله تعالى وحكمه لكن القاتل والذابح
منهي عن ذبح شاة الغير وعن قتل الادمي المعصوم وانما يواخذ ويذم

ويذم بارتكاب المنهي مختارا ولا يكون العبد بسبق القضاء والقدر
والحكم بذلك معذورا اذ يكون ارتكابه ذلك مختارا موثرا
لا مضطرا مجبورا معدوم الاختيار وذلك لان القضاء والقدر
والحكم كان بما سبق به العلم في الازل انه يرتكبه مختارا وهذا
هو معنى قول ابي حنيفة رحمه الله ان ناظرتنا القدرية في القضاء
والقدر غلبناهم بالعلم اي بسبق العلم انه يرتكبه مختارا لا مضطرا
فالمواخذة والذم على ارتكاب المنهي وعلى المكلف مراعاة ظاهر
الامر والنهي دون اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى
ان المومن يعاقب بارتكاب المعاصي من الزنا والسرقة واكل
الربوا وشرب الخمر واللواطة ونحوها وان علم الله تعالى
منه ذلك وكتب في اللوح المحفوظ انه يوجد اذ لا ينقلب
علم الله تعالى جهلا ولا يمكن العاصي الخروج عن ذلك الحكم
لما فيه من تغير الحكم وانقلاب العلم جهلا تعالى الله عن ذلك
لكن لما نهي عن ذلك وكان في الظاهر ممكنا من الانتهاء بالقدرة
على ذلك من حيث الاسباب نظرا الى الظاهر دون الباطن

كان يؤاخذ بالحكم المعلق على الظاهر دون العلم الباطن فهذا
مثله وقال ابو حفص الغزنوي في شرحه انما قالوا يعني بهم ابا حنيفة
وابا يوسف ومحمدا وضرب لهم آجالا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا نص محكم صريح
ولان التقدير في الاشياء ظاهر والآجال في الخلق معلومة
ومحال اضافتها الى غير الله تعالى لان التقدير وضرب الآجال
من افعال الربوبية فيعلم قطعا ان الاقدار والآجال بتقدير الله تعالى

وأما قوله لم يخف عليه شيء من

افعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم
قال ابو حفص الغزنوي انما اوجبوا الاعتقاد بسبق علم
الله تعالى بكل كائن من خلقه قبل كونهم لانه تعالى هو
القديم الكامل وما سواه محدث وثبوت العلم من صفات
الكمال فيستحيل عليه الجهل لما فيه من التعري عن الكمال
وانما قرنوا التخليق بالعلم لان العلم بالمخلوق من شرط التخليق قال

الله تعالى الا يعلم من خلق الآية وقال تعالى اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم وقال وهو بكل خلق عليم وقال وخلق
كل شيء وهو بكل شيء عليم

وأما قوله وأمرهم بطاعته

ونهاهم عن معصيته
قال ابو حفص الغزنوي وانما ذكروا امره ونهيه بعد
ذكر علمه وتخليقه للعالم ليعلم انه تعالى خلقهم للاستعباد
بالاوامر والنواهي قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ولاهل الحق في تاويله وجوه احدها
وما خلقت الجن والانس الا وعليهم عبادتي والثاني
وما خلقت الجن والانس الا لامرهم وانهاهم والثالث
وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بعبادتي والكل يرجع
الى معنى واحد وقال تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون

وفي قوله بالحق وجوه احدها اي خلق السموات والارض
لاستعباد اهلها بالاوامر والنواهي والثاني قوله بالحق
اي لم يخلقهما عبثا بل لامر كاين ثابت وهو البعث بعد الموت
والثالث اي خلقهما لعاقبة الجزا بالثواب والعقاب اذ لولا
الخلق والايجاد لذلك لكان خلقهما عبثا باطلا وتعالى
ان يكون فعله عبثا ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان الخلق لا للرجوع اليه
يكون عبثا والكفرة لما تركوا تحمل الامر والنهي وانكروا
البعث فقد ظنوا خلقهما عبثا وهو قوله تعالى وما خلقنا
السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار

واما قولهم وكل شي يجري

بقدرته ومشيته فانما قالوا ذلك لما قامت الادلة
القاطعة على ان كل حادث حدث فهو بارادة الله تعالى وعلمه

وتخليقه وتكوينه خيرا كان او شرا حسنا كان او قبيحا
جوهرا كان او عرضا وهو مذهب اهل السنة والجماعة
وزعمت المعتزلة ان الله تعالى يريد بافعالنا ما هو حكمة
او طاعة ولا يريد ما هو معصية وقبيح وفي المباحات
قال بعضهم هو مريد لها ومنهم من زعم انه مريد لها قال
سيف الحق رحمه الله ويكون هذا على قول معتزلة بغداد
فانهم يزعمون ان الله تعالى لا يوصف بالارادة في الحقيقة
وانما يوصف بها مجازا فما كان من افعاله تعالى يقال بانه
اراده فمعناه انه يفعله او فعله وما كان من افعال غيره
فقيل انه اراده فمعناه انه امره به والمباح ليس بمامور به
فلا يكون مرادا قال سيف الحق رحمه الله والحاصل عند
اصحابنا ان كل حادث فقد حدث بارادة الله تعالى
على اي وصف كان ثم ما كان من ذلك طاعة فهو بمشية
الله وارادته ورضاه وامره وقضائه وقدره وما كان
معصية فهو بمشية الله تعالى وارادته وقضائه وقدره

وليس بامر الله تعالى ولا برضاه ولا بمحبته وذلك لان محبته
ورضاه يرجع الى كون الشيء عنده مستحسنا قال سيف الحق
رحمه الله وعلى هذا قدماء اصحابنا وهو الظاهر من قول
مشايخ سمرقند ونص عليه ابو منصور الماتريدي والارادة
والمشية لفظان ينبئان عن معنى واحد ثم لمشايخنا في اضافة
الارادة عبارتان فمنهم من يضيفها على الاجمال فيقول ان الله
تعالى مريد حدوث كل ما علم حدوثه ولا يكون في سلطانه
الا ما يريد كونه كما اطلقه جميع المسلمين بقولهم ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن ومنهم من لا يقتصر عند التفصيل
عن ضم قرينة فيقول ان الله تعالى اراد الكفر من الكافر
كسبا له قبيحا مذموما وكذى في غيره من المعاصي لئلا يؤدي
الى ايهام الخطا وحجة اهل الحق في ذلك نصوص منها قوله تعالى
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالوا اخبر الله تعالى
انه ذرا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن ذراه لجهنم اراد منه
ما به يصير لجهنم اذ لو ذراه لجهنم مع ارادة ما به يصير للجنة يكون

يكون قد اراد منه ما يصير بادخاله ما ذراه له ظالما وهذا
محال وبيان ذلك ان المعتزلة يقولون ان الله تعالى اراد
من كل احد الايمان الذي به يصير للجنة والله تعالى اخبر انه
ذرا كثيرا من الجن والانس لجهنم فيستحيل ان يريد منهم الايمان
الذي به يصيرون للجنة ثم يخلقهم لجهنم وزعمت المعتزلة
بان اللام في قوله لجهنم اي يصير عاقبة امرهم لجهنم كقوله
تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اي انهم
ما التقطوه ليكون لهم عدوا ولكن صار عاقبة التقاطهم
ذلك قلنا لهم انما يتصور من الحمل على لام العاقبة فيمن
يجهل العاقبة فاما من لا يجهل العواقب كيف يريد عاقبة
بفعل يعلم حقيقة انها لا يكون على ما يريد تعالى الله عن
ذلك ومنها قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
اخبر انه متى اراد ضلاله لئلا يؤمن يجعل صدره ضيقا
فيبقى على الكفر قال سيف الحق رحمه الله واعترض الكعبي

من المعتزلة على هذا فقال معنى الآية ان من اسلم اتاه الله تعالى
من لطايفه ما لا يقدر عليه غيره ثوابا لطاعته ومن كفر
ضيق الله تعالى عليه صدره عقابا بذلك قال سيف الحق
رحمه الله وهذا تحريف لكتاب الله ونقل للكلام عن
مواضعها وليس بتاويل وذلك لان الله تعالى اثبت له الاسلام
اذا شرح صدره والكفر اذا ضيق قلبه وجعله حرجا
ولم يقل انه يوجب شرح القلب لانه اسلم ولا ضيق القلب
لانه كفر فكان فساده مما لا يخفى واعترض معتزلة البصرة
بانه اراد بقوله يهديه اي يبين له وبقوله يضله اي يسميه
ضالا وهذا فاسد لان شرح الصدر لو كان بيانا لكان
قد شرح صدر كل كافر لوقوع البيان للكل ولو كان يقع
ضيق الصدر لكل كافر لتسميته اياه ضالا لكان كل كافر
مشروح الصدر لحصول البيان له ضيق الصدر لوجود
تسميته كافرا وهذا محال وهكذا داب المعتزلة يحملون
القران على مذاهبهم ومما يدل على صحة قول اهل الحق رحمهم الله قوله

قوله تعالى خبرا عن نوح حيث قال لقومه ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ذكر ان الله تعالى
يريد ان يغوي الكفرة ومن ذلك قوله تعالى اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اخبر انه لم يرد تطهير قلوبهم وعند
المعتزلة اراد الله تطهير قلوبهم وفي الايات كثرة لاثبات
قول اهل الحق وللمعتزلة عليها اعتراضات فاسدة تركنا
ذكرها لظهور فسادها عند من له ادنى معرفة بدليل العقل
والنقل قال الله تعالى ولو شينا لهديناكم اجمعين وقال تعالى
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وقال ولو شاء الله
ما اشركوا ومن المعقول انه لو شاء من الكافر الايمان
والكافر شاء من نفسه الكفر ثم كان الكفر دون الايمان
على ما زعمت المعتزلة لتعطلت مشية الله تعالى بمشية
الكافر وكانت مشية الكافر انفذ من مشية الله تعالى
وكذا تكون على قولهم مشية ابليس انفذ في سلطان الله
من مشية الله تعالى لكون اكثر الخلق كافرين وكذا من ادل الدلايل

على ضعف الملك وعجزه ان يوجد في ملكه ما لا يشاء وان
يشا اشيا فلا تكون ولا يشاء اشيا فتكون على كره منه ووصف
الله تعالى بذلك محال اذ قامت الادلة القاطعة على انه
الواحد القهار وقد اثبت الله تعالى لنفسه الالوهية
والوحدانية بنفاذ ارادته فيما اراد وابطل الوهية غيره
ببطلان الارادة فقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال
قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله
غير الله ياتيكم به وقال وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب
العالمين فبطل قول المعتزلة بان الله تعالى اراد من كل
كافر الايمان الذي هو خير وفضل وان ابليس اراد منهم
الكفر والضلال فنفذت ارادة ابليس ومشيته ووجد
الكفر وتعطلت ارادة الله تعالى ومشيته فلم يوجد الايمان
تعالى الله عما يقول المبطلون بل ارادة الله تعالى ومشيته
نافذة في الكل بما سبق علمه في الازل فمن سبق في علمه انه يو

يؤمن ويختار الايمان اراد منه ذلك ومن سبق في علمه
انه يكفر ويختار الكفر اراد منه ذلك ولا يجوز ان يتوهم
انه يريد غير ما علم لان ذلك يكون ارادة تجهيل نفسه
بان ينقلب علمه جهلا وذلك مستحيل في حقه فيستقيم
لاهل الحق التوحيد والعدل وبالله العصمة والتوفيق
وقد اعترضت المعتزلة على نصوص المشية فقالوا ان المشية
المذكورة في الايات هي مشية القسر والجبر اي لو شا ربك
لجبرهم على الهدى ولامنوا جبرا وما اشركوا واعترضوا
في المعقول فقالوا انما يدل انعدام ما يشا على الضعف
ان لو لم تكن له قدرة ايجاد ما يشاء ودفع ما يشاء وله
قدرة ايجاد ايمان كل كافر جبرا منه وقدرة دفع كل
كفر جبرا فلا يوصف بالضعف فقال لهم اهل الحق ايش
تعنون بمشية القسر والجبر فتفرقوا عند ذلك في تفسيرها
فزعم ابو الهذيل منهم ومن تابعه ان نفس الجبر ان يخلق
فيهم الايمان جبرا بدون اختيارهم فيوجد الايمان ويندفع

الكفر قيل لهم ان من مذهبكم ان المؤمن فاعل الايمان والكافر
فاعل الكفر ولهذا ابيتم ان يكون الله تعالى خالقا
لافعال الخلق ولهذا قلتم ان المؤمن يخلق ايمانه ليكون
مؤمنا وقلتم لو كان الله تعالى خالقا للايمان والكفر
لكان هو المؤمن الكافر المطيع العاصي فعلى هذا لو خلق
فيهم الايمان لكان هو المؤمن لا العباد فلا يتصور ايمانهم
على قولكم ولم تنفذ مشيئته فبطل علينا وعليكم قوله تعالى
فلو شاء لهديكم وقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
فيكون على مذهب المعتزلة له تعالى قدرة جعل نفسه
مؤمنا لا قدرة جعل الكافر مؤمنا وكذا ما اندفع عنه
تعالى العجز عن جعل الكافر مؤمنا بل تكون له قدرة على
جعل نفسه مؤمنا فيصير التاويل على مذهبهم فلو شاء
لامن نفسه واتى نفسه هداها لا غير ومن العجب العجيب
قولهم انه تعالى لو خلق في العبد ايمانا كسبا له باختياره
وتعلقت قدرته به لم يكن العبد مؤمنا بل كان الله تعالى هو

هو المؤمن لانه هو الذي اوجد الايمان ولو خلق فيهم ايمانا
جبرا او هدى جبرا بلا اختيار من جهة العبد ولا باكتسابه
لكان العبد مؤمنا ولو لم يجدلوا عن الحق والهدى لما اوقعوا
انفسهم في هذه المناقضة الفاحشة والتحكم البارد ولاستحيوا
عن التفوه بمثل هذا الكلام السمج فلما راى الجبائي منهم عوار
هذا الكلام وتشنيع اهل الحق عليهم زعم ان تفسير مشيئة
الجبر ان يخلق الله تعالى في العبد العلم الضروري بصحة
الاسلام ويقيم له الدلايل المثبتة له العلم الضروري
فيؤمنوا حينئذ قلنا لهم وهذا ايضا فاسد لان العلم بصحة
الايمان وحقيقة الدين غير الدين والايمان وليس من
ضرورة وجود احد المتغايرين وجود الاخر بل الجائز
ان لا يوجد الا ترى ان الله تعالى قال ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا الخبر انه وان اقام كل دليل لا يؤمنون الا ان يشاء الله
ايمانهم فكان في الاية بيان بطلان كلام الجبائي من وجهين

احدهما ان قيام هذه الدلايل غير مثبته الايمان غير
حيث قال ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله بعد وجود هذه
الدلايل والاخر انه اثبت ان بقيام هذه الدلايل لا يومنون
وكذي قال تعالى وان يروا كل اية لا يومنوا بها فمن قال
يومنون بها لا محالة فقد كذب الله تعالى في خبره بحققه
ان اهل العناد لم يكونوا يومنون وان كان العلم بطريق الحقيقة
بانباهم كما اخبر الله تعالى بقوله يعرفونه كما يعرفون ابناهم
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون فثبت ان وجود
الايمان والهداية ليس من ضرورة العلم والدليل قال سيف
الحق وغيره ثم الذي يبطل جميع تاويلاتهم ان الله تعالى
قال ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اخبر انه انما
لم يوت كل نفس هداها لما انه حق القول منه ليملان جهنم
ولو اتي كل نفس هداها لم يتصور ان يملا جهنم بهم لان المهتدي
لا يملا به جهنم واعطا الهدى بطريق الجبر على الطرف الذي
زعموا

زعموا لا يخرجهم من استحقاقهم جهنم وان يملا منهم جهنم فدل
ان قولهم باطل ولانه لا معنى لتعليقهم الايمان الحاصل جبرا بالمشية
انه لو شا الفعل لانه قد فعل ذلك وحصل من كل كافر اذ كل
كافر وكل مخلوق تشهد خلقته ان له صانعا حكيما عليما موصوفا
بصفات الكمال منزها عن سمات الحدث والنقص لا يويد الكاذب
المتنبي بالمعجزة فكان على هذا كل مخلوق مومنا بخلقته وقد
شا الله تعالى وفعل فلا معنى لحملهم قوله تعالى ولو شا
ربك لامن على ايمان الجبر والقهر وقد فعل ذلك فدل ان
المراد من الاية ليس هو الايمان الحاصل جبرا بل المراد ايمانهم
الاختياري وقد صح في المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وكذي هذه
اللفظة متداولة على السنة الامة ولا وجه لحملها على
مشية الجبر لانه وان امكن ان يقال لما شا الله جبرا كان
لم يمكن ان يقال وما لم يشا جبرا لم يكن لان الطاعات
كلها عند المعتزلة لم يشا جبرا وكانت المعاصي لم يشا جبرا

وقد كانت فدل ان المراد من المشيئة غير مشيئة الجبر قال
ابو المعين ومن المعقول الذي لا مدفع له ان يسأل المعتزلة
فيقال لهم هل علم الله تعالى ما يكون ابدا على ما يكون فان
قالوا لا كفروا لانهم جهلوا ربهم وان قالوا نعم قيل لهم شاء ان
ينفذ علمه كما علم او لا فان قالوا لا فقد قالوا ان الله تعالى شاء
ان يكون جاهلا وذلك ايضا انسلاخ لان من شاء ذلك
فليس بحكيم فيكونوا قد وصفوه بالسفه وان قالوا نعم قد شاء
ان ينفذ علمه كما علم فقد اقروا بانه شاء ان يكون كل شيء كما علم
ان يكون وهذا المحكي عن ابي حنيفة حكاه عنه الشيخ
ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو لازم بمرة وهو المعقول
القوي في المسئلة هـ

واما قولهم ومشيئته تنفذ

فانما قالوا ذلك لما مر بيانه من البراهين الساطعة والحجج
القاطعة على ان مشيئته تعالى صفة ذاتية فكانت نافذة في

في الاشياء اذ هو الواحد القهار قهر الاشياء على مقتضى
ارادته وهو الملك القدوس الجبار جبر الاشياء على الدخول
تحت مشيئته فظهر اثار نفاذ مشيئته وارادته بتخصيص
مفعولاته ومصنوعاته المتجانسة على هيئات مختلفة واوصاف
متباينة في امكنة مخصوصة وازمنة مخصوصة على ما مر
بيانها في فصل الارادة وظهر اثار قهره في كل شيء بالتسخير
والتذليل ولزوم التغير والزوال وظهر اثار كمال قدرته
الذاتية بقيام السماء في الهواء بلا علاقة من فوق ولا عمد
من تحت وبكون السحاب الثقال مسخرا بين السماء والارض
حاملا لبحور الماء قارا على متن الهواء قد طبق وجه السماء في الطول
والعرض واقفا تارة وسائرا تارة بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت

واما قولهم لا مشيئة للعباد

الا ما شاء لهم. فلانهم عباد والعبد اسم لمن هو موسوم
بسمة التذلل يقال طريق معبد اي مذلل لكنهم مع كونهم

عبيدًا مملوكين ملك ايجادٍ وتخليقٍ ليسوا في افعالهم مجبورين
بل لهم قدرة اكتساب لا قدرة تخليق لقيام الادلة القاطعة
على استحالة ثبوت قدرة التخليق لغير القديم تعالى ولهم
اختيار فيما ياتون ويذرون لما ركب فيهم الاختيار
والعقل فكانوا مختارين فيما يفعلون لا اختيار ربوبية
بل اختيار محنة وكلفة مترددين بين فضل الرب تعالى
وعدله ولذلك يثابون ويعاقبون كذا ذكر اقضى القضاة
ابو حفص الغزنوي وابو المعين النسفي وغيرهما وهو مذهب
اهل السنة والجماعة قال ابو حنيفة قدس الله روحه
اقول كما قال جعفر الصادق لا جبر ولا تفويض ولا كره
ولا تسليط والله تعالى لا يكلف العباد ما لا يطيقون
ولا يرضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم وروى عبد الكريم
الجرجاني عن ابي حنيفة رحمه الله قال كذب الناس على
الحسن حيث نسبوه الى القدر كذا ذكره القاضي ابو العلا البصري
في كتاب الاعتقاد ه   واما قولهم فما

واما قولهم فما شاء الله كان وما لم يشا

لم يكن   فانما قالوا ذلك لان تفرد مشية الغير في شيء
من الاشياء بدون ارادته تعالى ومشيته دلالة القهر
والعتوة وذلك محال في حقه تعالى قال الله تعالى وما
تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين ولان الاستبداد
العبد بشيء لم يرد الله كونه ولم يشأ وجوده خروج عن محل
كونه عبدًا وذلك محال لان سمات الحدث ورق العبودية
لا يرتفع عنه وان جل قدره وعظمت رتبته لاستحالة ارتفاع
التاليف والتركيب عن ذاته لما فيه من بطلان الحدثية
والمصنوعية وذلك محال ه

واما قولهم يهدي من يشاء ويعصم

ويعافي من يشاء فضلا   قال القاضي ابو حفص الغزنوي
يبنوا بهذا ان العباد لا يستحقون على الله تعالى وجوب مراعاة

الأصلح ولا مراعاة الصلاح في حقهم وقال عامة المعتزلة
يجب على الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم في باب
الدين وقال بعضهم لا بل يجب عليه مراعاة الصلاح في حقهم
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ثم معنى قول أصحابنا
يهدي من يشاء أي يخلق فعل الاهتداء ممن يشاء ومعنى قولهم
يضل من يشاء أي يخلق فعل الضلال ممن يشاء وهذا هو قول
أهل الحق في تأويل الهداية المضافة إلى الله تعالى والإضلال
المضاف إليه قال إمام الهدى أبو منصور رحمه الله الهداية
تحتمل وجوها أحدها البيان يعني بيان الدين الحق كقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
أي لتبين الطريق الحق من الباطل ومنه سمي القرآن هدى
أي بيان الحق من الباطل والثاني الدعاء كقوله ولكل قوم هاد
أي داع والثالث تحتمل الهدى التوفيق للطاعات والعصمة
عن المعاصي والتحسين للخيرات والتكريه للكفر والفسوق
فينطلق اسم الهداية على جميع ما هو معاون على الطاعات والامتناع

والامتناع عن أضدادها وذلك معنى قولهم في القنوت اللهم
اهدنا فيمن هديت وتحتمل الهداية خلق الاهتداء من الله تعالى
والخلق صنعه وهو أزلي والاهتداء محدث والهدى بمعنى
بيان الحق وبمعنى الدعاء إليه وبمعنى الأمر بالحق يضاف إلى الله
تعالى وإلى رسله وإلى أتباعهم فإن الله تعالى أمر بالحق ودعا
إلى الحق وبين الحق من الباطل بالحجج العقلية والسمعية وكذلك
الرسل وأتباعهم وأما الهدى بمعنى خلق فعل الاهتداء والتوفيق
فلا يجوز إضافة هذين الوجهين إلى غير الله تعالى لما ثبت
بالأدلة القاطعة أن الله تعالى خالق أفعال العباد كان
هو الذي خلق فيهم فعل الاهتداء وفعل الضلال فوجد
منه الهدى والإضلال وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وخالفت المعتزلة في إضافة خلق فعل الاهتداء وخلق فعل
الضلال وقالوا المراد من الهداية المضافة إلى الله تعالى
بيان طريق الدين لا تخليق فعل الاهتداء وما أضيف إليه في القرآن
من الإضلال والإزاغة والمد والطبع بقوله تعالى طبع الله

على قلوبهم وقوله يمدهم في طغيانهم يعمهون فهو بطريق التسبب
قالوا الا ان السبب الذي كان به منهم تلك الافعال كان من الله
تعالى وهي كاعطاء القدر والآلات فاضيفت اليه لما كان منه
التسبب ومنهم من قال الهداية المضافة الى الله تعالى هداية
طريق الجنة في الآخرة وهذا المحكي عن الجبائي منهم وقالوا في الاضلال
هو تسمية الله تعالى اياهم ضلالا قالوا لانه يقال اضله
اي سماه ضالا وحجة اهل الحق قالوا لما قامت لنا الدلايل
على ان الله تعالى خالق افعال العباد كان هاديا بتخليقه فعل
الاهتدا ومضلا بتخليقه فعل الضلال ثم الذي يبطل جميع
تاويلاتهم قوله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا فيكون على مذهب
المعتزلة وتاويلهم ان الهدى هو البيان والامر والدعاء
لا غير يكون تقدير الآية انك لا تبين الحق ولا تامر ولا
تدعوا الى الحق من احببت ومتى حملوا على هذا افتروا على الله
وعلى رسله ولا يمكنهم حمل النص على هذا بل معنى الآية من كل بد تخلق

تخليق الاهتداء والتوفيق اي انك لا تخلق فعل الاهتداء
ولا تملك التوفيق انما ذلك الى الله تعالى فدل ان وراء
البيان والامر والدعا هداية اخرى وليس ذلك الا ما قلنا
يدل عليه ان الله تعالى قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ولو كان المراد من الهداية الدعوة وبيان الطريق
ينبغي ان يقال كل من دعاه الله تعالى الى الايمان وبين له طريق
الدين فهو منشرح الصدر فيصير قوله يجعل صدره ضيقا
حرجا كذبا باطلا وهو كفر وهكذى داب من زاغ عن الحق
وعاند دليله وخالف اهله ان توقعه الحيرة والجيد عن
حججه في الحصول على المناقضة وظهور بطلانه ويدل ايضا
على حيدهم وضلالهم قسمة الله تعالى الخلق احدهما قوله تعالى
فمن يرد ان يهديه يشرح صدره للاسلام والقسم الآخر
قوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فيصير
هذا التقسيم من الله تعالى على تاويلهم باطلا وذلك لان الله تعالى
بين الطريق لكل كافر فقد شرح صدره ووجده ضالا وسماه ضالا

علينا وليهم لقوله يضله اي يسميه ضالا ويجده ضالا فاذا كل
كافر شرح الله صدره لانه هداه في قولهم وضيق صدره لانه
اضله وفيه وصف الله تعالى بفعل هو محال وفيه ابطال
تقسيم الله تعالى الخلق على ما سبق بيانه وهذا كله كفر نعوذ
بالله من الحيرة والزيغ وانما وقعت المعتزلة فيما وقعوا لما
تلقفوه من الثنوية قولهم ان الحكيم لا يفعل القبيح فجعلوا
الاعيان المستحسنة مصنوع صانع حكيم والاعيان الخبيثة
المستقبحة مصنوع صانع حكيم سفيه والمعتزلة اتبعوا
هذه القاعدة فقالوا ان الكفر والمعاصي قبيح لا يجوز
ان يخلقها الله تعالى بل العبد هو الذي يخلقها ولو تلقت
المعتزلة ما نطق به كتاب الله تعالى من اضافة الهدى والاضلال
اليه بالقبول واتبعوا الدليل الموجب للعلم باستحالة ثبوت
خالق غير الله تعالى لشيء من العالم وتعلموا من اهل الحق دفع
ما تمسك به الثنوية من الشبهة بان اضافة تخليق الكل
الى الله تعالى ليست بقبيحة ولا سفه بل تحتها حكم كثيرة منها

منها وصف الله تعالى بالوحدانية ومنها فيها وصف الله
تعالى بكمال القدرة اذ القادر على المتضادين هو الكامل
ومن شرط القدم الكمال والعجز عن خلق احد المتضادين
نقص والناقص لا يكون الها ومنها وصف الله تعالى بالاستغناء
لئلا يتوهم انه اوجد نوع المحاسن اجتلابا للمنافع ومنها
الوصف بكمال العز بانه لا يتضرر بالاعداء والعصاة فلو
اتبعوا كتاب الله تعالى والسنة الواضحة والائمة
الهادية وهم الجماعة لكان خيرا لهم من ان تلقفوا شبهة
الثنوية وتشبثوا بها وجعلوها قانونا لكتاب الله تعالى
فصرفوا كل ما يخالف تلك الشبهة الى وجوه مستنكرة
وتاويلات غير مستقيمة فحرفوا الكلم عن مواضعها
وازالوا النصوص عن مواردها نعوذ بالله من الخذلان
وهو المستعان وقال سيف الحق ابو المعين رحمه الله في قول
فقهاء الملة رحمهم الله يهدي من يشاء ويعصم ويعافي من يشاء
فضلا هذا منهم بيان ان مراعاة الاصلح والصلاح ليست

بواجبة على الله تعالى والاصل في ذلك ان في مقدور الله تعالى
لطفا لو فعل ذلك بالكفار لآمنوا اختيارا ولم يفعل بهم ذلك
فلم يكن بان لم يعطهم ذلك بخيلا ولا سفيها ولا جائرا ظالما ولو
فعل بهم ذلك لكان متفضلا منعما لا مؤديا حقا واجبا عليه
وانه اذا لم يعطهم ذلك فقد منعهم ما هو الاصلح لهم وكان
اعطاؤه اياهم ذلك اللطف اصلح لهم من ترك الاصلح ويجوز
ان يفعل بالعبد ما ليس بمصلحة له واعطا ما هو المصلحة ليس
بواجب على الله تعالى وليس لما في مقدور الله تعالى مما به
الصلاح للعبد غاية ولا نهاية فان فعل بالعبد الاصلح
والصلاح كان متفضلا منعما محسنا وان ترك لم يترك واجبا
وكان ذلك منه عدلا لا جورا وهذا هو مذهب اهل الحق
وزعم جمهور المعتزلة ان ليس في مقدور الله تعالى لطف لو فعل
بالكفار لآمنوا ولو كان ذلك في مقدوره ثم لم يفعل بهم ذلك
ولم يعطهم لكان سفيها بخيلا جائرا مانعا حقا واجبا عليه
وقد فعل بالعباد غاية ما في مقدوره مما به صلاحهم وواجب علي

عليه ان يفعل بهم ذلك هذا قول جمهورهم وقال بشر بن المعتمر
رئيس معتزلة بغداد ومن تابعه ان الله تعالى يجب عليه
ان يفعل بالعبد ما هو المصلحة ولا يجوز له ان يفعل بالعبد
ما هو المفسدة له ولا يجب عليه فعل الاصلح اذ ليس لما
في مقدور الله تعالى من المصلحة واللطف غاية وانما يجب
عليه اعطا ما هو صلاح لهم وازاحة عللهم فيما يحتاجون
اليه وذكر الكعبي في كتاب المقالات انه تاب عن هذا
ورجع الى قول اصحابه قال كتب بذلك الى ابو الحسين
الخياط وكان جعفر بن حرب يقول ان عند الله لطفا لو اعطاه
الكفار لآمنوا اختيارا ايمانا لا يستحقون عليه من الثواب
ما يستحقون به اذا آمنوا مع عدم ذلك اللطف والاصلح
قال الكعبي ثم ترك جعفر بن حرب هذا القول ورجع الى
قول اصحابه وشبهتهم قالوا انا وجدنا الحكيم اذا كان
امرا بطاعته محبا لها مريدا فلا يجوز ان يمنع المامور
ما يصل به الى طاعته اذا كان قادرا على ان يعطيه ذلك

وكان بذله اياه لا يخرجه من استحقاق الوصف بالحكمة ومنعه و
لا ينفعه وكذلك اذا كان له عدو يدعوه الى موالاته ويحب
رجوعه فلن يجوز ان يعامله من الغلظ واللين الا بما يعلم
انه انجع فيما يريد منه وادعى له الى ترك ما فيه من عداوته
فلما كان هذا فيما بيننا على ما وصفنا وكان الله عز وجل قادرا
رحيما جوادا عالما بمواضع حاجة عباده امرهم بطاعته
وترك عداوته لا يضره الاعطا ولا ينفعه المنع ولا يلحقه
منه ذم علمنا انه لا يفعل بهم الا الاصلح الاشياء لهم في دينهم
وادعى لهم الى طاعته سيما كان ذلك او صحة لذة او الما امنوا
او كفروا اطاعوا او عصوا قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون قال الشيخ ابو المعين رحمه الله
وحجة اهل الحق كتاب الله تعالى واجماع اهل الادبار والوجود
والدليل العقلي اما الكتاب فقوله تعالى ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين
وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولو لم

ولو لم يكن في مقدوره ما لو فعل بهم لآمنوا لم تكن لهذه الآيات
فائدة سوى ادعا قدرة ومشية لبسنا له كفعل الكذوب
المتحلي بما ليس فيه تعالى الله عن ذلك وحملهم الآيات على مشية
الجبر باطل على ما مر بيانه واما الوجود فان الكفر والمعاصي
قد وجدت وقد ثبتنا بالدلايل السمعية والعقلية الموجبة
للعلم قطعا لمن انصف ولم يكابر ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى وفيها الكفر والمعاصي وهم يتضررون بها
ولا ينتفعون فلم يكن ايجادها مصلحة لهم فضلا عن الاصلح
ثم ما هو اظهر من هذا ان الله تعالى فعل بالكافر ما لا اصلاح له
فيه بل له فيه مضرة ومفسدة فان الله تعالى يبقاه الى وقت
بلوغه وركب فيه العقل مع علمه انه لا يومن بل يكفر
ويعادي الله تعالى ولا شك ان الله تعالى اذا علم انه يكفر
عند بلوغه واعتدال عقله لو اماته في حال صغره وعدم
تميزه او لم يركب فيه العقل عند بلوغه حتى بلغ مجنونا
غير مخاطب لكان ذلك اصلح له وحيث لم يمته بل يبقاه

وركّب فيه العقل حتى دخل في حدّ التكليف مع علمه انه يكفر
ذل انه لم يفعل به ما له فيه صلاح وكذي من عاش مدة عمره
على الاسلام ثم ارتدّ بعد ذلك نعوذ بالله ولو كان الله قبض
روحه وتوفاه قبل ارتداده بساعة حتى ختم له بالاسلام
ولم يستحق التعذيب في النار خالدا مخلدا كان اصلح له وحيث
لم يفعل بل ابقاه مع علمه بانه يرتد عن الاسلام وكان ذلك
مضرة له لا صلاحا فقد فعل ذلك وهو تعالى حكيم دل ان
ذلك كان حكمة ووقعت المعتزلة فيما وقعت لجهلهم
بحقيقة الحكمة ثم بعد تقرر فعل الله تعالى ذلك كان دعوى
من زعم انه سفه وليس بحكمة وصف منه لله تعالى بذلك
وهو كفر بل ظهر بفعله انه حكمة وان جهلت المعتزلة جهة
الحكمة اذ الجهل عليهم جائز وخروج فعل الله تعالى عن الحكمة
ممتنع واما الاجماع فقد اجمع المسلمون واهل الاديان السماوية
قبلهم على الدعاء لله تعالى وطلب المعونة على الطاعات والعصمة
عن المعاصي وكشف ما بهم من الضر وباهل عنايتهم من المرض وسد

ويبدل ذلك بالعافية فان كان اتاهم ما سالوا من المعونة
والعصمة فسؤالهم سفه وكفران للنعمة اذ السؤال عند
العقلاء لما لم يكن موجودا فكان السؤال الحاقا للنعمة
الموجودة بالمعدوم حيث اشتغلوا بسؤاله وجل الله
عن ان يامر في كتبه المنزلة عباده وانبياءه ورسله ان يشتغلوا
بما هو في الحقيقة سفه وكفران للنعمة وان كان لم يؤتهم
وعند المعتزلة اعطا ما يجوز اعطاؤه واجب عليه حتى قالوا
انه يصير بمنعه جائرا ظالما فكان السؤال في الحقيقة
كانهم قالوا اللهم لا تظلمنا بمنع حقنا الواجب عليك ولا
تجر علينا ومن ظن ان الانبيا والرسل واتباعهم استجازوا
من انفسهم ان يشتغلوا بمثل هذا الكلام مناجين ربهم فقد
كفر من ساعته ومن حجج اهل الحق قوله تعالى يختص برحمته
من يشا وقوله يهدي من يشا ويضل من يشا وقوله والله
ذو فضل عظيم وهذا كله يرد على المعتزلة قولهم وتحكمهم
البارد بانه يجب على الله تعالى مراعاة الاصلح او الصلاح

وانه يجب ان يعطي كل احد ما هو معاون الدين على السواء

واما قولهم ويضل من يشاء ويخذل

ويبتلي من يشاء عدلا   قال ابو حفص الغزنوي رحمه الله
وهذا منهم بيان ان الله تعالى بالخذلان والاضلال لا يكون ظالما
لما ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والله تعالى وضع
التصرف في ملكه بما سبق علمه فيهم بما يكون منهم من الكفر
والعصيان عن اختيار وايثار لا عن جبر واضطرار فلا
يكون ظالما لانه لم يعاقب على فعل ما امر ولا على الانتهاء
عما نهى عنه ه

واما قولهم وهم يتقلبون في مشيئته

بين فضله وعدله   قال القاضي ابو حفص الغزنوي
وسيف الحق وغيرهما هذا منهم رحمهم الله بيان ان خلق
فعل الاهتداء فيهم لم يكن واجبا عليه اذ لا موجب في الحقيقة غير

غير الله تعالى فمن هداه فبفضله ومن اخزاه فبعدله وذلك
كله على ما سبق في علمه في الازل على هذا دلت البراهين العقلية
والحجج السمعية وعليه اجماع الامة الهادية فلا يقال
لم كان ذلك لان ذلك معارضة في الربوبية وذلك باطل من العبد
مع الرب تعالى على ما قال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاولياؤه
يستحقون الكرامة لوجود الهداية والاعتقاد الصحيح مع
العصمة عند الابتلاء المظهر لصدق عقيدتهم والاعداء يستحقون
الهوان لعدم الهداية لتركهم التدين بالحق عند الابتلاء المظهر
لخبث عقيدتهم وخلافهم للحق على ما سبق في علمه في الازل
انه يوجد ذلك عن اختيار منهم ه

واما قولهم لا راد لقضائه ولا معقب

لحكمه ه   قال ابو حفص الغزنوي رحمه الله ارادوا بهذا
قضاء التكوين الذي لا يقدر العباد على رده وقال سيف الحق
ابو المعين في فصل القضاء واذا ثبت ان الله تعالى هو الذي خلق

خلق الافعال ثبت انه تعالى قضى بكونها وقدرها على ما هي
من حسن وقبح ثم القضا يذكر ويراد به الحكم يقال قضى القاضي
على فلان بكذا اي حكم عليه به ويذكر القضا ويراد به الامر
كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ربك
وحتم والزم ويذكر ويراد به الفراغ يقال قضيت كذا اي
فرغت منه وانقضى الامر اي صار مفروغا منه وهو انفعال
من القضاء ويذكر ويراد به الفعل وهو المراد به في المسئلة
قال ابن عرفة قضاء الشي احكامه وامضاؤه والفراغ منه ويذكر
ايضا ويراد به الاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
اي اعلمناهم ثم قال ابو المعين رحمه الله والمراد من قولنا
الطاعات والمعاصي كلها بقضا الله اي بخلقه وتكوينه

واما قولهم ولا غالب لامره

قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله يحتمل انهم ارادوا
به امر التكوين وهو قوله انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن

كن فيكون وهو منهم اثبات الوحدانية والالوهية لله تعالى
ونفي الالوهية والربوبية عما سواه وهو تاويل قول لا اله
الا الله ويحتمل انهم ارادوا بذلك اي لا يقضي عليه غيره
غلبة وقهرا وانما يقضي سبحانه وتعالى بمشيته وارادته
فيكون هذا تاويل قوله تعالى وهو الواحد القهار ظهرت
اثار قهره ووحدانيته في كل شي بالتسخير والتذليل شهدت
بذلك السما بكونها مبنية منضدة من بنية مرفوعة ممسوكة
في الهوا بلا علاقة ولا عمد والارض بكونها مسطوحة قرارا
مبسوطة فراشا وما فيهما من ساير المخلوقات شهدت بذلك
بسمات الحدث من التاليف والتركيب وعجايب الابداعات
ان صانع الكل هو الله الذي لا اله الا هو الواحد القهار

واما قولهم امنا بذلك كله وايقنا

ان كلا من عنده قال القاضي ابو حفص الغزنوي ذكروا
الايمان واتبعوه بالايقان ليعلم ان الايمان بجميع ما سبق ذكره

وشرحه واجب وان الايقان بجميع ذلك على التابيد لازم
اذ كل ذلك من حق الربوبية ثابت لله تعالى من الازل الى
الابد قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله ما ذكره
القاضي ابو حفص الغزنوي من لزوم الايمان والتيقن بجميع ما
ذكروا رحمهم الله على الدوام والتابيد فهو ثابت لازم قطعا
كما ذكره وكذلك ذكر ايمة كتاب السواد الاعظم في شرح اصول
فقهاء الملة رحمهم الله وامام الهدى ابو منصور رحمه الله
يقول في تفاصيل كلامه في تاويل الجمع بين الايمان والايقان
هو ان ما اقروا به واعتقدوه ثابت بالحجج السمعية والبراهين
العقلية فالسمعيات اخبار صادرة عن الصدق وهي
متايدة بالمعجزات الباهرات فتستوجب التصديق
وهو الايمان بحقيقة موجبها والعقليات توجب النظر والتامل
والاستدلال والعلم الثابت بالاستدلال لا يسمى يقينا
والعالم عن الاستدلال لا يسمى موقنا قال الله تعالى وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم

ثم ذكر ابو جعفر الطحاوي في كتابه عقيب ذكره عقيدة
فقهاء الملة في التوحيد والصفات عقيدتهم في الرسالة
فقالوا وان محمدا عبده المصطفى وامينه المجتبى ورسوله
المرتضى خاتم الانبياء وامام الاتقياء وسيد المرسلين وحبيب
رب العالمين وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى وهو
المبعوث الى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى
وبالنور والضيا اما قولهم وان محمدا فقد شهدوا
برسالته ونبوته عقيب شهادتهم بوحدانية رب العالمين
لما ان الله تعالى ارسله الى الثقلين رسولا ليكون نذيرا
للعالمين داعيا الى توحيد خالقهم وقرن شهادة رسالته
بشهادة وحدانيته والوهيته فقال جل جلاله قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض
لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
وقال عز وجل محمد رسول الله واما قولهم عبده المصطفى
قال القاضي ابو حفص الغزنوي وغيره من العلماء وصفوه بالعبودية

اذ هو عبده بخلقته ودعوته اما الخلقة فلأن خلقته وخلقة
كل ممتحن في السموات والارض قد شهدت بالتأليف والتركيب
على كونه عبدا ومملوكا لله تعالى وما سوى الممتحن من جميع
المخلوقات شهدت خلقتها لله تعالى بالملكية والمصنوعية
واما الدعوة فلأنه دعا الخلق الى توحيد رب العالمين
وعبادته وانما قدموا وصفه بالعبودية على وصفه بالنبوة
والرسالة لحسم الشبه العارضة للناس عند ظهور المعجزات
الناقضات للعادات والامور الالهية التي يعجز عنها البشر
حتى لا تعترض لاحد منهم شبهة من شبهات النصارى خذلهم الله
حيث اعتقدوا فيه الالهية بسبب ما وجدوا منه فعلا
الهيا لرسالته من نحو احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
وكان اول آياته تكلمه في المهد صبيا بان قال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا فبدا بعبوديته قطعا لحسم الشبهة
العارضة لقومه فافتتن بعضهم من بعده وتفرقوا على ثلثة
اقانيم اخرجوه بها من العبودية ولكل نبي معجزة خارجة ع

عن العادات وكلهم ادعوا بها انهم عباد وانبياء بعثوا داعين
الى توحيد رب العالمين قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله ولنبينا محمد بن عبد الله النبي الامي العربي صلوات الله
عليه معجزات قاهرات وآيات بينات وحجج واضحات حسيات
وعقليات وسمعيات وهي مودعة في كتب دلائل النبوة
لعلماء الامة وقد ذكرت انواعا منها في سفر مفرد من تعليقاتي كتاب
سميته بكتاب اعلام رسالة محمد خاتم النبيين ومعجزاته
وهي مستخرجة من كتب ائمة الهدى واعلام الورى ونذكر
ههنا طرفا منها فمنها انشقاق القمر بنصفين حين طلب منه
اهل مكة آية على الرسالة فاشار الى القمر فانشق ونزل
حتى وقف فوق الجبل فقال لهم اشهدوا اشهدوا ومنها
حنين الجذع اليابس وذلك انه كان يخطب مستندا
الى جذع فلما صنع له المنبر فرقي عليه ليخطب صاحت
الاسطوانة حتى كادت تنشق وسمع اهل المسجد صياحها
كصوت الناقة الخلوج وهي التي مات ولدها فنزل اليها

للمؤلف كتاب اعلام رسالة محمد خاتم النبيين

بيان معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

فاحتضنها وضمها اليه حتى سكنت ومنها تسبيح الحصا في كفه
بصوت كصوت القطا ومنها انقياد الشجرة له حين دعاها
ومنها شهادة الضب ومنها شهادة الذيب وشكاية البعير
اليه ومنها كلام الشاة المصلية ومنها نبع الماء من بين اصابعه
مرارا شاهد ذلك الجيش في غزوة الحديبية وفي غزوة
تبوك مرة من سطيحة ماء ومرة من فضل وضوءه في ركوة
في غزوة تبوك فنبع من بين اصابعه عيون الماء حتى سقى
فيما روي ثلثون الف مقاتل وشرب منه عشرة الاف فرس
واثنا عشر الف بعير وملوا كل سقاء معهم ومنها انه اطعم الجيش
من تمرات يسير حتى كان الرجل ينزع قبضة فيملاه ويحمله
ولم يبق معهم غرارة الا ملوها من ذلك وكان ذلك الطعام
بعد اخذ الكل كهيئته حين ابتدوا ومنها انه اخذ قبضة
من الارض فرمى بها في وجوه الاعداء يوم حنين وهم عشرون
الفا وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولم يبق منهم انسان الا
امتلات عيناه من تلك القبضة وامثال هذا من الايات لا يحصى كثره

كثرة وكلها وردت بالنقل المتواتر الموجب للعلم ومن اعظم
معجزاته الحجة الباقية الى يوم القيامة وهو القران الذي
اعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل سورة منه وفيه وجوه
من الاعجاز اولها النظم الذي اعجز الخلايق عن الاتيان بمثله
تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك اولا العرب
العاربة اولي الفصاحة والبراعة في نظم الكلام وانشاء
الاشعار والقصايد تحداهم بذلك بمكة ثلث عشر سنة
وبالمدينة عشر سنين وهو قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت
للكافرين الحق بهم هذا الوعيد ان لم يفعلوا تعجيزا
لهم وتبكيتا واخبر انهم لا يقدرون على ذلك ما بقيت الدنيا
بقوله ولن تفعلوا وقال ايضا قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ثم جعل هذا التحدي قايما الى يوم القيامة

اذ هو يتلي الي قيام الساعة وانقراض العالم ومنها اخباره صلوات
الله عليه بما كان من لدن اول العالم من نحو خلق ادم من التراب
وخلق الجان من مارج من نار والملائكة من نور وبقصص الانبياء
والرسل مع اقوالهم ونجاة المصدقين وبهلاك المكذبين
وهو صلوات الله عليه قد نشأ من قوم اميين لا يؤمنون بالكتب
السماوية ولا بالمخصوصين بالرسالة والنبوة ولا يعرفون
الاخبار السماوية ونشأ بين قومه وعشيرته ولم يختلف
الي استاذ ومعلم ولم يتقدم اليه احد من علماء اهل الكتاب
ليلازمه ويعلمه ولم يحسن ان يقرا كتابا ولا خطه
بيمينه ولم يفارق قومه وعشيرته وهذه الاخبار والقصص
التي اتي بها هي في الكتب السماوية بغير لسانه فاتيانه
بها في كتاب اعجز الخلايق نظمه اية خارجة عن وسع
الخلايق وعاداتهم فكان نظم كتابه معجزة قاهرة علي
ما سبق ذكره وكان اخباره بتلك الانباء والقصص
في القرون السالفة اية ظاهرة ودلالة قاطعة موجبة للعلم

للعلم بانه صلوات الله عليه انما علمها بالوحي فالوحي السماوي من
قبل علام الغيوب ومنها الاخبار بما يكون في المستقبل من نحو
قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله الم غلبت
الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين وقوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الي معاد
وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا الاية وغير ذلك من الاخبار بالفتوحات
الواسعة وظهور الاسلام وفشوه في الافاق وغيرها تحققت
علي ما اخبر بها وهي كلها من علوم الغيب لا يعلمها الا صانع
العالم وهو الله تعالي يدل كل فرد منها علي انه رسوله

واما قولهم وامينه المجتبي

وصفوه بالاجتباء والامانة ليعلم ان الله تعالي لا يظهر
الاعجاز الا علي يدي الامين الذي يخبر بالممكن والواجب كثبوت

يقيم

الصانع ووحدانيته وقدمه ودوامه وثبوت ما سواه ولا
المعجزة على يدي الكذاب الذي يخبر بما تكذبه العقول كفعل
زرادشت ومزدك وماني ومسيلمة وسائر المتقولة على الله
تعالى لما في إقامة الآية على يدي الكذاب من التلبيس على الخلق
بين النبي والمتنبي وذلك يفضي إلى السفه والعجز عن التمييز
بين المحق ليتبع وبين المبطل ليجتنب أما بيان وجه السفه
فلأن إقامة الآية على يدي من يثبت الوحدانية والكمال وعلى
يدي من ينفي الوحدانية ويثبت التثنية والنقص سفه
وجهل لما في ذلك من ثبوت المناقضة في الحجج والله
عز وجل واحد قديم عالم حكيم فيتعالى عن ذلك وأما
وجه العجز عن التفرقة بين المحق والمبطل فلأنه لو أقام
المعجزة للنبي على إثبات الرسالة وجاز مثلها على يدي
المتنبي ولا يمكن الفصل بينهما إلا بالآية الخارقة إذ جوهرهما
على التساوي والخبر بأنه رسول لفظ بيان يتكلمه من كل أحد
أفضى ذلك إلى العجز عن تمييز المحق من المبطل إذ كلما قامت معجزه

معجزة للنبي جاز ظهور مثلها للمتنبي فينسد على الخلق طريق
معرفة الصادق من الكاذب والحق من الباطل فيفضي
إلى العجز عن تمييز المحق من المبطل فيتعالى الله الحكيم القدير
عن العجز والسفه فيمتنع قيام المعجزة على يدي المتنبي لذلك
ولا يمتنع قيام الخارق للعادة على يدي المتأله كفرعون
وجري النهر تحته والسامري وخوار العجل ودعوته
الوهية العجل ويكون ذلك واستدراجا لمن ادعى ذلك (فتنة)
ولمن اتبعه على ذلك مع ظهور آيات كذبه وإنما لا يمتنع
وجود ذلك على يدي المتأله لأن أمارات كذبه في دعوى
الربوبية ظاهرة فإنه تكذبه خلقته بشهادة التأليف
والتركيب وسائر دلائل كونه محدثا مصورا مصنوعا فلا
يقع في كونه كاذبا التباس على الخلق بخلاف المتنبي
لأنه ليس في خلقته أمارة تكذبه في دعواه
فيقع الالتباس بينه وبين النبي فلذلك
افترق الأمران ه

وأما قولهم ورسوله المرتضى

فإنما قالوا ذلك اقتداء بالكتاب الذي هو من أعظم المعجزات
واتباعا له وإيمانا وتصديقا حيث قال الله تعالى قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعا وقال إنك لمن المرسلين وقال إنا
أرسلناك للناس رسولا ولم يرسله إلا بعد ارتضائه للرسالة
لأنه تعالى لا يرسل غير المرتضى وهو الذي يخبر بالمحالات
كزرادشت وماني ومزدك حيث ادعوا الرسالة من عند
صانع سفيه جاهل

وأما قولهم وخاتم الأنبياء

فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولما تواتر الخبر عمن قامت
المعجزات الظاهرات على رسالته وعصمته صلوات الله عليه
أنه قال لا نبي بعدي وقال أنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبه فصرح

فصرح فقهاء الملة بكونه خاتما حسما لدعاوي المتنبين والدجالين
ولهذا المعنى قال مشايخنا رحمهم الله إذا ادعى أحد بعد نبينا
محمد صلوات الله عليه النبوة لا يقال له ما آيتك على ما تدعي
بل يقابل بالتكذيب والرد لقيام الدلالة القاطعة على أنه
لا نبي بعد محمد نبينا صلوات الله عليه فثبت أن من ادعى
النبوة بعده فهو كذاب دجال فإن كانت له شبهة اعترته
كشف فإن أسلم وتاب وإلا وجب تطهير الأرض منه
بالحسام القاضب والحمام الغالب

وأما قولهم وإمام الأتقياء

فإنما قالوا ذلك لأنه بعث بالتقوى عن الشرك والمعاصي
وهو أكثر الأنبياء أتباعا بالتصديق والتقوى
فأمته الحمادون وهو نبي الحمادين وأمته المتقون وهو
إمام المتقين وهو يوم القيامة قائد الغر المحجلين من آثار
الوضوء وصح بذلك الخبر المنقول

واما قولهم وسيد المرسلين

فانما قالوا ذلك لدلايل منها قول الله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الايه فذكر النبيين
وقدمه عليهم فدل تقديمه في الذكر عليهم مع كونه اخرهم
مبعوثا على تعظيمه واجلاله وتفضيله عليهم ومنها ان الله
تعالى خاطب الانبيا عليهم السلام باسما الاشخاص كقوله
تعالى يا نوح اهبط بسلام وقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا وقوله
وما تلك بيمينك يا موسى وقوله يا عيسى ابن مريم انت قلت
للناس الاية وقال يا هود ونحو ذلك وخاطب نبينا عليه
السلام باسما الشرف والاجلال والتفخيم فقال يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
وقال يا ايها النبي قل لازواجك ونساء المومنين ولما ذكر
اسم علمه قرنه باسم الرسالة والاختصاص فقال محمد رسول الله
والذين معه اشدا على الكفار وقال ما كان محمد ابا احد

من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهذا كله
دلالة على تقديمه وتفضيله عليهم ومنها انه ناسخ لشرايع
من تقدمه وليس بعده من ينسخ شريعته وهذا يدل على تفضيله
عليهم ومنها ما روي عنه عليه السلام انه قال لو كان موسى
وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي وهما صاحبا شريعة مستانفة
وهذا يدل على تفضيله وكونه متبوعا لهم ومنها ما روي عنه
عليه السلام انه قال انا سيد ولد ادم ولا فخر انا اول من
ينشق عنه الارض ولا فخر انا اول شافع انا اول مشفع وهذا دليل
على كونه سيدهم ومنها ما روي انه قال انا اول من يقرع
باب الجنة فيقول الرضوان من انت فاقول محمد فيفتح ويقول
بك امرت ولا افتح لاحد قبلك ومنها ما روي في حديث
الشفاعة ان الناس يكونون يوم القيامة في كرب فيقول
بعضهم لبعض لو اتينا بعض اصفيا الله ليشفع لنا الى ربنا فيريحنا
من مكاننا هذا فياتون ادم صلوات الله عليه فيدلهم على
نوح صلوات الله عليه فياتون نوحا فيقول لست بصاحب ذلك

وبدلهم على ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فيقول
لست بصاحب ذلك وبدلهم على عيسى صلوات الله عليه
ويقول لست بصاحب ذلك ويدلهم على محمد صلوات الله
عليه فياتونه فيقول انا لها وهذا دليل كونه سيد المرسلين
فلذلك قالوا بانه سيد المرسلين ه

واما قولهم وحبيب رب العالمين

فانما قالوا ذلك لان هذا الاسم من الاسماء المختصة به
كما اختص ابرهيم صلوات الله عليه بانه خليل الله وموسى
صلوات الله عليه بانه كليم الله وعيسى صلوات الله عليه
بانه روح الله وكلمته وقد وردت الاخبار بان
محمدا حبيب الله وعلى ذلك اجماع الامة ه

واما قولهم وكل دعوة نبوة

بعد نبوته فغي وهوى هذا اثبات منهم ان كل من ادعى النبو

النبوة بعده صلوات الله عليه فدعواه كاذبة باطلة والغي
عبارة عن الباطل والضلال وقولهم فغي اي باطل وضلال
وقولهم وهوى اي ان تلك الدعوى صدرت عن هوى النفس
ليست بهدى من الله تعالى وانما قالوا ذلك لما سبق بانه
من الادلة القاطعة والحجج الواضحة على كون نبينا محمد صلوات
الله عليه خاتم النبيين ولا نبي بعد الخاتم فمن ادعى ادعى
النبوة بعده فهو يريد تكذيب الله تعالى في خبره بان محمدا
خاتم النبيين وتعالى الله عن ذلك ويريد ايضا تكذيب
من قامت الدلايل القاطعة على نبوة رسالته وصدقه
في كل ما يخبر وهو ما ثبت بالتواتر عنه انه قال لا نبي
بعدي ويريد ايضا تكذيب التوراة والانجيل حيث
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار
الى قوله ذلك مثلهم في التورية والانجيل وقال الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وقال الله تعالى خبرا عن عيسى اني رسول الله اليكم مبشرا

برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فواحد من هذه الادلة
القاطعة كافي في ايجاب العلم قطعا بختم النبوات بمحمد
صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق بعده وقت يجوز فيه
دعوى النبوة ولو كان بعده نبي ينتظر لأخبر به فثبت
لان حجج الله تعالى لا تتناقض بل تتايد وتتعاضد ولذلك
جا كل واحد من الرسل داعيا الى توحيد الله تعالى
والى الايمان بجميع الرسل وبجميع الكتب السماوية
وكلهم بشروا بنبينا محمد صلوات الله عليه وامروا قومهم
بالايمان به وكما امر نبينا صلوات الله عليه امته بالايمان
بجميع الانبياء عليهم السلام فلو كان بعده نبي لأخبر به
واوجب عليهم الايمان به فلما قال لا نبي بعدي ثبت قطعا
انه لم يبق بعده نبي وهو المبعوث الى عامة الجن وكافة
الورى فهذا اخبار منهم ان رسالته عمت الجن والانس
وانما قالوا ذلك لدلالات موجبات للعلم قطعا منها
قول الله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
ومنها

ومنها قوله تعالى وارسلناك للناس كافة فتعميم رسالته
جميع الناس دليل على تعميمها جميع الجن اذ الجن كالتبع
للناس في تسخير الله تعالى العالم للبشر فيكونوا تبعا في باب
لزوم الديانة والمحنة لما ركب فيهم العقل والتمييز
ومنها قوله تعالى في غير موضع خطابا للانس والجن
فباي آلاء ربكما تكذبان وعلى ذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه اتاه وفد الجن ليلة الجن يسألونه
ان ياتيهم فيعلمهم معالم الدين فمضى اليهم وقرا عليهم سورة
الرحمن فاتى الى قوله فباي آلاء ربكما تكذبان الا كانوا
احسن جوابا من الانس وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين وقال تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من
الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به
وذكر في القصة انهم لما سمعوا القران اتفقوا كونه معجزة
فمما عملت الاية فيهم كادوا يكونون عليه لبدا فدلت

هذه الدلايل على ان دعوته عامة لكافة الثقلين

وأما قولهم بالحق والهدى

يحتمل قولهم بالحق اي بعثه الله تعالى بالحق الذي لأجله
خلقت السموات والارض وهو الدلالة على وحدانية
صانعهما والاستعباد بالاوامر والنواهي والبعث بعد
الموت والفناء للجزاء في دار البقاء ويحتمل بالحق اي
بالحق الذي لله تعالى عليهم وما لبعضهم على بعض والكل
يرجع الى معنى واحد وقولهم والهدى اي بالبيان
ليبين للخلق طريق الدين الحق بوفاق الكتب السماوية
والرسل والانبياء وبما تعرفه العقول المستقيمة
فان كل من تامل فيما دعا اليه محمد صلوات الله عليه
من حدث العالم وتوحيد الصانع واثبات البعث
والجزاء وتصديق الكتب المنزلة من السماء والرسل والانبياء
وتحقق كونه مبعوثا بالحق والهدى قال الله تعالى وانك

لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ملك السموات
والارض ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في القرآن وهو
قولهم وان القرآن كلام الله عز وجل منه بدا بلا كيفية قولا
وانزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وايقنوا
انه كلام الله جل وعلا بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية
فمن سمعه وزعم انه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى
واوعده بسقر حيث قال تعالى فيمن قال ان هذا الا قول البشر
ساصليه سقر فلما اوعد الله تعالى بسقر لمن قال ان هذا الا
قول البشر علمنا انه قول خالق البشر ولا يشبه قول
البشر ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد
كفر فمن ابصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر
وعلم ان الله تعالى بصفاته ليس كالبشر

اما قولهم ان القرآن كلام الله تعالى

فانما قالوا ذلك بدليل السمع والعقل والاجماع اما دليل

السمع فقول الله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا
كلام الله ولان الكفرة كانوا يطعنون فيه بانه كلام محمد
يقوله من تلقاء نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لهم انه كلام الله تعالى وعلى ذلك اجمعت الامة
واما دليل العقل فلان الكلام من صفات المدح والكمال
في الشاهد وضده نقص وذم والله تعالى حي قديم ومن
شرط القدم ثبوت الكمال وانتفاء الذم والنقائص
فوجب وصفه بالكلام واما الاجماع فقد اجمعت
الامة على ان القران كلام الله عز وجل واجماع الامة
دليل موجب للعلم ه

واما قولهم منه بدا بلا كيفية

قال الامام ابو حفص الغزنوي رحمه الله في شرحه لعقائد
فقهاء الملة رحمهم الله وغيره من المشايخ انما قالوا ذلك لان

لان كلام الله تعالى صفته اذ هو حي متكلم فلا يشبه كلامه
كلام الخلق كما لا يشبه سائر صفاته من القدرة والعلم
والحيوة والسمع والبصر صفات الخلق اذ صفات الله تعالى
قديمة قائمة بذاته من الازل الى الابد وصفات غيره اعراض
محدثة تحل بذواتهم وتزول فلم يريدوا بقولهم منه بدا
بلا كيفية حدوثه اذ ما كان مخلوقا محدثا لا يخلوا عن
الكيفية لكنهم ارادوا بذلك انه تعالى اظهر للسامع قولا
بلا كيفية فارادوا بنفي الكيفية عن كلامه تعالى اثبات
ازلية كلامه وقدمه ولا يعنون به حدوث معنى في ذات
الله تعالى ولكن يعنون به انه يطلع الملك او من شاء من
الانبياء على قوله الذي هو صفته ازلية قائمة بذاته وليس
من ضرورة الاطلاع حدوث ما يطلع عليه فانا اطلعنا
على اثار قدرته في خلق العالم وايجاده عند تاملنا فيها
ولم يلزم من ذلك حدوث قدرته تعالى وقد زاغت
المعتزلة وخالفت اهل الحق حيث قالت بحدوث الكلام

لله تعالى والدليل على ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق
انه تعالى حي متكلم فالكلام صفة له قديمة بذاته كالعلم
والقدرة والحيوة على ان المعتزلة لا يثبتون لله تعالى صفة
لا ذاتية ولا فعلية وانما الصفة عندهم وصف الواصف
لا غير فصاروا معطلة اذ القول بحي لا حيوة له وقادر لا قدرة
له وعالم لا علم له متناقض ظاهر البطلان كقول القايل
ابيض لا ببياض واسود لا بسواد ه

واما قولهم وانزله على نبيه وحيا

فانما قالوا ذلك للنصوص المصرحة بالتنزيل والوحي
كقوله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن
بلغ وقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
متشابهات الاية فقال فقهاء الملة رحمهم الله ان القرآن
كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله على ما نص
الله تعالى عليه ه

هن ام الكتاب واخر

واما قولهم وصدقه

واما قولهم وصدقه المؤمنون

على ذلك حقا فهذا منهم بيان ان الصحابة الذين
شهدوا انزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحققوا
اعجازه صدقوا كونه كلام الله تعالى وكتابه وتنزيله ثم
نقلوه الى من بعدهم على ما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعوا الخلق الى اقامة اعتقادا وعملا وجاهدوا
من امتنع على الانقياد له ه

احكامه

واما قولهم وايقنوا انه كلام الله

جل وعلا بالحقيقة اي تحققوا بالسمع والعقل
بان كلام الله تعالى صفة له كالعلم والحيوة فيستحيل
ان يكون مخلوقا ككلام البرية ه

واما قولهم فمن سمعه وزعم انه

انه كلام البشر فقد كفر وهذا ظاهر لان فيه تكذيبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه قال القران كلام الله عز وجل فمن
زعم انه كلام البشر فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خبره فيكون كافرا بالرد والتكذيب

واما قولهم وقد ذمه الله تعالى

واوعده بسقر اي عابه الله واوعده عذابه حيث
قال تعالى فيمن قال ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر
اي ما هذا القران الا قول البشر فصار ذلك القائل
بذلك كافرا مستحقا دخول سقر من قال بخلق القران
فقد جعله كلاما للبشر فيصير كافرا مستحقا للوعيد
المذكور وذلك لوجهين احدهما ان الكلام صفة
من صفات الله تعالى فيكون القائل بكونه مخلوقا قائلا
بتعري ذات الله تعالى عن صفة الكمال في الازل
واتصافه بضده وهو الخرس والافة وهو كفر والثاني ان

ان القول بخلق كلام الله تعالى جعل له كلام غيره فيكون
تكذيبا لرسول الله في خبره حيث اخبر ان القران كلام
الله تعالى وتكذيب الرسول في خبره يكون كفرا وفيه قول
بحدوث الكلام في ذات الله تعالى اذ الكلام قائم بذات
المتكلم ويستحيل ان يكون ذاته محلا للحوادث ومحال
ايضا حدوثه لا في محل لانه حينئذ يكون عرضا وقيام
العرض بغير محل يقوم به محال فبقي ان يقولوا هو حادث
في محل غير ذات الله تعالى فيكون القران كلاما لذلك المحل
لا لله تعالى وهذا قول ذلك الكافر حيث قال ان هذا
الا قول البشر فيكون القول بخلقه تكذيبا للرسول صلى الله
عليه في قوله ان القران كلام الله وتكذيب الرسول من
اشد المعاصي فيستحق اشد العذاب وهي النار فتوعده
بسقر اذ هو اشد العذاب

واما قولهم فلما اوعد الله تعالى

بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر ولا يشبهه قول البشر
فانما قالوا ذلك لان الكلام صفة المتكلم والقول صفة
القائل فكان القول بخلق القرآن وحدوثه وصفا لله تعالى
بمعنى من معاني البشر فيكون كفرا لما فيه من تشبيه الرب
بالخلق اذ البشر لما كان مخلوقا محدثا كان كلامه الذي هو
صفته مخلوقا وتعالى الله عز وجل عن معاني خلقه

واما قولهم فمن ابصر هذا اعتبر

معناه فمن تأمل في هذه المعاني وبحث عنها حتى فهمها
وقع له الاعتبار وهو الوقوف على معاني الاصول والفروع
وقولهم وعن مثل قول الكفار انزجر يجب عليه ان ينزجر
عن مثل قول الكفار وقولهم وعلم ان الله تعالى بصفاته
ليس كالبشر اي ويجب عليه ان يعلم ان الله تعالى بصفاته ليس
كالبشر لان الله تعالى قديم باسمائه وصفاته لم يجز تغيره
عنها في الازل لان في تغيره عن شيء من صفات الكمال
نقصا

نقصا والقديم يتعالى عن ذلك لانه واجب الوجود لذاته فكان
ازليا بصفات المدح والكمال وقد تمدح تعالى بقوله هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله
الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى فكان وصفه بحدوث
شيء من صفات المدح والكمال الشنيع كاثباته مع غيره في حدوث
الصفات ووصفا له بتعريه عن صفات المدح في الازل
وذلك في حقه محال وهذا كله من كلام القاضي ابي حفص
الغزنوي وغيره كالقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وغيرهم
من العلماء انهم كانوا يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق
ولا يتعرضون لما سوى ذلك ثم ذكر ابو العلاء عن ابي يوسف
انه كان مع ابي حنيفة يوما فمر برجل يخوض في القرآن فقال له
ابو حنيفة ان كنت تنحوا بذلك الى الله قربة فلا قربة لك اليه

وعليك بما عليه السلف ولا تمار في الله وفي صفاته فان
القران كلام الله واله عما سواه وذكر عن الحسن بن زياد
انه قال اتيت داود الطائي انا وحماد بن ابي حنيفة فجرى
ذكر شيء فقال داود لحماد رحمه الله يا ابا اسمعيل مهما نتكلم
المتكلم فيه من شيء رجا ان يسلم منه فليحذر ان يتكلم في
القران الا بما قال الله عز وجل لقد سمعت اباك يعني ابا حنيفة
يقول علمنا الله انه كلامه فمن اخذ بما علمه الله فقد
استمسك بالعروة الوثقى فهل بعد التمسك بالعروة الوثقى
الا السقوط في الهلكة فقال حماد جزاك الله من اخ
خيرا فنعم ما اشرت به وعن ابي يوسف قال اما القران
فانه كلام الله ووحيه وتنزيله على هذا وجدت ابا حنيفة
والايمة ولم يكن عندهم مخلوقا ولا خالقا وروي عن
الحسن بن زياد انه قال ادركت مشيختنا بالكوفة ابا حنيفة
وزفر وابا يوسف وكل من ادركنا يقولون القران
كلام الله لا يجاوزونه فقال له رجل فنعلم كيف كان

يقول فيه ابن ابي ليلى والحجاج بن ارطاة وابن شبرمة قال
ما بين احد منهم اختلاف فيما ذكرت لك قال الشيخ
الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله ذكر اصحاب التواريخ
ان ابا حنيفة رحمه الله ولد سنة ثمانين من الهجرة وتفقه
في زمن التابعين وافتى معهم وناظر عطا وطاوس والشعبي ولقي
نفرا من الصحابة وسمع منهم وكان هو واصحابه يواظبون
على ما كان عليه الصحابة وقد روى الحسن بن ابي مالك
عن ابي يوسف انه قال جا رجل الى مسجد الكوفة يوم الجمعة
فدار على الحلق يسالهم عن القران وابو حنيفة في غيبته
الى مكة فاختلط الناس في ذلك والله ما احسبه الا
شيطانا تصور لي في صورة الانس حتى انتهى الى حلقتنا
فسالنا عنه فنهى بعضنا بعضا من الجواب وقلنا ليس شيخنا
حاضرا ونكره ان نتقدمه بكلام حتى يكون هو المبتدي
بالكلام فيه وفي رواية عن الحسن بن ابي مالك انه لما قدم
ابو حنيفة رحمه الله من سفر الحج ذكروا له مسئلة وقوع القول

ان ابا حنيفة ولد سنة ثمانين من الهجرة

ولقي نفرا من الصحابة

في القرآن فأطرق أبو حنيفة ثم رفع رأسه وقال القرآن
كلام الله ووحيه وتنزيله ثم قال لما أحسب هذه المسألة
تنتهي حتى توقع أهل الاسلام في أمر لا يقومون له ولا يقعدون
أعاذنا الله وإياكم من الشيطان الرجيم والذي روي عن
ابن زياد عن داود الطائي وقوله لحماد وما يضاهيه من الرواية
عن أبي حنيفة وأصحابه وابن أبي ليلى والحجاج وابن شبرمة
فذلك لشدة مواظبتهم على النصوص المصرحة بكون القرآن
كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله إذ لم تكن وقعت مسألة
القول في القرآن في زمن الصحابة إلا ما ذكر عن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه حين قالت له الخوارج حكمت في دينك
الرجال وذلك حين بعث الحكمين فقال رضي الله عنه
ما حكمت مخلوقا إنما حكمت القرآن فاقتصر هؤلاء الأئمة
في أول وقوع القول في القرآن على ما سبق ذكره ثم لما شاع
القول في الناس وتكلم بعض الناس بخلقه فعند ذلك
تكلموا في معاني النصوص المصرحة من نحو قوله تعالى حتى يسمع كلام

كلام الله وقوله يريدون أن يبدلوا كلام الله وقوله وكلم الله
موسى تكليما وأن الكلام صفة المتكلم كالحياة والقدرة
والعلم صفات للمتصف بها وروي عن أبي يوسف أنه قال
ناظرت أبا حنيفة رحمه الله في القرآن كذا كذا شهرا فاتفق
رأيي ورأيه على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن أبي
يوسف وأبي حنيفة قالا من قال القرآن مخلوق فهو ضال
ومبتدع وعن أبي سليمان الجوزجاني وغيره قال سمعت محمد بن
الحسن يقول لا يصلى خلف من يقول القرآن مخلوق ومعلوم
بين أئمة مذهب أبي حنيفة رحمه الله أن كتاب العقائد
الذي رواه أبو جعفر الطحاوي عن أبي حنيفة وأبي يوسف
ومحمد هو الذي اعتمد عليه أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم
وقد تقدم بيان قولهم وعقيدتهم في القرآن وما تكلم في
شرحه أبو حفص الغزنوي على وجه الإيجاز فنذكر الآن
طرفا من أصول سيف الحق أبي المعين النسفي رحمه الله
في فصل أزلية كلام الله عز وجل على مذهب الحق وأقاويل رؤساء

من قال القرآن مخلوق فهو كافر

المعتزلة في ذلك قال ابو المعين في كتابه قال اهل الحق ان
كلام الله تعالى صفة ازلية وهي صفة قايمة بذاته منافية
للسكوت والآفة من الطفولية والخرس وغير ذلك والله
تعالى متكلم آمر ناه مخبر وزعم جمهور المعتزلة بان كلام
الله تعالى عرض محدث احدثه الله تعالى في محل فصار به
متكلما وكلامه من جنس الحروف والاصوات وزعم
الجبائي ومن تابعه بان الكلام حروف مولفة واصوات
مقطعة وزعم جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر ومن
تابعهما من المعتزلة بان القران خلقه الله تعالى في اللوح
المحفوظ واليه ذهب ابو القاسم الكعبي ومن تابعه من معتزلة
بغداد ولهم اختلافات فيما بينهم لم نذكرها هاهنا وعند
النظام منهم ان الكلام في الشاهد جسم لان عنده لا عرض
الا الحركة على ما يذكر في كتب الكلام ثم عند هولاء كلهم
الله تعالى متكلم لانه خالق الكلام والمتكلم عندهم
هو الخالق للكلام وهو آمر ناه لانه خلق الامر والنهي قال

قال النسفي وحجة اهل الحق ما تعلق به بعض من قال بازلية
كلام الله تعالى وهو قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون اخبر الله تعالى انه يحدث المحدثات
بخطاب كن ولو كان هذا الخطاب محدثا لاحدثه بخطاب
آخر وكذا الثاني والثالث الى ما لا يتناهى فيتعلق وجود
العالم بما لا يتناهى مما يدخل في حيز الممتنعات لانه لا يتحقق
وجوده حتى ينتهي الى تكوين ازلي لما قامت الادلة القاطعة
ان المحدث لا يتصور منه الايجاد ومن المعقول لهم
في المسئلة ان يقال ان كلام الله تعالى لو كان حادثا لا يخلو اما
ان يكون حادثا في ذات الله تعالى او في محل سوى ذات الله تعالى
او لا في محل وهذه الاقسام كلها ممتنعة اما القسم الاول
وهو توهم حدوث الكلام في ذات القديم تعالى وهو ممتنع
محال لوجهين احدهما ان الكلام من صفات المدح
في الشاهد وثبوت ضده نقص فيستحيل تعري ذات القديم
عن صفات المدح والثاني ان القول بحلول الكلام الحادث

في ذات الباري تعالى قول بتغير ذاته والتغير على القديم
محال لأن التغير لا يكون إلا بمتغير وبذلك عرفنا حدوث
العالم وحدوث الهيولى وبهذا يتبين بطلان قول الكرامية
وإلحادهم حيث جوزوا حدوث الكلام وحدوث صفة
التكوين في ذات القديم تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وأما القسم الثاني وهو القول بحدوث الكلام
لا في محل فمحال أيضا لأن الكلام الحادث يستحيل أن يكون
جسما أو جوهرا لأن الكلام من قبيل الصفات والصفة
ما يتميز به الذات المتصف بها والجسم والجوهر كل واحد
يمتاز بالصفات فتعين كون الكلام الحادث عرضا
لانحصار المحدثات في هذه الأقسام الثلاثة ثم قد تقرر
في الأدلة وبداية العقول أن العرض لا يقوم بنفسه
بل يفتقر إلى محل يقوم به ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بوجود
حركة أو سكون أو اجتماع أو افتراق أو شيء من الألوان
أو رائحة أو طعم لا في محل ولهذا اتفق جمهور العقلاء

على نسبة الدهرية إلى الغباوة بتجويزهم قيام الصور مجردة
عن محالها على أن الكلام لو جاز وجوده لا في محل لم يكن ذات
ما متكلما به إذ ذات ما ليس بأولى بالاتصاف به من ذات
ويستحيل أن يكون الذوات كلها متكلمة بكلام واحد
كما يستحيل أن تكون جميع الأجسام متحركة بحركة واحدة
ولا يشكل بطلان قول من يقول إن الله تعالى وجميع خلقه
موصوفون بكلام واحد وأما القسم الثالث وهو القول
بحدوث الكلام في محل سوى ذات القديم فيكون هو
المتكلم به فمحال أيضا لأن الكلام لو حدث في محل لكان
المتكلم الآمر الناهي المخبر هو ذلك المحل لا الله تعالى لأن
الاسم المشتق من الصفة يكون راجعا إلى محل الصفة
لا إلى محدثه والصفة تكون صفة لمحلها لا لمحدثها ألا ترى
أن الميت والأعمى والأعور والأشل والأعرج والأسود
والمتحرك محال هذه الصفات لا موجدها ومن وصف
موجد هذه الصفات بها تسارع الناس إلى إكفاره وقصدوا

ضرب علاوته فكذي هذا ثم بعد ظهور بطلان هذه
الاقسام اما ان ينقاد الخصوم للدليل فيقولوا ان كلام الله
تعالى قايم به وهو امر ناه كما قال اهل الحق فاما ان ينكروا
ان يكون لله تعالى كلام وامر ونهي فيبطل فرضية الايمان
والعبادات وحرمة الكفر والمعاصي لانعدام امره ونهيه
وكون هذا كفر ظاهر فان قالوا ان الله تعالى يخلقه الكلام
في محل اخر يكون متكلما امرا ناهيا قيل فيكون على
زعمكم موجد العرج والشلل والعمى ونحوها هو الموصوف
بها دون من قام بها فان قالوا نعم فقد انسلخوا من الدين
وان لم يلتزموا ذلك لزمهم القول بانعدام الكلام والامر
والنهي من الله تعالى فيكون الله تعالى على زعمهم بتعذيب
من جحده وصد عن سبيله وسفك الدما معذبا بغير
جريمة فيكون على قود مذهبهم ظالما لا عادلا تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم هم بنفي الصفات
عن الله تعالى يسمون انفسهم اهل توحيد وهو قولهم انه تعالى

حي لذاته لا حيوة له وقادر لا قدرة له وعالم لا علم له ويسمون
انفسهم ايضا اهل عدل لاثباتهم قدرة تخليق الافعال للعبد الله
تعالى قالوا لان تخليق الافعال لو كان من الله تعالى لكان معذبا
لهم على فعله لا على فعلهم وقد ابطلوا بعدلهم هذا توحيد صانع
العالم اذ العالم اعيان واعراض واكثر الاعراض التي هي
الافعال الاختيارية مخلوقا لفاعليها من جميع من يوصف
بالحيوة من المتحيين وغيرهم من كل ما دب ودرج فكان
العالم عندهم مخلوقا لله تعالى ولمن لا يحصون من الخالقين
وقد سموا انفسهم مع هذا اهل توحيد ولهذا قال علماؤنا
ان المعتزلة يسمون انفسهم اهل عدل وتوحيد وقد
ابطلوا عدلهم بتوحيدهم وتوحيدهم بعدلهم وهذا ظاهر
بحمد الله تعالى قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله ولهم على هذا القسم الاخير اسولة كثيرة اذ هو مذهب
جمهورهم قد دفعها علماء الاصول واودعوها كتبهم وحجج
اهل الحق لا تقوم لها شبهات اهل الاهوا والخصومات

إذ حججهم السمعية محكمة لا تحتمل الانتقاض بتأويلات المبتدعة
وكذلك إجماعهم لا يقوم له خلاف أهل الأهواء لسقوط اعتبار
من خالفهم إذ إجماعهم صار حجة قاطعة بنصوص محكمة
من الكتاب والسنة المتواترة الموجبة للعلم منها قوله صلوات
الله عليه ستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة
في الجنة والباقون في النار قيل يا رسول الله ومن الناجية
قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي وقد صح أيضا قوله
عليه السلام عليكم بالسواد الأعظم وصح أيضا قوله عليه
السلام من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام
من عنقه وقال أيضا في المتواتر لا تجتمع أمتي على ضلالة وعند
عرض الأقاويل على الكتاب والسنة الواضحة وإجماع الصحابة
وسلف الأمة يتبين من شذ عن الجماعة وبالله العصمة
ولأهل الحق معقول آخر في المسألة وهو أن الله تعالى
لو لم يكن متكلما في الأزل لكان موصوفا بضد من أضداد
الكلام كالسكوت والآفة وذلك محال لأن الآفة والخرس

عليكم بالسواد الأعظم

لا تجتمع أمتي على ضلال

والطفولية وغيرها على القديم محال ممتنعة إذ هي من أمارات
الحدث وكذا السكوت عنه في الأزل منتفي فإنه لو كان ساكتا
في الأزل لكان لا يتصور اتصافه بالكلام البتة لأن الأمر
لا يخلو إما أن كان ساكتا لذاته وإما أن كان ساكتا لمعنى
والاتصاف بالكلام مع وجودها يوجب اتصافه بالسكوت
محال ممتنع إذ العدم على ما يوجب كونه ساكتا محال
ذاتا كان ذلك الموجب أو معنى لما مر من استحالة العدم على القديم
وإذا لم يكن موصوفا بضد من أضداد الكلام ولا يستحيل
اتصاف الذات بالكلام لما هو من صفات الكمال كان موصوفا به
ضرورة إذ لا واسطة بين الكلام وأضداده فيستحيل التعري
عنه وتعلقت المعتزلة بقوله تعالى إنا جعلناه قرآنا عربيا
قالوا والجعل والتخليق واحد وبقوله ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث وبقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
قالوا ولا فرق بين المحدث والمخلوق قال الشيخ الإمام العالم
نجم الملة والدين أيده الله وجواب أهل الحق في حل شبهاتهم

التسمية هو ان يقال لا تعلق لهم بقوله انا جعلناه قرانا عربيا لان
معناه والله اعلم جعلنا العبارة عنه بلسان العرب وافهمنا
المراد به باللسان العربي ثم ان اهل اللغة قالوا اذا تعدى
الجعل الى مفعول واحد كان بمعنى الفعل والخلق كقوله
تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور اي خلق الظلمات والنور واذا تعدى الى مفعولين
لا يكون بمعنى الخلق بل يكون بمعنى الحكم والتسمية قال الله
تعالى خبرا عن الكفرة وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا والمراد منه التسمية لا التخليق اي سموا
الملائكة اناثا وقد تعدى قوله جعلناه قرانا عربيا الى مفعولين
وكذا في قوله الذين جعلوا القران عضين والمراد منه التسمية
لا التخليق قال سيف الحق رحمه الله والمراد من قوله من
ذكر من ربهم محدث يحتمل ان الذكر هو الرسول على ما قال
ذكرا رسولا فيكون تاويله ما ياتيهم من رسول محدث الا
استمعوه قوله ويحتمل اي ما ياتيهم من وعظ من النبي صلى الله عليه

ويحتمل اي من ذكر من حديث العهد بهم لا ان يكون في نفسه
حديثا كما يقال له غلام صغير واشترى غلاما مسنا فانه قد
يقول ادعوا غلامي الحديث وان كان اكبر سنا من الاول
فلم يبق للخصوم في محل النزاع دليل ولاهل الحق دليل اخر
وهو ان كلامه تعالى لو كان حادثا لكان مستحيل البقا اذ الكلام
الحادث عرض والعرض اسم لما لا دوام له ولا يبقى زمانين
وابو هاشم منهم ساعد في الكلام وابو القاسم الكعبي منهم
ساعد في استحالة بقا الاعراض كلها فقد ثبت استحالة
البقا فيما نزل من القران على النبي محمد صلى الله عليه وسلم
على مذهبهم فلم يبق اليوم على قولهم لله تعالى كلام ولا امر
ولا نهي وبطلت الشرايع ثم رامت المعتزلة التخلص عن
هذا الالزام فقالت ان كلام الله تعالى واوامره ونواهيه
وان انعدمت بقيت الشرايع لبقا الاجماع على تلك الشرايع
قال سيف الحق رحمه الله هذا منهم كلام باطل لان الاجماع
كان حجة بالقران فيبطل بانعدام الكلام والامر به وعرف

فهذا مآل مذاهب المعتزلة هو السعي في ابطال الشرايع ودفع
الدين ورفع الملة الحنيفية نعوذ بالله من قول عقباه هذا
واما قول المعتزلة بان الامر والنهي في الازل مع انعدام المكلفين
مستحيل فهو تشنيع عايد عليهم وهو مع ذلك افحش مناقضة
واشد انقطاع لانهم سالكون هذا المسلك وبيانه هذا
ان يقال لهم ان عندكم كان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
خطابا لمن يوجد من اهل العقل الى قيام الساعة عند
البلوغ وان كانوا معدومين حال نزول الخطاب ولم يعد
ذلك سفها ولا خروجا من الحكمة استدلالا بالشاهد
فكذا ما قلنا ومن لم يجعل لمن وجد بعد ذلك العصر
مخاطبا بذلك الخطاب مع انقطاع الوحي فقد ابطل
الشرايع واخرج كل الخليفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم عن لوازم الامر والنهي واقلتهم عن ربقة الخطاب
والقول به كفر صراح ثم يقال لهم ان كان الامر والنهي
مع انعدام المامور سفها في الشاهد فلم ينبغي ان يكون

في الغايب هكذي فلا بد من اثبات التسوية بينهما ليمكن
الاستدلال وتعديته الحكم الى الغايب عند اتحاد المعنى
اليس ان كل فاعل في الشاهد جسم وهو لحم ودم وعظم
وعصب ولا يلزم مثله في الغايب فكذا فيما نحن فيه ثم
نكشف عن المعنى فنقول الاصل ان وجود المحدث هو
الذي يتعلق بالعلل والحكم لا وجود القديم اذ المحدث لم يكن
ثم كان بكون غيره اياه فيتفحص عن الحكمة التي لاجلها
احدثه الصانع واوجده فاما ما لا ابتدا لوجوده وهو واجب
الوجود لم يكن وجوده متعلقا بمعنى وراء ذاته الذي هو
واجب الوجود اليس ان من قال لا حكمة في وجود صانع
العالم سابقا على العالم سبقا لا نهاية له يستحمق وينسب
الى الغباوة والجهل لما مر من العلة فكذا هذا ثم نقول ان
كلام واحد منا في الشاهد محدث فيطلب لوجوده
جهة الحكمة فان كان المخاطب حاضرا موجودا احصلت
له العاقبة الحميدة وان كان معدوما او غايبا لم يتعلق به

العاية الحميدة فكان سفها فاما كلام الله تعالى فهو ازلي
واجب الوجود فلا يطلب لثبوته في الازل حكمة كما في حق
الذات وهذا هو الجواب لقولهم ان التكلم في الخلوة مع
نفسه لن يكون الا لتذكر او لدفع الوحشة والتكلم بدون
ذلك سفه فيقال لهم ان كان هذا كذى في حق من كلامه
محدث فاما في حق من كان كلامه ازليا غير محدث وغير
داخل تحت القدرة فلا يكون كذلك ثم هذا يرد على المعتزلة
حيث زعموا انه تعالى احدث كلامه في عصر النبي صلى الله
عليه وسلم خطابا لمن في عصره ولمن يوجد الى قيام الساعة
فاما علينا فلا يرد ۞ واما قولهم ان الاخبار عن آدم وعصيانه
بلفظ الماضي وعن ابرهيم واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
البلد امنا وعن القا موسى العصا وعن فرعون فكذب
وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى ونحو ذلك قبل وجودها
يكون كذبا والكذب على الله مستحيل قال سيف الحق ابو المعين
رحمه الله في اصوله فيقال لهم اليس ان المروي على طريق

الاستفاضة ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في اشراط الساعة منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت
الشام اردبها ولم يوجد بعد وقال صلى الله عليه وسلم
هذا القول قبل هذا بقريب من خمسمائة سنة اكاذب
هو عليه السلام ام صادق فان قال هو صادق فقد ابطل
احتجاجه ووقع فيما عاب وان قال هو كاذب فقد كفر وان
قال هو صادق لان ثبوت ذلك قد تقرر في علمه كما يتقرر
ثبوت ما وقع فلذا قال منعت قيل له فا قبل منا هذا العذر
ثم يقال اليس ان الكذب كما يتحقق في الاخبار عن الماضي
بان كان على خلاف ما هو به فكذى يتحقق في المستقبل اذا كان
على خلاف ما هو به فلا بد من بلى فيقال اليس ان الله تعالى
قال قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد
فلا بد من بلى قيل اليس ان هذا قد مضى لان المخلفين قد انقرضوا
فلو كان الدعا لهم لم يوجد حال حيوتهم وانقرضوا قبل الدعاء
كان هذا اخبارا عن الخبر لا على ما هو به وكذى قوله وهم من بعد

عليهم سيغلبون قد مضى ذلك فلا وجود لشيء من ذلك في المستقبل
بعد مضي هذه الحوادث فإن قالوا نعم كل ذلك قد مضى قبل أكذب
هذه الآيات أم لا فإن قالوا لا أبطلوا دليلهم وإن قالوا نعم كفروا
ثم الجواب البرهاني أن يقال أن إخبار الله تعالى إخبار عن المخبرات
بأحوالها على أوصافها فإذا لم يوجد مخبره وجب أن يأول بأنه
خبر عنه أنه يكون وإذا وجد وجب القول بأنه خبر ثابت
وإذا مضى وجب أن يقول بأنه خبر عنه أنه كان والتغير على
المخبر عنه لا على الخبر دليله ما تلونا من الآيات وكذا علمه
تعالى بالمعلومات فإن علم الله تعالى بوجود آدم صلوات الله
عليه قبل وجوده علم بأنه يوجد وبعدما وجد علم بأنه موجود
وبعد انقراضه علم بأنه كان وكذا في كل معلوم سبق علمه
بوجوده ولا تغير على العلم إنما التغير على المعلوم ه
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الرؤية أنهم قالوا والرؤية حق
لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا جل
وعلا وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وتفسيره على ما أراد الله

تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد
لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه
ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام
إلا على ظهر التسليم ومن رام علم ما حظر عنه علمه ولم
يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي
المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان
والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا تائها
شاكا زائغا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا ولا يصح
الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم أو
تأولها بفهم إذ كان ذلك تأويل الرؤية وتأويل الرؤية معنى
يضاف إلى الربوبية الآتين بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه
دين المرسلين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب
التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية

منعوت بنعوت الفردانية لا يشبه في معناه أحد من البرية
تعالى الله عز وجل عن الحدود والغايات والأركان
والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست
كسائر المبتدعات

أما قولهم والرؤية حق لأهل

الجنة بغير إحاطة ولا كيفية هذا من فقهاء
الملة وهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ومن تابعهم إثبات
بأن رؤية الله تعالى حق لأهل الجنة في الجنة وقد اعتقدوا
ثبوتها وحقيتها بالكتاب وبالأحاديث الصحيحة
والعقل الصحيح يثبتها ولا ينفيها

وأما قولهم بغير إحاطة ولا

فإنما قالوا ذلك لما قامت الأدلة القاطعة على استحالة
الإحاطة به سبحانه وتعالى لأنه لا نهاية له ونفوا الكيفية

عن الرؤية الموعودة بها لاستحالة الكيفية في ذات الله
تعالى وصفاته على ما مر في فصل الصفات من البراهين
العقلية والحجج السمعية على تعاليه سبحانه عن الكيفية
والمماثلة لما فيهما من أمارات الحدث ثم في إثباتهم الرؤية
لله تعالى بغير إحاطة ولا كيفية بيان أن الرؤية لا تتضمن
تشبيه المرئي ولا إحاطته ولا تكييفه بل يرى المرئي
على ما هو به كالعلم سواء فإن العلم لا يتضمن شيئا من ذلك
بل يعلم المعلوم على ما هو به فإن كان المرئي مكيفا يرى
كذلك وإن كان غير مكيف يرى غير مكيف فيرى الله تعالى
بلا إحاطة ولا كيفية كما يعلم بلا إحاطة ولا كيفية

وأما قولهم كما نطق به كتاب ربنا

جل وعلا وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة هذا منهم
احتجاج بهذه الآية على إثبات الرؤية وهذا يدل على أن
هذه الآية موجبة بنظر العين وأن تأويل المعتزلة إياها على

انتظار الثواب والكرامة تأويل فاسد اذ ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله هم المتبحرون في علم الاصول والفروع وهم
اعرف بالتأويل والتنزيل وقد صرحوا على اثبات الرؤية
فيسقط تأويل المعتزلة

واما قولهم وكلما جاء في ذلك

من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو كما قال ومعناه على ما اراد فهذا منهم اثبات لصحة
الاحاديث المروية في اثبات الرؤية وشهادة منهم
بحقيقة موجبها اذ ما ثبت في الشريعة يجب الاعتقاد
به لكونه شريعة الله تعالى ثبتت بالمعجزات القاهرات
والدلائل الواضحات فما ثبت كونه منها يقابل بالسمع
والطاعة ولا تضرب له الامثال والمقاييس قال
الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله اخبرني الشيخ
الثقة امين الدين ابو سعد ثابت بن مشرف ابن ابي سعد بن

ابرهيم وهو البناء البغدادي المعروف بابن شبشنان قراءة
عليه قال اخبرنا عمي ابو الحسن علي بن ابي سعد بن ابرهيم قراءة
عليه وانا اسمع قال اخبرنا الشيخ الامام ابو ياسر عبد الله
بن محمد البردي قراءة عليه وانا اسمع قال اخبرنا القاضي
ابو المظفر هناد بن ابرهيم بن نصر النسفي قراءة عليه وانا
اسمع في الجامع سنة ست وخمسين واربعمائة قال اخبرنا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد ابن الحسن الخزاعي ببخارى
قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن يعقوب الحارثي قال حدثنا
ابو عبد الله محمد بن خزيمة بن حسان بن عيسى البخاري
قال حدثنا رجا بن عبد الله النهشلي بمكة قال حدثنا شقيق
ابن ابرهيم البلخي قال حدثنا حماد بن ابي حنيفة عن ابيه
ابي حنيفة النعمان بن ثابت عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس
بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون
القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا

تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
قال حماد وحدثنا اسمعيل وبيان عن قيس بهذا الحديث
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ابده الله تعالى
واخبرني ابو سعد ثابت قراة عليه قال اخبرني عمي ابو الحسن
علي بن ابي سعد قراة عليه قال اخبرنا محمد بن احمد بن محمد
ابو عبد الله الموصلي بها قال حدثنا محمد بن عمر بن سلم قال
حدثنا علي بن الفضل بن طاهر قال لنا هنا كتب عني
هذا الحديث ابو حازم الحافظ بنيسابور وابو الفضل
الجارودي وهبة الله بن الحسن الطبري وابو عبد الله
الصوري وابو بكر الخطيب الحافظ وجماعة من الحفاظ
وغيرهم قال الشيخ ابده الله هذا حديث صحيح اخرجه
الحفاظ في الصحاح وقد رواه الامام الجليل ابو حنيفة
رحمه الله باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ به وكذلك رواه ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم
باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ به ذكره

القاضي ابو العلا صاعد في كتاب الاعتقاد فقال روى
عن بشر بن الوليد قال كنت جالسا عند ابي يوسف القاضي
فدخل عليه بشر المريسي فقال ابو يوسف حدثنا اسمعيل
عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديث
الروية يعني قوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم لا تضامون
في رويته كما تنظرون الى القمر ليلة البدر ثم قال ابو يوسف
اني والله اومن بهذا الحديث واصحابك يكفرون به
قال الشيخ ابده الله قد جمع ابو يوسف في حديث الروية
بين لفظ الايمان وتاكيده بالقسم بالله عز وجل وهذا
لتاكيد ثبوت هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالنقل المشهور اذ الاعتقاد لا ينبني الا على دليل
موجب للعلم وذلك كتاب ناطق او خبر متواتر او مشهور
تلقاه السلف بالقبول او اجماع الامة

واما قولهم ومعناه على ما اراد

فانما ارادوا بذلك النظر المذكور في الكتاب الى الرب
تعالى وما صح في ذلك من الخبر فانه يجب قبوله باعتقاد
الحقيقة والتسليم لما اراد الله تعالى ورسوله صلى الله
عليه وسلم من غير بحث وتاويل لان الله تعالى لا يعرف
بالقياس ولا يقاس بالناس وانما يعرف بهدايته وكماله
بصفاته وعلى تعاليه عن معاني خلائقه على ما مر بيانها
فيما مضى

واما قولهم لا ندخل في ذلك

متاولين بارائنا ولا متوهمين باهوائنا فانما قالوا
ذلك لان الرؤية معنى يضاف الى الربوبية ولا يقاس
ذاته بالذوات لوحدانيته وقدمه ولا يفهم من صفاته
ما يفهم من صفات غيره لان صفات غيره دلالات
على ان صانعا قديما صنعها ودبرها وذلك يستحيل في حق
صفات القديم تعالى فمن دخل في ذلك متاولا برايه

فاما ان يوديه رايه الى النفي على الظن ان ذلك تنزيه فيصير
ردا لما ثبت بالدليل القطعي وذلك ضلال وباطل واما
ان يوديه رايه الى التشبيه والتجسيم على ظن انه يثبته
فيصير غلوا وذلك باطل فوجب اعتقاد حقيقة ما ثبت
بالدليل الموجب من غير تشبيه ولا تعطيل وهو سبيل
اهل الحق

واما قولهم فانه ما سلم

في دينه الا ما سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه فانما قالوا ذلك في كل
ما ثبت كونه من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم
بالدليل الموجب للعلم من كتاب ناطق او خبر متواتر
او اجماع فانه يجب تسليمه لله تعالى ولرسوله صلى الله
عليه وسلم سوا علم الحكمة فيه او لم يعلم اذ هو من شريعة
علام الغيوب وعقول البشر تقصر عن الوقوف على الحكم
البشرية اذا لعقل جزو من اجزاء العالم فكيف يحيط بالحكم

الربوبية ما هو جزء من اجزاء عالمه

واما قولهم ورد علم ما اشتبه

عليه الى عالمه فانما قالوا هذا لوجوب الايمان بالآيات المتشابهات
والاحاديث المتشابهة الثابتة بالنقل المتواتر من غير حمل
اياها على مخالفة النصوص المحكمة الموجبة للعلم ومن غير
ايقاع المناقضة بين حجج الحكيم القديم على ما مر في فصل
الصفات والمتشابهات فان قوما تاولوا بارائهم فعطلوا
وقوما حملوها على ظواهرها فوقعوا في التشبيه والتجسيم
فصاروا معطلة من حيث المعنى اذ قامت البراهين الساطعة
والحجج القاطعة على ان صانع العالم ليس بجسم ولا جوهر
ولا عرض وانه لا مشابهة بينه وبين شيء من العالم

واما قولهم ولا يثبت قدم

الاسلام الا على ظهر التسليم فلان الاسلام هو دين الله عز وجل

الذي نتعبد به عباده وبعث لاجله الانبياء والرسل
وانزل الكتب السماوية وهو في الحقيقة جعل كلية الاشياء
لله تعالى سالمة لا شريك له فيها في ملك ولا انشاء ولا تدبير
ثم الايمان والاسلام واحد عندهم اعني ابا حنيفة وابا يوسف
ومحمدا وسائر المحققين لان الايمان هو التصديق لله تعالى
بالربوبية بشهادة كلية الاشياء لله تعالى بانه خالقها
وردها على ما هي عليها من آثار الحدثية فالمسلم الذي جعل
الاشياء كلها سالمة لله تعالى فجعل خلق الاجسام والجواهر
والاعراض كلها خيرها وشرها من الله تعالى لا كما قالت الثنوية
ان خالق الخيرات هو الله تعالى وخالق الشرور والقبائح
هو اهرمن يعنون به الشيطان فهذا تفسير الاسلام
واما تفسير الايمان ففيه عبارتان احداهما الايمان هو
التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شيء وان له الخلق
والامر والعبارة الثانية الايمان هو التصديق بما جاء به
الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ان الاسلام والايمان في الحقيقة

هكذا ذكر امام الهدى ابو منصور في كتاب التاويلات وعليه
ايمة التحصيل انهما واحد عند الفقها ودليلهم على ذلك اتحادهما
في المعنى على ما بيّنا ونصوص كثيرة منها قوله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فامر الله تعالى بالاسلام له في جميع ما امر الله بالايمان به
ومنها قوله تعالى في قصة لوط فاخرجنا من كان فيها
من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فعبّر
بالاسلام عمن عبّر عنهم بالايمان فالذين سماهم مسلمين
هم الذين سماهم مومنين فكان الايمان والاسلام
واحدا في التحقيق ثم الاعمال من نحو العبادات وساير
الطاعات من موجبات الايمان وشرايع الاسلام
ويدل على ذلك ايضا حديث جبريل عليه السلام حيث
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام

فقال الايمان ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ثم قال في جواب سواله
عن الاسلام فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وان تقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا فذكر في الاسلام الشهادتين وفيهما
جميع ما يجب ان يومن به اذ في الشهادة بوحدانية الله تعالى
الايمان والتصديق بالوهية الله واسمايه وصفاته وفي الشهادة
بالرسالة الايمان بجميع ما جاء به محمد بن عبد الله ثم اتبع ذلك
بشرايع الاسلام وكذا الحديث المشهور المتواتر يوكد هذا
ويوضحه وهو قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم
الا بحقها وفي رواية الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وهذا
بيان واضح ان الايمان والاسلام واحد وان العبادات وساير
الاحكام من حقوق الايمان والاسلام وشرايعهما وهذا الذي
ذكرنا كله داخل تحت قولهم ولا يثبت تقدم الاسلام الا على ظاهر التسليم

فالإسلام هو التسليم لله عز وجل في كل ما ثبت بالدليل الموجب
للعلم والإيمان هو التصديق بحقيقة كل ما ثبت بالدليل الموجب
للعلم وقد مضى ذكر أنواع الأدلة الموجبة للعلم قطعا

وأما قولهم ومن رام علم ما حظر

عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص
التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فمعناه أن كل
من لم يستقبل ما ثبت بدليل يوجب العلم قطعا من كتاب ناطق
أو خبر متواتر أو إجماع الأمة الهادية بالتسليم لله ولرسوله
ولم يقنع بالتسليم فهمه وطلب الوقوف على الحكمة فيما حظر
عن الخلق علمه كان مرامه ذلك منه تحكما وعدولا عن موجب
الإسلام والإيمان فيصير برايه وتحكمه محجوبا عن خالص التو
حيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيبقى مترددا بين نقيضين
بين الكفر والإسلام وبين التكذيب والتصديق ولا إيمان مع
التردد ولا إسلام مع التحكم ولهذا قالوا يتذبذب بين الكفر

والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا
تائها شاكا زائغا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا
قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين فمن أراد أن
يعرف الحق فعليه بالتمسك بالأدلة الموجبة للعلم قطعا
وهي الكتاب المتلو بلا شك والخبر المروي بلا إفك وهو المتواتر
وإجماع الأمة الهادية وما اشتبه علينا من متشابهات
الكتاب والخبر المتواتر فيؤمن بمراد الله تعالى وبمراد رسوله
صلى الله عليه وسلم منهما وينفي عن الله تعالى مشابهة الخلق
عملا بالنص المحكم وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
ويصفه بما وصف نفسه في سورة التوحيد والإخلاص
ويعتقد أن الله تعالى قديم حكيم لم يكن كتابه متناقضا ولا بعث
رسوله صلى الله عليه وسلم بدين متناقض بل يعلم أن الله تعالى
أنزل الكتاب وفيه المحكمات ليتبعوها بالعمل والاعتقاد
وفيه المتشابهات وأخبر أن اتباع ما تشابه منه زيغ فقال
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وثبت قطعا

اذهاننا كمعاني موافقة للمحكمات ولكن الله تعالى امتحن عباده
باتباع المحكمات والايمان بحقيقة مراده في المتشابهات ليظهر
ما علم في الازل من يحقق ممن يزيغ كما امتحن العباد بالاوامر
والنواهي ليظهر للخلق المطيع من العاصي ومن لم يعرف الحق
بما ذكرت من الادلة القاطعة فهو بما بعدها ابعد وهذا
كما ذكر القاضي ابو العلاء صاعد في كتاب الاعتقاد فقال
روي عن ابي يوسف انه قال ان لم يعرف الحق بالقرآن والسنة
فهو بالخصومة بالراي عن معرفته ابعد قال ابو العلاء رحمه الله
وروي عن ابي سليمان ان رجلا جاء الى ابي حنيفة قدس الله روحه
فقال اري مقالات الناس مختلفة ولقد بقيت فيما بينهم متحيرا
لست اقف على صواب القول منهم احب يا ابا حنيفة ان تبين
لي طريقا اكون عليه فانجو غدا من النار وترضى لي ما ترضاه
لنفسك واذا انا بعتك عليه لا الام عليه فقال ابو حنيفة
رضي الله عنه ادركت الناس يقولون من قال اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فقد اخلص الملك لله وتبرا ممن عبد

من دونه وخلع الانداد والاشباه ثم البراءة من الكفر
والشرك ثم الواجب عليهم بعد الشهادة بوحدانيته وباثبات
رسوله اقراره بالمفروضات من الصلوة والزكوة والصوم
والحج لمن استطاع اليه سبيلا فمن استقام على ذلك ومات
عليه فهو من اولياء الله ومن استقام على الشهادة وقصر في هذه
المفروضات فامره الى الله تعالى ان شاء عذبه على تضييعه
وان شاء عفى عنه واياك ان تشتم احدا من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ودع سرائرهم الى الله تعالى تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم وتؤمن بالقدر كله ولا تقل
على الله غير الحق وارض للناس ما ترضى لنفسك واكره لهم ما
تكره لها ولا تغل في دين الله ولا تتال على الله فان الله لا يسأل
عما يفعل والعباد مسؤلون يوم القيامة قال
الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله قد جمع الامام
الجليل ابو حنيفة قدس الله روحه في هذه الجملة فصولا
يطول شرحها نذكر منها حرفا واحدا وهو قوله ادركنا الناس

وهم يقولون من قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
اراد بقوله ادركت الناس الاحتجاج بجماعة الامة وهو
من اعظم الادلة الموجبة للعلم اذ مراده بالناس جماعة
المسلمين وهم الذين نقلوا القرآن وعدد الصلوات
الخمس وجميع الشرعيات والاحكام والحدود فمن خالف
اجماعهم فقد خالف ما نقلوه وهو القرآن والسنة الواضحة
اذ اجماعهم صار حجة موجبة بما كذا فسره علما الاصول
وذكر القاضي ابو العلا ايضا فقال فقال روي عن ابي عمرو
ابن مطر قال سئل محمد بن اسحق بن خزيمة عن الكلام في الاسماء والصفات
قال بدعة ابتدعوها ولم تكن ائمة المسلمين من الصحابة
والتابعين وائمة الدين وارباب المذاهب مثل ابي حنيفة
ومالك بن انس وسفيان الثوري وابي يوسف ومحمد بن الحسن
والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق الحنظلي ويحيى بن يحيى
وعبد الله بن المبارك ومحمد بن يحيى يتكلمون في ذلك وينهون
عن الخوض فيه وعن النظر في كتبهم بحال والله تعالى اسأل

ان يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن

واما قولهم ولا يصح الايمان بالرؤية

لاهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم او تاولها بفهم فهذا
منهم اثبات لرؤية الله تعالى في الجنة اذ دار السلام هي
الجنة قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي يدعوا
الى الجنة وفي تسميتها دار السلام وجهان احدهما ان السلام
اسم من اسماء الله تعالى قال الله تعالى السلام المؤمن فيكون
معناها دار الله تعالى اذ هي دار اوليا الله والثاني سميت الجنة
دار السلام لان من دخلها سلم عن الافات والعيوب والزوال
فيكون معناها دار السلامة وانما قالوا لا يصح الايمان
بالرؤية لاهل الجنة لمن اعتبرها بوهم لان الوهم انما يقع على
الموهوم وهو ما ينطبع في الحواس وهو ما يوصف بالجنس
والكيفية وذلك محال في حق الله تعالى وانما قالوا او تاولها
بفهم لان الفهم يكون بالتامل بالعقل وذلك يكون لمعرفة الدلايل

المنصوبة في العالم على حدث العالم و ثبوت الصانع و وحدانيته
و قدمه و على براءته عن سمات الحدث و امارات النقص و اما
فهم المعنى الذي يضاف الى الروية فلا سبيل الى ذلك و هذا
هو معنى يضاف الى الربوبية ارادوا بان الربوبية منزهة
عن المائية و الكيفية فلذلك قالوا لا يصح الايمان بالرؤية
الا بترك التاويل و لزوم التسليم كما في العلم بالذات و الصفات
يعلم ذاته بانه واحد حي قديم موصوف بصفات المدح
و الكمال بلا احاطة و لا كيفية و اما قولهم الا بترك
التاويل و لزوم التسليم و عليه دين المرسلين فهذا منهم
بيان ان الرسل عليهم السلام سلكوا طريقة واحدة
في الهدى و التوحيد فتوادينهم على ما اقام الله تعالى من
ايات الوحدانية و الالوهية و ايات الرسالة فاسلموا
لرب العالمين على ما قال تعالى لنبيه عليه السلام قل
ان هدى الله هو الهدى و امرنا لنسلم لرب العالمين
و على ما امر خليله ابرهيم صلوات الله عليه بقوله اذ قال له

ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين و وصى بها ابرهيم بنيه
الاية و على ما قال تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قال اهل الاصول امروا في الاسماء و الصفات و ما يجب اعتقاده
ان يكونوا على دين واحد و نهج واحد على ما قال تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذي اوحينا اليك و ما وصينا
به ابرهيم و موسى و عيسى ان اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه فالانبيا
كلهم عليهم السلام على دين واحد و هو الاسلام لرب العالمين
و اما في الشرايع فلكل واحد منهم شريعة على حدة على ما قال
لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا فالانبيا صلوات الله عليهم
تطابقوا في الدين على الطريقة الواحدة المستقيمة و السيرة
المرضية المهدية قد انقادوا لحجج الله تعالى و براهينه
و عصموا عن طريقة الفلاسفة و المتكلمين ليعلم انهم
منقادون لوحي الله تعالى و ملتزمون لحكمه و مستسلمون
لامره فوجب علينا الاستسلام لما استسلموا و الاتباع لسيرتهم
و التدين بطريقتهم و من رغب عن شيء مما استسلموا له فقد زاغ

عن الحق والهدى ووقع في السفه والضلالة على ما قال تعالى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه اذ الانبيا
كانوا على ملته وامر نبينا صلوات الله عليه باتباع ملته على ما قال
تعالى واتبع ملة ابرهيم وذكر القاضي ابو العلا صاعد في كتاب
الاعتقاد فقال روى جماعة من الصحابة قالوا خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني اسرائيل افترقوا على
احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة
وان امتي ستفترق على ثلث وسبعين فرقة كلها في الضلالة
الا السواد الاعظم قالوا يا رسول الله وما السواد الاعظم
قال ما انا عليه واصحابي

واما قولهم ومن لم يتوق النفي

والتشبيه زل ولم يصب التنزيه قال القاضي ابو حفص الغزنوي
وهذا ايضا قالوه في الرؤية لان الرؤية لما ثبتت بالنقل
كان نفيها نفيا لما اثبته الشرع ونفي ما اثبته الشرع ضلال

والتشبيه باطل بالنقل والعقل فمن لم يجتنب النفي الذي هو
خلاف الشرع والتشبيه الذي هو خلاف الشرع والعقل
زل عن الدين الحق ولم يصب التنزيه الذي اوجبه الشرع
والعقل فان ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية
منعوت بنعوت الفردانية وهذا ايضا قالوه في فصل
الرؤية حسما عن الخوض في تاويل معاني صفات الرب بالوهم
وفهم الراي لكيلا يقع في التشبيه والكيفية والتجسيم لاستحالة
هذه المعاني على القديم تعالى فان الله تعالى وصف نفسه
بصفات الوحدانية بقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو
الرحمن الرحيم وبقوله وهو الله الواحد القهار وبقوله
وعنت الوجوه للحي القيوم وبقوله قل هو الله احد الله الصمد
ونعت نفسه بنعوت الفردانية بقوله بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وبقوله لم يلد ولم يولد

واما قولهم ليس في معناه احد من البرية

فانما قالوا ذلك لئلا يتوهم احد في اثبات الروية الموعودة
في الآخرة معاني الروية المعهودة في الشاهد من البرية
وانما يراه اهل الجنة في الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما
عرفوه في دار المحنة والعبادة بلا احاطة ولا كيفية فان الله
تعالى نزه نفسه عن معاني خلايقه على المبالغة على نسق
ذكر اقسام العالم فبدا بذكر الوهيته وربوبيته بقوله تعالى
ذلكم الله ربكم الى ان ذكر قهره وسلطانه بقوله فاطر السموات
والارض فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات وما فيها
وما فوقها من مخلوقاته ودخل بذكر الارض تحت قهره وسلطانه
الارض وما فيها وما تحتها ثم ذكر المقصود من العالم وهم
البشر المشتمل على الازواج والاصناف بقوله جعل لكم
من انفسكم ازواجا ثم ذكر ما جعل لهم من الانعام المشتملة
على الازواج والاصناف بقوله ومن الانعام ازواجا يذرؤكم
فيه ثم ذكر على نسق جميع اقسام العالم تعاليه عن مماثلة
شيء من اقسام عالمه فقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير فهذا نص محكم لا احتمال فيه نفي تعالى عن نفسه
مشابهة شيء من مصنوعاته ومخلوقاته ومحدثاته التي هي
بذواتها وصفاتها دلالات على ثبوت صانع واحد
حي قديم قادر حكيم مدبر عليم مريد سميع بصير وقد
تقدم ذكر البراهين القطعية فيما مضى فهذه الادلة
القاطعة قال فقهاء الملة في تنزيه ذات القديم تعالى
وصفاته ليس في معناه احد من البرية اذ البرية جميع
الخليقة فيستحيل كون المحدث المخلوق في معنى القديم الخالق

واما قولهم تعالى الله عز وجل

عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات
فانما قالوا ذلك لما سبق بيانه من البراهين الساطعة
والحجج القاطعة على تعاليه عن جميع معاني خليقته
اذ الحد وصف المحدود وهو المحصور والغاية عبارة
عن النهاية والاركان والاعضاء صفات الاجسام

والادوات آلات الاجسام والقديم سبحانه تعالى عن
هذه الاوصاف كلها لما هي دلالات على صانع قديم صنعها
ودبرها فيستحيل ان يكون الصانع القديم متصفا باوصاف
المصنوعية و

واما قولهم لا تحويه

الجهات الست كسائر المبتدعات فانما قالوا ذلك بالنصوص
المحكمة والبراهين القاطعة اما النصوص فنحو قوله تعالى
ليس كمثله شيء نفى عن نفسه مشابهة العالم اياه ففي التحيز
بجهة من الجهات مشابهة الاجسام والجواهر وفي التمكن
في مكان مماثلة للجواهر المتمكنة في الامكنة ففي وصفه
بالجهات قول بالانحصار فيها وفي القول بالتمكن بالمكان
اثبات الحاجة الى المكان وفي كل ذلك ايجاب حدوثه
وازالة قدمه وذلك كله محال في حق القديم ومن تلك النصوص
قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد والكفو المساوي والمماثل
فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة ومنها قوله تعالى سبحان الله

عما يصفون وقوله سبحان الله عما يشركون فوجب تنزيهه عن
صفات الخلق ومنها قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء
فوجب اثبات تعاليه عن كل ما يفتقر اليه الخلق من الاتصاف
بالمكان والجهة ومنها قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين فاثبت
لنفسه الاستغناء عن جميع العالمين والجهات والامكنة
من اجزاء العالم فوجب اثبات تعاليه واستغنائه عن العالمين
وعن كل وصف من صفات المحدثين ومن البراهين القاطعة
ان الجهات الست محدثة وهي اوصاف للعالم المحدث والله تعالى
قديم لم يزل كان ولا مكان ولا حين ولا زمان ولا فوق ولا تحت
ولا خلف ولا قدام ولا يمين ولا يسار فلما احدث العالم واخرجه
من العدم الى الوجود صار محصور الجهات ست فما قطعه من اعلى
صار فوقا وما قطعه من اسفل صار تحتا وما تقدمه صار اماما وما
تاخر عنه صار خلفا وما تيامن عنه صار يمينا وما تياسر عنه صار
شمالا فصار العالم محصورا بالجهات وصانع العالم قديم لم يزل دائم
لا يزال وهو بكل شيء محيط لا كاحاطة الحقة باللؤلؤة بل بالعلم

والقدرة والقهر والسلطان لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وكل شيء تحت حكمه وقهره وسلطانه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وهذا كله مذهب اهل الحق وهم اهل السنة
والجماعة وخالفهم في ذلك اليهود والكرامية والغلاة فقالوا ان
الباري تعالى جسم متبعض على مثال صورة البشر وانه في الجهة
العليا في مكان مخصوص وهو العرش وقالت النصارى انه تعالى
جوهر وقد مر ذكر البراهين الساطعة والحجج القاطعة في غير
موضع بان الله تعالى ليس بعرض لان العرض اسم لما لا دوام له يقال
عرض لفلان امر اي معنى لا قرار له ومنه سمي السحاب عارضا لما انه
يعرض ثم يزول ولا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل يقوم به فيتعالى
الله عز وجل عن الاتصاف بمعنى لا يدوم وقد قامت الدلائل
القاطعة على ان صانع العالم حي قديم ازلي دائم ابدي واجب
الوجود لا ابتداء لوجوده واجب البقاء لا انتهاء لدوامه وبقائه
والقول بقدم ما لا بقاء له محال وكذا قامت الدلائل القاطعة
ان الفعل المحكم المتقن لا يتاتى الا من حي قادر عالم واتصاف

ما لا قيام له بذاته بكونه حيا عالما قادرا محال وكذا افتقار
القديم الى المحل محال اذ شرط القدم الاستغناء في الوجود
عن غيره وكذا القول بقدم المكان محال وكذا قد قامت
الدلائل القاطعة على استحالة كون صانع العالم جوهرا
اذ الموجود في الشاهد قسمان اعيان واعراض لا يقوم بذواتها
ويستحيل بقاؤها وقد ثبت بالدلائل القاطعة ان صانع العالم
ليس بعرض واما الاعيان فينقسم قسمين الى متركب وهو
الجسم وغير متركب وهو الجوهر وهو الذي يسمى جزءا لا يتجزى
فتاملنا فوجدنا اتصافه بكونه جوهرا محالا ممتنعا
وزعمت النصارى بانه تعالى جوهر ولم يساعدهم احد من
اهل القبلة الا ما ذكر ابن الاسفرايني في كتابه المسمى بتعجيز
المعتزلة ان ابن كرام ذكر في كتابه الملقب بعذاب القبر في
وصف الله تعالى انه احدي الذات احدي الجوهر قال
سيف الحق في كتاب تبصرة الادلة هذا من ابن كرام خروج
عن اجماع المسلمين والتحاق بالنصارى وشبهة النصارى

في ذلك ان الجوهر في الشاهد كان جوهرا لانه قائم بالذات
قالوا لان الله تعالى موجود والموجود اما ان يكون عرضا واما
ان يكون جوهرا والله تعالى ليس بعرض فيكون جوهرا اذ لو لم
يكن جوهرا مع انه ليس بعرض لما كان موجودا لان الموجود
ينقسم الى قسمين عين متركب وغير متركب وعرض فلو خرج
الباري عن القسمين جميعا لما كان موجودا قالوا ولانه
تعالى فاعل وما يجوز منه الفعل في الشاهد فهو جوهر
وحجة اهل الحق ان الجوهر في اللغة عبارة عن الاصل يقال لمن
اشتهر بالاحسان من ابناء الشرف والسيادة فلان يجري
في الاحسان على شاكلة جوهره الشريف ويقال للثوب
اذا كان محكم الصنعة جيد الاصل انه ثوب جوهري
وعلى هذا سموا ما لا يتجزى من اجزاء الجسم جوهرا لما يتركب بلغ
منها المتركبات وتجري تلك الاجزاء مجرى الاصول لها فيكون
كل فرد اصلا في المركبات لاستحالة المتركبات بدون الافراد
التي تركبت هي منها والله تعالى يستحيل تركبه الى غيره ليصير

جسما فلم يكن اصلا يتركب منه الجسم فلم يكن جوهرا ثم يقال
لهم اليس كل جوهر في الشاهد قابل للعرض فهو جوهر
افتجعلون كونه قابلا للعرض حدا له لدورانه معه وجودا
وعدما فان قالوا نعم تركوا اصلهم فانهم يقولون انه تعالى ليس
بقابل للاعراض وان قالوا لا ابطلوا دليلهم وقولهم ان الموجود
في الشاهد اما ان يكون عرضا واما جوهرا والله تعالى موجود
وليس بعرض فيكون جوهرا هذا كلام باطل لان الجوهر في الشاهد
ما كان جوهرا لانه ليس بعرض بل كان جوهرا لانه اصل يتركب
منه الجسم والله تعالى يستحيل عليه ان يكون اصلا يتركب منه
الجسم وليس من ضرورة كونه موجودا كونه جوهرا لان العرض
موجود وليس بجوهر وقولهم ان الله تعالى فاعل وكل فاعل في
الشاهد جوهر قلنا وكل فاعل في الشاهد جسم فانا ما رأينا
جوهرا غير متركب يفعل فعلا فان التزموا جعلوا الله جسما
وهو خلاف مذهبهم وان لم يلتزموا ابطلوا دليلهم ثم ان
هولاء الجهال يزعمون ان الله تعالى جوهر واحد ثلثة اقانيم

وكل ما هو قابل للعرض

والأقنوم الصفة عندهم فيكون معناه انه جوهر واحد
ثلث صفات ويفسرون ذلك انه ذات وعلم وحيوة ويسمون
الذات ابا والعلم ابنا والحيوة روحا ويقولون بلسانهم
السورية ابا وابنا وروحا قدسا يعنون به الاب والابن
وروح القدس وهذه جهالة متناقضة حيث يجعلون
الواحد ثلثة والثلثة واحدا وكذا يجعلون الذات صفة
ويعدونه في الصفات وكذا يجعلون الذات ابا والصفة
ابنا لله وكذا يجعلون الاب والابن قديمين ولا بد من تقدم
الاب على الابن وتاخر الابن عنه ولو جاز هذا مع ارتفاع التقدم والتاخر
لجاز على القلب فيحصل الذات ابنا والعلم ابا وكذا يقتصرون
على هاتين الصفتين مع الذات وهو جهل اذ لا بد من اثبات
صفة البقا والسمع والبصر والقدرة والارادة اذ البقا معنى
ورا الذات والسمع والبصر معنيان ورا العلم والقدرة والارادة
معنيان ورا الحيوة قال الشيخ الامام العالم نجم
الملة والدين ايده الله فالنصارى وقعت في هذه الجهالات

المتناقضة لعدولهم عن ايات الوحدانية والالوهية وتركهم اتباع
البراهين والحجج بهواهم وتكذيبهم من قامت المعجزات القاهرات
على يديه وهو محمد الرسول النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل
وهو بشارة عيسى برسول ياتي من بعده اسمه احمد ولذلك
دعوا الى المباهلة بقوله تعالى قل تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا
ونساكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
فامتنعوا عن المباهلة ودخلوا تحت قبول الجزية لعلمهم بان
من باهل نبيا مرسلا يصطلم وقصة المباهلة مشهورة نطق
بها الكتاب وهي اية من ايات رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه
وانما ذكرنا هذا ليعلم الموحد عظيم نعمة التوحيد فيواظب ابدا
على اتباع حججه واما ابطال قول المجسمة فاذ قد ثبت بالادلة
القاطعة ان صانع العالم ليس بعرض ولا جوهر فتاملنا وقد دلت
البراهين القاطعة على انه تعالى ليس بجسم ويستحيل ايضا كونه جسما
ولا يجوز لا من حيث الاسم ولا من حيث المعنى وذلك لان المؤتلف
من جوهرين او ما له ابعاد ثلثة وهي الطول والعرض والعمق

هو الجسم وكل ذلك يستحيل على الله تعالى وقد خاض في ذلك
طوايف كثيرة من اليهود والمشبهة والغلاة والكرامية وتعلقوا
في ذلك بظواهر المتشابهات المذكورة في الكتاب والاحاديث
واما اهل الحق فانهم يقولون ان القول بان الله تعالى جسم موتلف
متبعض متجزي يخالف للآيات المحكمات التي ذكرناها في غير موضع
في فصل اثبات صانع العالم وفي فصل الوحدانية وفي فصل اثبات
الصفات ويخالف ايضا الحجج العقول التي احتج بها ابرهيم
عليه السلام على قومه وسماها الله تعالى حجته ثم من حجج
العقول ان القول بانه جسم متبعض يودي الى القول بقدم
العالم او الى القول بحدوث الباري تعالى او الى القول بعدم
الصانع للعالم ويودي الى ابطال دليل التوحيد اما الاول وهو
ان القول بانه جسم موتلف متجزي يودي الى القول بقدم العالم او حدث
الصانع وتقرير ذلك من وجهين احدهما انه تعالى لو كان
جسما موتلفا ذا ابعاض واجزا كما زعمت اليهود والكرامية
المجسمة لكان متناهيا وذلك باطل ولا وجه الى القول بعدم

التناهي مع القول بانه جسم متجزي لان كل جز منه متناهي وخروج
ما اجتمع من الاجزا المتناهية عن التناهي في الذات محال
ولو جاز مع ذلك ان لا يكون متناهيا لجاز كون العالم غير
متناهي من جميع الجهات كما زعمت الدهرية وذلك محال باطل
فصاروا بقولهم انه جسم قايلين بتناهيه فيثبت كونه على قدر
مخصوص مع كون غيره من الاقدار مساويا له في الكون عليه
واختصاص احد الجايزين لن يثبت الا بمخصص وبهذا استدل
اهل الحق على ابطال قول الدهرية لاثبات حدوث العالم
والتقرير الثاني ان ما كان متبعضا متجزيا لابد من ان يكون
على شكل من الاشكال فيكون طويلا او عريضا او طويلا عريضا
وهو المسطح او طويلا عريضا عميقا وهو المكعب او غير ذلك
من الاشكال ثم الكون على جميع الاشكال محال لما فيها من التنافي
والتضاد ولو جاز ذا في الغايب مع امتناعه في الشاهد لجاز
في الغايب اجتماع الحركة والسكون والسواد والبياض
والاجتماع والافتراق وحيث بطل هذا بطل الاول فلم يبق

الا انه على شكل من هذه الاشكال وهيئة من الهيئات ثم بعد ذلك
اما ان يقولوا اختص بالثبوت بشكل من الاشكال لا بتخصيص
مخصص فلو جاز ذا لجاز في العالم ولم يثبت حدوثه مع قيام
دلائل الحدوث وبطل دليل افتقاره الى صانع اوجده وهو
مذهب الدهرية وقد اقمنا الدلائل القاطعة على ابطال ذلك
وخصمنا في المسألة ساعدونا على ذلك واما ان يقال بانه اختص
بذلك بتخصيص مخصص فيكون قبل تكونه محدثا محلا لقبول
قدرة الغير وهو محال اذ المحدث لا يكون الها لما مر من بطلان
ذلك بالبراهين العقلية والدلائل السمعية التي قامت لثبوت
الصانع القديم الواحد المتعالي عن الاشباه والامثال
والاشكال بحيث لا يقع لمحة عين ولا لحظة بصر على شيء في
العالم الا وهو يدل على وحدانية الصانع وقدمه وكمال
صفاته وتعاليه عن معاني خلقه فثبت ان القول بكون
الباري جسما يؤدي الى القول بقدم العالم وتعطيل الصانع
او الى القول بحدوث الصانع وذلك محال وكل قول يؤدي

الى المحال فهو محال واما الجواب عن تعلقهم بمتشابهات الكتاب
من نحو قوله تعالى خلقت بيدي وقوله ولتصنع على عيني وقوله
الرحمن على العرش استوى وقوله اامنتم من في السماء وعن تعلقهم
بمتشابهات الاخبار المروية من نحو ما روي ان الصدقة
لتقع في كف الرحمن فيربيها كما يربي احدكم فلوه وما روي ان
الجبار يضع قدمه في النار فقال اهل الحق ان هذه الالفاظ
الواردة في الكتاب التي توهم ظواهرها التشبيه وكون الباري
تعالى جسما متبعضا متجزيا كلها محتملة لمعاني وراء ظواهرها والحجج
المعقولة التي بيناها غير محتملة والعقول من اسباب المعارف
وقد احتج بها ابو الانبيا ابرهيم صلوات الله عليه على قومه لابطال
الوهية ما سوى الله تعالى بامارات الحدث من الافول والتغير
والانتقال للذات من مكان الى مكان وهو قوله تعالى خبرا عنه
في افول الكوكب فلما افل قال لا احب الافلين تبرا من الوهية من ينتقل
بالذات من مكان الى مكان وفي افول القمر قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين وفي افول الشمس قال يا قوم اني بري

مما يشركون جعل وصف الرب بالانتقال بالذات من مكان الى مكان
ضلالا وشركا واخبر تعالى انه قال لقومه اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون فابطل الوهية ما يقع عليه الصنع
ويكون على هيئة وشكل وقد سمى الله تعالى حجة العقل التي احتج
بها على قومه حجته بقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه في حمل المتشابهات على ظواهرها على ما توهمت المجسمة
والمشبهة اثبات المناقضة بين الكتاب وبين الدلايل المعقولة
وهي كلها حجج الله تعالى وتعالى الله عن تناقض حججه اذ من ناقضت
حججه فهو سفيه جاهل بمآخذ الحجج ومقاديرها والله تعالى
حكيم لا يجوز عليه السفه عالم لا يجوز عليه الجهل قديم لا
يجوز عليه وصف الحدث ولو حملت المتشابهات على ما يوافق
حجج العقول كان فيه اثبات الموافقة بين حجج الله تعالى السمعية
والعقلية وذلك عمل ما تقتضيه الحكمة البالغة فكان حمل تلك
الدلايل السمعية على ظواهرها محالا ممتنعا وكذى في حمل
المتشابهات على ظواهرها اثبات المناقضة بينها وبين الايات

المحكمات التي وصف الله تعالى بها نفسه بالتعالي عن مماثلة
العالم واثبت لنفسه بها الوحدانية والربوبية فمنها قوله
تعالى مخاطبا لرسوله ولكل عاقل من خلقه قل هو الله احد
نفى به عن ذاته العدد والتجزي وبقوله الله الصمد نفى
عن ذاته معاني الخلق وبقوله لم يلد نفى عن ذاته مشابهة
الاجسام واشكالها اذ من يلد يكون جسما وبقوله ولم يولد
نفى عن نفسه مشاكلة الخلق اذ الولد يكون على شكل الوالد
وبقوله ولم يكن له كفوا احد نفى عن نفسه مساواة شي
من الاشيا اياه وهو كقوله ليس كمثله شي فثبت قطعا ان ارادة
الجوارح والاعضا والتناهي والجسمية مستحيلة عليه ومن
المحكمات قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين اثبت لنفسه
الاستغنا عن العالمين فدخل تحت هذا النص المحكم العرش
وما دونها ومنها قوله تعالى سبحان الله عما يشركون فانتفى عنه
بهذا النص مشاركة الغير اياه في التخليق وفي الصفة وفي
استحقاق العبادة فلا يشاركه شي في ذات ولا صفة ولا في

شيء ما ومنها قوله تعالى سبحان الله عما يصفون ومنها قوله تعالى
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نفى عن نفسه مماثلة العالم
ومشابهتهم على المبالغة والتصريح فانه ذكره على نسق ذكر اقسام
العالم فذكر الوهيته وربوبيته بقوله تعالى ذلكم الله ربكم
ثم ذكر قهره وسلطانه وقدرته بقوله فاطر السموات والارض
فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات وما فيها وما فوقها
من جميع المخلوقات ودخل تحت قهره وسلطانه بذكر الارض
الارض وما فيها وما تحتها ثم ذكر المقصود من العالم وهم
البشر الذين سخر لهم ما في السموات وما في الارض فقال تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا وهم المشتملون على الازواج
والاصناف والاشكال ثم ذكر ما جعل لمنافعهم بقوله وجعل
لكم من الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ثم ذكر عقيب ذكر اقسام
العالم تعاليه عن مماثلة شيء من اقسام العالم اياه على المبالغة
فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فمن حمل تلك
المتشابهات على ظواهرها التي توهم التشبيه والجوارح والاعضاء

والجسمية التي نفتها هذه المحكمات فقد اثبت المناقضة والمخالفة
بين ايات الكتاب وذلك منه نسبة السفه والجهل الى منزلها
حيث جعل حجج الله تعالى متناقضة مختلفة وذلك كفر
وفيه ايضا نسبة الخطا والخلف الى الله تعالى وهو ايضا
كفر لانه نفى الاختلاف عن كتابه وكل ذلك وقع فيه المجسم
بهواه وخلافه اتباع الحجج والبراهين وتركه الايتمار بامر الله
تعالى الذي امر به لانه ما يتبرا من الاختلاف من حيث
الظاهر وهو قوله تعالى افلا يتدبرون القران ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال كتاب مبارك
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وانما يدرك الاختلاف
عنه بالتدبر والتذكر نظر اولي الالباب فاطبق اهل الحق
سلفهم وخلفهم على نفي التشبيه والتجسيم والتبعيض والحدود
والاعضاء والاستقرار في مكان والانتقال بالذات من
مكان الى مكان اتباعا للبراهين الساطعة والحجج السمعية
القاطعة وعلموا قطعا ان ما توهمت اليهود والمجسمة والمشبهة

من الاوصاف المذكورة منفية عن الله تعالى وانها ليست
مرادة بظواهر تلك المتشابهات وان لها معاني وراء ظواهرها
لايقة بتوحيد الله تعالى وصفاته ثم لعلماء اهل السنة والجماعة
في المتشابهات طريقان فطريق عامتهم الامساك عن التاويل والاعتقاد
بمراد الله تعالى مع نفي التشبيه والتجسيم روى ذلك عن محمد
بن الحسن رحمه الله رواه عنه نصر بن يحيى البلخي عن عمر
بن اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة رحمه الله قال سيف الحق
ابو المعين واليه ذهب من اصحابنا ابو عصمة سعد بن معاذ
المروزي واليه ذهب مالك بن انس امام اهل المدينة وعبد الله
بن المبارك وابو معاذ خالد بن سليمان صاحب سفيان الثوري
وجماعة اهل الحديث كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ومحمد
بن اسمعيل البخاري وابي داود السجستاني وذكر القاضي ابو
العلا صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد فقال روى عن
ابي يوسف عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان ينطق في الله
تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف نفسه ولا يقول فيه

برايه شيئا تبارك الله رب العالمين قال ابو العلا وروى عن
ابي مطيع البلخي قال قال ابو حنيفة لا يوصف الله تعالى بصفة
المخلوقين البتة بل يوصف كما وصف نفسه احد صمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد حي قادر سميع بصير عليم
يد الله فوق ايديهم ليست كايدي خلقه وليست بجارحة
وهو خالق الايدي ووجهه ليس كوجوه خلقه وهو
خالق الوجوه ونفسه ليست كانفس خلقه وهو خالق
النفوس ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وروى حماد بن
ابي حنيفة عن ابيه ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال ما الامر
الا ما جاء به القرآن ودعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عليه اصحابه رضي الله عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى
ذلك فمبتدع محدث واما المتشابهات الخبرية فما صح وروده
بالتواتر والتسبيل فيها ما مر ذكره في متشابهات الكتاب
نؤمن بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مع نفي ما توهمت
المجسمة من ظواهرها ونعلم قطعا ان رسول الله صلى الله عليه

وروي عن ابي مطيع البلخي قال قال ابو حنيفة صح

لا يصف الله تعالى بخلاف ما وصف الله تعالى نفسه بالمحكمات
التي مر ذكرها وبعض العلما اشتغلوا بصرف متشابهات
الكتاب والاخبار الى ما يحتمل من الوجوه التي لا تناقض دلايل
التوحيد والايات المحكمات وذكر سيف الحق ابو المعين في
تعلقهم بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وبقوله اامنتم
من في السما وبقوله ان ربك لبالمرصاد وفي اية اخرى ما يكون
من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فقال ائمة الهدى رحمهم الله
لا وجه على اجرائها على ظواهرها فانه لا وجه الى القول
بانه تعالى على العرش وانه في السما وانه بالمشرق عند المتناجين
بهذا النص وبالمغرب والروم والهند والزنج والعراق بل في
كل بلدة وقرية في حالة واحدة في هذه الامكنة بالذات
على ما توهمت المجسمة انه على العرش مستقر فيكون مستقرا
على العرش بالذات حملا على ظاهر اللفظ وانه في السما بذاته
على ظاهر قوله اامنتم من في السما اذ السما تحت العرش وسما
الدنيا تحت العرش وتحت سماوات ولا يمكن الاجرا على ظاهر

قوله انه بكل شي محيط ان يكون محيطا بكل شي من جوانبه الاربعة
كاحاطة الحقة لما في الحمل على الظواهر من الاستحالة في
القول بالحركة والحلول ومن الكون تحت العرش وتحت السموات
ومن الانتقال بالذات وقد ابطل ابرهيم الوهبية من ينتقل
بالذات من مكان الى مكان ومن استحالة كون شي واحد
في امكنة كثيرة بالذات وليس من يجري بعض هذه الايات
على الظاهر ويصرف ما وراها الى ما عنده من التاويل
باولى من صاحبه الذي يرى في تعيين المكان خلاف رايه
خصوصا على مذهب من يمنع من التاويل والصرف عن
الظاهر فان نحا على الامكنة مع منع المحكمات والبراهين
القطعيات من الحلول بالمكان صار تاركا قوله اامنتم من
في السما وغيره من النصوص المذكورة فيكون تاركا للعمل
بظواهر المتشابهات ومخالفا معاندا للايات المحكمات
التي تعبد الله تعالى الخلق بها عملا واعتقادا ومعاندا
للحجج العقلية التي احتج بها ابرهيم على قومه وسماها حجته

ولذلك وقعت المجسمة في هذه المناقضات المتفاحشة التي تقدم ذكرها فاذا ظهرت صحة ما ادعى اهل الحق من تعذر حمل المتشابهات على ظواهرها وظهر وجوب صرفها الى موافقة المحكمات وبالله التوفيق والعصمة ثم السلف في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى يقولون انه تعالى استوى على العرش كما قال ولا ندعي في استوائه علما كما ادعت اليهود والمجسمة من الاستقرار والجلوس والحلول والحركة والانتقال بالذات من مكان الى مكان وكذا في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده قال سيف الحق وما يروى عن السلف من الفاظ يوهم ظاهرها اثبات الجهة والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن اجرائها على ظواهرها والايمان بتنزيلها وتلاوة كل اية على ما ذكرنا عنهم وبين السلف الاختلاف في الالفاظ التي يطلقون فيها كل ذلك اختلاف منهم في العبارة مع اتفاقهم جميعا في المعنى انه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيز

بجهة ومن اشتغل منهم بتاويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اراد به ثبوت الوهيته في السماء لا ثبوت ذاته وهكذا هذا في قوله وهو الله في السموات وفي الارض اي الوهيته فيهما لا ذاته وكذا في قوله أامنتم من في السماء اي أامنتم من في السماء الوهيته الا ان الالوهية اضمرت بدلالة ما سبق من الايات وقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم اي يعلم ذلك ولا يخفى عليه شيء وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي بالسلطان والقدرة وكذا القول بانه فوق كل شيء اي بالقهر على ما قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وقالوا في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح ان الله تعالى جعل ديوان اعمال العباد في السماء والحفظة من الملائكة فيها فيكون ما رفع هناك رفعا اليه وهذا كما في قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقوله وانتم حينئذ تنظرون قالوا ملك الموت واعوانه والمجسمة

لا يمكنهم ان يقولوا انه بالذات عند كل محتضر ولا ان يقولوا
انه بالذات في السما لما يلزمهم القول بجعله تحت العرش
وتحت عدد من السماوات فوقعوا بهواهم في مثل هذه المناقضات
الفاحشة فيكون معنى قوله اليه يصعد الكلم الطيب كما في
قوله تعالى خبرا عن ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع
الذي امرني ربي ان اذهب اليه وقالوا في قوله ان الذين عند
ربك يعني الملائكة ان المراد منه قرب المنزلة لا قرب المكان
كما قال في موسى وكان عند الله وجيها وقال تعالى واذكر
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
قال المفسرون وايمة الهدى اي اولوا القوة في الدين والبصارة
في الامر ولم يفهم احد من السلف والخلف منه الايدي
الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالابصار الجارحة
والايدي الجارحة وكيف فهمت المشبهة من قوله خلقت
بيدي اليدين الجارحتين ومن قوله ولتصنع على عيني العين
الجارحة ومن الخبر المروي ان الصدقة تقع في كف الرحمن

مع قول الله تعالى ليس كمثله شي وقوله ولم يكن له كفوا احد
وقوله سبحان الله عما يصفون وقوله ان الله لغني عن العالمين
فما فهموا من تلك المتشابهات اثبات الجسم والجوارح والصورة
الا لخبث عقيدتهم وسوء سريرتهم وبالله العصمة من الخذلان
واما قول المجسمة الموجودين القائمين بالذات كل واحد ٣٠
منهما بجهة من صاحبه فيقال لهم الموجودان القائمان
بالذات كل واحد منهما في الشاهد يجوز ان يكون فوق صاحبه
والاخر تحته اتجوزون هذا في الغائب فان قالوا نعم تركوا
مذهبهم فانهم لا يجوزون ان يكون الباري تحت العالم وان
قالوا لا ابطلوا دليلهم فان قالوا ان جهة تحت جهة ذم
ونقص قيل لهم فاذا ابيتم التفرقة بين الشاهد والغائب
عند وجود دليل التفرقة وهو استحالة النقيصة على
الغائب فكذا فيما نحن فيه وجد دليل التفرقة وهو ايجاب
الحدوث وهو ممتنع على الغائب ثم قولهم ان جهة تحت
ذم ونقيصة غير مسلم في الشاهد فانه لا رفعة في علو

المكان اذ كم من حارس فوق السطح والسلطان في البيت وكم
من طليعة وسقاط الرعية على قلة الجبل والسلطان فيما
انهبط منه ثم يقال لهم كل قايم بالذات في الشاهد جوهر
وكل جوهر قايم بالذات افتستدلون بذلك على ان الغايب
جوهر فان قالوا نعم تركوا مذهبهم والتحقوا بالنصارى وان
قالوا لا نقضوا دليلهم ثم انما تجب التعدية الى الغايب
اذا تعلق احد الامرين بالاخر تعلق العلة بالمعلول كما في
العلم والعالم والحركة والمتحرك ثم لا يقتصر على مجرد
الوجود بل بشرط ان تستحيل اضافته الى غيره الا ترى ان
العالم كما لا ينفك عن العلم والعلم عن العالم يستحيل
اضافة كونه عالما الى شي ورا العلم فعلم انه كان عالما
لان له علما فوجبت التعدية الى الغايب والجوهرية
مع القيام بالذات وان كانا لا ينفكان في الشاهد
ولكن لما لم يكن جوهرا لقيامه بالذات بل لكونه اصلا تركب
منه الجسم لم تجز تعدية كون الموجود جوهرا تعدى

كونه قايما بالذات الى الغايب ولا تعدية كون الموجود جسما
تتعدى كونه قايما بالذات الى الغايب واذا كان كذلك لم يكن
وجود كل واحد منهما بجهة من صاحبه في الشاهد علة
للوجود اذ لو كان علة للوجود لكان الموجود القايم بالذات
بالجهة وان لم يكن معه غيره ولكان الباري في الازل بجهة
لانه كان موجودا قايما بالذات وهذا محال فان الباري قديم
لم يزل ولم تكن الجهات موجودة في الازل ولان الجهة لا تثبت الا
باعتبار غير الا ترى ان الجهات كلها محصورة على الست وهي
فوق وتحت وخلف وقدام وعن يمين وعن يسار وكل جهة
منها لن يتصور ثبوتها الا بمقابلة غيرها والكل يتركب
من الفرد فكان كل فرد من الجهات لن يتصور الا بين اثنين
فكان تعليق الجهة بالوجود والقيام بالذات جهلا بالحقايق
مع ان كل واحد من الموجودين تثبت باعتبار نفسه دون
غيره والجهة لا تثبت الا باعتبار الغير   واما قول
الخصوم ان نفي المذكور عن الجهات قول بعدمه لان ما لا

قول الخصوم

جهة له لا يتصور وجوده والجواب ان هذا قول صدر عن
الجهل بمعرفة القديم والمحدث فانهم شاعدوا اهل الحق
في عدم الجهات في الازل وفي ازليته القديم ولا جهة فمن اين
هذا التجاهل ان ما لا جهة له لا يتصور وجوده نعوذ بالله
من الخذلان واجاب بعضهم فقالوا ان النفي عن الجهات كلها
انما يوجب عدم من كان محدودا منحصرا في الجهات فاما
من كان موجودا ابديا لم يزل ولا جهة فلا ينصرف اليه
النفي وهذا معنى قول فقهاء الملة فان ربنا جل وعلا موصوف
بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه
احد من البرية تعالى الله عن الحدود والغايات الى قولهم
لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ولان من لم يرض
عقله في التفكر والتدبر والنظر في الدلائل يظن ان صانعه
بجهة منه لما لا يعرف ان التحيز بجهة من امارات الحدث
وانها منفية عن القديم ولما يرى ان صفا الاجرام العلوية
وتشرق الاجسام النيرة في الحس يظن جهلا انه تعالى

لا بد من كونه بتلك الجهة وباهمال النظر في الدلائل الدالة على
الحدث والقدم عبد قوم من الكفرة الاجرام النيرة من الشمس
والقمر والكواكب وبالنظر والتامل في الدلائل الحدث ودلائل
القدم تبرا ابرهيم صلوات الله عليه من الوهية من يافل ويتنقل
بالذات على ما اخبر الله تعالى في كتابه وسمى ذلك حجته ثم قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما
العارفون بالفرق بين الجائز والممتنع فهم يبنون الامر على الدلائل
دون الوهم وقد قام عندهم الدليل القاطع بان الجهات محدثة
وان صانع العالم قديم لم يزل وان الجهات صفات للعالم وهي
محجوبة عليه وتعالى القديم الحكيم عن ان يكون مخصوصا
بشيء وقد تعلقوا ايضا برفع الايدي الى السما عند المناجاة
والدعا وهذا تعلق باطل لما ليس في ذلك دليل كونه تعالى في تلك
الجهة هذا كما انهم امروا بالتوجه في الصلوة الى الكعبة وليس هو
في الكعبة وامروا برمي ابصارهم الى المواضع سجودهم حالة
القيام في الصلوة بعد نزول قوله تعالى قد افلح المومنون

الذين هم في صلوتهم خاشعون بعد ما كانوا يصلون شاخصة
ابصارهم نحو السما ولم يدل لما امروا برمي ابصارهم الى مواضع سجودهم
انه في الارض وكذي حالة السجود امروا بوضع الوجوه على الارض
وليس هو تحت الارض وقد امر الله تعالى بالسجود والاقتراب
وورد الخبر اقرب ما يكون العبد من الله تعالى اذا كان ساجدا
ولم يدل ذلك على قرب الذات ولا على كونه تعالى تحت الارض
فكذا هذا بل هو تعبد وكذي المتحري يصلي الى المشرق واليمن
والشام وليس هو تعالى في هذه الجهات بل هو تعبد وقيل ان
العرش جعل قبلة للقلوب عند الدعا كما جعلت الكعبة قبلة ان العرش جعل قبلة عند الدعا كما
للوجوه في حالة الصلوة وتعلقت المجسمة ايضا بلفظة
الانزال والتنزيل والجواب عن ذلك ان ذلك منصرف الى الاتي
بالقران وهو جبريل صلوات الله عليه كان ينزل من جهة العلو
لما ان مقامه كان بتلك الجهة واما القران فلا يوصف بالانتقال
من مكان الى مكان وانما مجيئه ظهوره وتعلق المجسمة بانهم
لم تجدوا في الشاهد حيا قادرا عالما فاعلا الا جسما فيوصف

بانه جسم باطل فيقال لهم انكم لم تجدوا في الشاهد حيا
قادرا عالما فاعلا الا ما هو لحم ودم متناهي من الجهات
الست محل قابل للافات افتشترطون هذا في الغائب فان
قالوا نعم فقد انسلخوا من الدين وان قالوا لا ابطلوا دليلهم
ولان استدلالهم بالشاهد ههنا دعوى بلا برهان لان
كون الموجود جسما في الشاهد لو كان متعلقا بكونه حيا
قادرا فاعلا تعلق العلل بالاحكام لما احتمل الانفكاك
بينهما اذ لا انفكاك بين العلل العقلية وبين احكامها
كما في الحركة مع كون محلها متحركا والسواد مع كون محله اسود
والعلم مع كون محله عالما اذ لا حركة الا بمتحرك ولا
سواد الا باسود ولا علم الا بعالم وحيث راينا اجساما
ليست بحية ولا قادرة ولا عالمة ولا فاعلة وهي الجمادات
علم ان كونه جسما لم يتعلق بكونه حيا قادرا عالما فاعلا
تعلق العلل بالاحكام فلم يبق الا مجرد الوجود فيبطل تعديته
بمجرد الوجود وهكذي شان الباطل يتعلق اهله بشبهات

ثلاثي ونضمحل عند السبر والتامل فثبت بالادلة القاطعة
ان الله تعالى ليس بعرض ولا جوهر ولا جسم وانه لا مشابهة
بينه وبين شي من المحدثات ثم الكلام في معرفة حد المتشابهة
قالت الاشعرية ان المتشابهين والمثلين هما غيران يسد كل
واحد منهما مسد صاحبه ودليل تقييد الحد بالمغايرة
ان الشي لا يشبه نفسه ولا يماثله فدل ان ذلك بين المتغايرين
وانما قالوا يسد كل واحد مسد صاحبه لان ما لا يسد
مسد صاحبه لا يعد مثلا له وان كانت بينهما موافقة
في اوصاف كثيرة كالسواد مع البياض فانهما ليسا مثلين
وان كان كل واحد منهما موجودا وعرضا ولونا فدل
انه لا مماثلة بينهما مع ثبوت المخالفة بوجه من الوجوه
وقال ابو هاشم وابو بكر بن الاخشيد من المعتزلة ان
المتشابهين هما المشتركان في اخص وصف فقالا لا مماثلة
بين السواد مع البياض مع اشتراكهما في الوجود وفي كونهما
عرضين ولونين لما ان هذه اوصاف عامة وبين السوادين

مماثلة لاشتراكهما في اخص اوصافهما وابو العباس احمد بن
ابرهيم القلانسي الرازي من متكلمي اهل الحديث يقول
ان المحدثين يشتبهان في الحدوث من حيث هما محدثان
وان اختلفا بعد ذلك في اوصاف سوى الحدوث والشيخ
ابو منصور رحمه الله يميل الى هذا في خلال كلامه وذهب
كثير من المتفلسفة الى ان التشابه يقع بالاشتراك في
اوصاف الاثبات دون السلب فزعموا انه لا يطلق على
الباري تعالى من الاسما والصفات الا ما طريقه السلب
دون الايجاب فزعموا انه لا يقال انه موجود بل يقال
انه ليس بمعدوم ولا يقال انه حي عالم قادر ولكن يقال
ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز قال سيف الحق ابو المعين
في اصوله وساعدهم على هذا الهذيان الباطنية فيقال
لهم هل للعالم صانع فان قالوا لا فقد اظهروا ما هو مكنون
سر بينهم من تعطيل الصانع ونفيه وان قالوا نعم قيل لهم
من هو وباي شي نعرفه وباي شي نصفه ومن الموصوف

بالوجود عندكم ومن الذي به يدور العالم العلوي والسفلي
ومن الذي ابدع العقل والنفس تسميتموهما المبدع الاول
والمبدع الثاني فان اجابوا بشيء هذا هو اصلهم وان سكتوا كفينا
مؤنة مجادلتهم ثم نقول لهم ان المماثلة ليست بماخوذة
عن اطلاق الاسم والقول بل هي ثابتة في المعنى وان لم يطلق
عليه قول فانا اذا رأينا شيئين مماثلين عرفنا تماثلهما وان
لم نسمع قولا يطلق عليهما واذا رأينا غير مماثلين عرفناهما
غير مماثلين وان اطلق عليهما قول واحد وهذا لان الاسامي
دلالات على حقايق المسميات واحوالها واوصافها والدليل
لا اثر له في المدلول الا بالاظهار فاما الوجود او التغير
فلا يتعلق بالدليل الا ترى انا لو رأينا بياضين فسمينا احدهما
باسم والاخر باسم لا تثبت بينهما المخالفة بمخالفة الاسم ولا تزول
المماثلة الثابتة بينهما بمخالفة الاسم ولو سمينا مختلفين
او متضادين باسم واحد لا يوجب التماثل بينهما ولا ترتفع المخالفة
الثابتة ليصيرا متماثلين من جميع الوجوه ثم يقال لهم هل بين

من ينسبون اليه ثبوت العالم وبين العالم مماثلة في المعنى فان
قالوا نعم اثبتوا التشبيه في المعنى بعد ما امتنعوا في الاسم
وان قالوا لا قلنا قد ساعدتم خصومكم ثم نقول لهم ان
الموجود منا موجد والعالم منا مستدل او مضطر (مضطر)
والله تعالى موجود بلا موجد وعالم ليس بمستدل ولا
فان قولنا انه موجود لا يتعرض لكونه موجدا ولا قولنا عالم
يتعرض لكونه مستدلا ولا مضطرا فلا يقع المماثلة لانعدام
ما به يقع المماثلة فدل ان ما ذهبوا اليه باطل ثم مع هذا
يلحق بالاسم المشترك ما يوجب نفي ما يسبق الى توهم المماثلة
وان لم يكن اللفظ متعرضا لذلك صيانة منا الاوهام من لا ادنة
له بالحقايق فنقول هو موجود لا كالموجودين حي لا كالاحياء
عالم لا كالعلماء وكذا في جميع الصفات وابو حنيفة قدس الله
روحه هو السابق الى هذه النصيحة لعامة الخلق ثم اتبعه علماء
الاصول على ذلك قال سيف الحق ابو المعين ثم اعلم بانا لا نقول
ما تقوله الاشعرية ان لا مماثلة الا بالمساواة من جميع الوجوه

بل نقول يجوز ان يكون الشي مماثلا للشي من وجه مخالفا
من وجه فانا نجد اهل اللغة لا يمتنعون من القول بان
زيدا مثل لعمرو في الفقه او في الطب اذا كان يساويه فيه
ويسد مسده في ذلك الباب وان كانت بينهما مخالفة بوجوه
كثيرة وكذا في الطول والقصر والشجاعة والجبن وغير
ذلك وكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الحنطة بالحنطة
مثل بمثل واراد به الاستوا في الكيل دون الوزن وعدد
الحبات والصلابة والرخاوة واشباه ذلك بتحقيقه ان
المماثلة اسم جنس يشتمل على انواعه وانواعه اربعة الاول
المشابهة وهي جارية في الحقيقة في نوع من الكيفية
على صورة واحدة كاشتراك ذاتين في قبول الالوان وغيرها
من الاعراض والثاني المضاهاة وهي جارية في الحقيقة
في نوع من الاضافة كاشتراك زيد وعمرو في النسبة
الى خالد اذا كان اباهما والثالثة المشاكلة وهي في
الحقيقة جارية في نوع من الجوهر على بنية واحدة كثوبي

قطن وثوبي كتان كل واحد منهما من شكل صاحبه
والنوع الرابع المساواة وهي في الحقيقة جارية في نوع
من الكمية على مقدار واحد كخشبتين او ثوبين كل
واحد منهما عشرة اذرع او قصبتين من حنطة كل واحد
منهما عشرة اقفزة او درهمين من حديد كل واحد خمسة
امنا كذا ذكر سيف الحق عن بعض من له علم بالحقايق واذا
كانت المماثلة اسم جنس وتحته هذه الانواع ثم لا شك
ان اطلاق اسم الجنس على كل نوع من انواعه جايز فان
الادمي يقال له حيوان وكذا جميع انواعه من الدواب
والسباع والطيور يجوز اطلاق اسم المثل على كل هذه
الانواع بالحيوانية ثم قد يخص شيئان بثبوت المساواة
بينهما وهو الاشتراك في القدر مع انعدام المشاكلة
والمضاهاة والمشابهة وكذا كل نوع مع ساير انواعه
ولا شك ان عند انعدام الانواع الاخر تثبت المخالفة
من ذلك الوجه ومع ذلك لا يمتنع اهل اللغة عن اطلاق

اسم المماثلة بحقيقته ان علما الاصول استدلوا على المشبهة
في نفي التشبيه فقالوا لو كان الله تعالى مثلا للعالم اما ان
كان مثلا له من جميع الوجوه او كان مثلا له من وجه دون
وجه فلو كان مثلا له من جميع الوجوه كان القديم محدثا
من جميع الوجوه او كان العالم قديما من جميع الوجوه
لان العالم بجميع وجوهه محدث والقديم تعالى قديم
بجميع اسمائه وصفاته ولو كان مثلا له من وجه دون
وجه لكان القديم محدثا من ذلك الوجه او كان العالم
قديما من ذلك الوجه لان العالم من ذلك الوجه محدث
والباري قديم وهذا يبين صحة ما قلنا ان المماثلة بجهة
تثبت مع المخالفة بجهة اخرى عند ارباب الاصول
واهل اللغة وجميع العقلا وقد تقدم ذكر الحجج
السمعية الموجبة للعلم قطعا بانتفا المماثلة بين الله تعالى
وبين شي من العالم على الاستقصا والمبالغة والاصل في هذا
كله ان دلايل ثبوت الصانع ووحدانيته وقدمه قد ملات

السموات والارض وجميع اجزا العالم بايات الصنع
والتدبير حتى لا يرى شي من اجزا العالم صغر او كبر جل او دق
ظهر او استتر الا وهو يشهد بخلقته بان له صانعا واحدا
قديما قادرا عالما سميعا بصيرا مدبرا حكيما كونه واوجده
ودبره وصنعه فقلنا بثبوته وقدمه ووحدانيته وهذا
كما اخبر الله تعالى عن جواب رسله عليهم السلام حين ما شك
الكفرة حين قالت انا لفي شك مما تدعونا اليه بقوله قالت لهم رسلهم
افي الله شك فاطر السموات والارض فكما لا شك ولا ريب في وجود
السما والارض وما بينهما من الموجودات موسومة بسمات
الحدث والمصنوعية من التاليف والتركيب والتسخير فكذلك
لا شك في وجود الصانع وثبوته وكما قال انه لحق مثل ما انكم تنطقون
وكذلك قامت البراهين العقلية والحجج السمعية على استحالة ثبوت
امارات الحدث من المكان والجهة والجسمية وغيرها في حق
القديم تعالى فنفينا ذلك كله عنه لما في اثباتها اثبات حدوث
القديم او بطلان دلايل الحدث وقد قررنا الدلايل القطعية

في مواضع كثيرة ان اثبات حدوث القديم محال باطل وكذلك
بطلان دلايل الحدث محال باطل فوجب العلم قطعا ويقينا
بان الله تعالى واحد قديم حي قادر عالم سميع بصير مريد
مدبر حكيم لم يزل قديما باسمايه وصفاته ولا يزال ابدا
باقيا دايما باسمايه وصفاته وانه كان ولا مكان ولا جهة
ولا زمان وانه لم يزل غنيا بنفسه عن كل شي يكون ابد
الابدين كما اخبر بقوله ان الله لغني عن العالمين وانه موصوف
بما وصف به نفسه هو الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وانه يرى يوم القيامة في الجنة كما وعد واخبر بغير
احاطة ولا كيفية كما يعرف في دار المحنة بلا احاطة ولا
كيفية فيبطل قول منكري جواز الروية لثبوتها بالدلايل الموجبة
وكذلك يبطل قول المجسمة المشبهة في اثباتهم الحاجة
الى المكان والجهة واثباتهم التجسيم والتشبيه بالدلايل القطعية
فمعرفة الله تعالى بهدايته وتوفيقه تثبت بالبراهين الساطعة

والحجج السمعية القاطعة لا بالاوهام ولا بمجرد الافهام
بالراي اذ هما يوقعان في التعطيل تارة وفي التشبيه تارة
فان العقول وان كان يعرف بها حدث العالم وثبوت الصانع
ووحدانيته وقدمه لكنها تقصر عن الحكم البشرية فكيف
تحيط بالحكم الربوبية فان الله تعالى اثبت في نفس كل عاقل
معاني خارجة عن الوهم تخرجها عن درك الحواس ويعلم
وجودها وثبوتها على وجه لم يكن للشك فيه مدخل
لثبوت اثارها وتحقق وجودها كالعقل والروح
والسمع والبصر والشم فان ثبوت هذه الاشيا متحقق
والاوهام والعقول عن الاحاطة بماييتها قاصرة لخروجها
عن الحواس المودية صور محسوساتها الى الفكرة
لتصير حجة على كل من انكر الصانع مع ظهور الايات الدالة
على ثبوته ووجوده لخروجه عن التصور في الوهم
وليعلم ان لا مدخل للوهم في معرفة ثبوت الاشيا الغايبة
عن الحواس ومن اراد الوصول الى ذلك بالوهم ونفى ما لم يتصور

فيه مع ظهور آيات ثبوته فقد عطل الدليل القائم لانعدام
التصور في الوهم الذي لا يصلح دليلا فيصير كمن انكر وجود
البياض لانعدام دركه بالسمع بالاذن مع معاينته بالبصر
وجهاله من هذا فعله لا يخفى على الناس فكذا هذا
فيجب اتباع الدليل الثابت بالنقل سوا وصل اليه الفهم او لم يصل
ومن ذلك النقل المثبت للروية في دار الكرامة حتى روى
في غير خبر ان الزيادة المذكورة في قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة هي النظر الى الله تعالى ولا يتفهم الروية
من الزيادة المذكورة بنفس الصيغة فدل ورود الروايات
على انها هي النظر الى الله تعالى وكان امرا بين السلف
وهذا في الحاصل اسند لانه باجماع الصحابة وشيوع
القول بالروية فيهم قال سيف الحق ابو المعين وذكر الشيخ
ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في تصنيف له
سماه مسئلة في سلوك اهل العدل بين المشبهة والمعطلة
فقال اتفقت على حديث الروية عدة من اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين كلهم ايمة منهم
عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
وصهيب وانس بن مالك وابو موسى الاشعري وابو هريرة
وابو سعيد الخدري وعمار بن ياسر وجابر بن عبد الله
ومعاذ بن جبل وثوبان وعمارة بن رويبة الثقفي وحذيفة
عن ابي بكر الصديق وزيد بن ثابت وجرير بن عبد الله
وابو امامة وبريدة الاسلمي وابو برزة وعبد الله بن
الحارث بن جزء الزبيدي كلهم رووا في اثبات الروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رد هذا فقد قصد
تكذيب هولاء قال ابو المعين في كتاب تبصرة الادلة
الترتيب يقتضي اثبات جواز الروية اولا بالدلايل العقلية
ثم الثبوت بالدلايل السمعية الا انا قدمنا الدلايل السمعية
لما ان فيها الثبوت والجواز جميعا فمن اكتفى بها كان
كافيا له ولا يحتاج الى الخوض في الدلايل العقلية قال
سيف الحق ابو المعين في اصوله ومن رام الخوض في الدلايل

المعقول الذي اعتمد عليه المتأخرون من أصحابنا رحمهم الله
فهو أن العلة المطلقة للرؤية في الشاهد هي الوجود فإن
كل موجود رؤيته ممكنة جائزة ودليل ذلك أنا نرى
الجواهر والألوان والأكوان وهي الحركة والسكون
والقرب والبعد والاجتماع والافتراق وقد وافق
الجبائي من المعتزلة على رؤية هذه الأشياء ووافقه ابنه
أبو هاشم على رؤية بعض الأعراض أيضا وهي الألوان
ووافق النظام منهم على رؤية الألوان غير أنه ادعى أنها
أجسام لأن عندهم لا يرى إلا الجسم وادعاؤه أنها أجسام
ممنوع بل هي أعراض لوجود حد العرض فيها فإن الحركة
عرض بالإجماع وكانت عرضا لاستحالة قيامها بذاتها
واستحالة بقائها وهذا هو حد جميع الأعراض فبطل تعليقه
جواز الرؤية بالأجسام حيث لزمه بالدليل جواز رؤية
ما ليس بجسم ثم الدليل مع هذا على ثبوت رؤية الأعراض هو
التمييز بالبصر بين الأسود والأبيض وبين المجتمعين

والمفترقين من غير قيام السواد والبياض والاجتماع والافتراق
بآلة الرؤية وهو البصر ولم يعرف كون الجواهر مرئية إلا بالتمييز
بالبصر بين أجناسها فكانت مرئية ولو لم تكن مرئية لعرف وجود
الجوهر وكان لا يتوقف على كونه متحركا أو ساكنا أو مجتمعا
أو مفترقا كما لا يتوقف على الطعوم والروائح بمجرد الرؤية
لانعدام تعلق الرؤية بها على ما أجرى الله تعالى العادة
وإن كانت مرئية عندنا لكونها موجودة إذا خلق الله تعالى
للعبد رؤيتها والدليل على أن الجواهر مرئية موافقة جميع
المعتزلة إيانا على ذلك فيغنينا الإجماع عن إقامة البرهان
على ذلك وإذا ثبتت رؤية الجواهر والألوان والأكوان
فنقول لا بد من سبر الأوصاف لتتبين العلة المجوزة
للرؤية من الأوصاف الاتفاقية ثم نعدي تلك العلة
من الشاهد إلى الغائب إذ التعدية تكون بأوصاف العلة
لا بأوصاف الوجود اتفاقا فنقول وبالله التوفيق لا جائز
أن يكون المرئي في الشاهد مرئيا لكونه جسما لثبوت رؤية

الألوان والأكوان بالدليل وهما ليسا بجسم ولا جائز أن
يرى لكونه عرضاً لثبوت رؤية الجسم وليس هو بعرض
ولا جائز أن يرى لكونه لوناً لثبوت رؤية ما ليس بلون
وهو الجوهر والكون ولا جائز أن يرى لكونه ملوناً
أو متلوناً لثبوت رؤية الألوان والأكوان وليست هي
بمتلونة لاستحالة قيام اللون بهما ولا جائز أن يرى لكونه
قائماً بالذات أو لكونه موصوفاً لثبوت رؤية اللون والكون
وليسا بقائمين بذاتيهما ولا بموصوفين بصفة تقوم بهما
ولو علق الخصوم الرؤية بالقيام بالذات أو بالكون موصوفاً
سلمت لنا المسألة لأن أوائل أصحابنا كانوا يعلقون الرؤية
بالقيام بالذات ولا جائز أن يرى لكونه معلوماً أو مذكوراً
لأن المعدوم معلوم ومذكور وليس بمرئي ولو علقوا
الرؤية بكونه معلوماً أو بكونه مذكوراً لزمتهم المسألة
ولا جائز أن يرى لكونه محدثاً لأن من المحدثات ما تستحيل
رؤيته لأن عندنا وإياهم ما سوى الجسم من الموجودات مستحيل

الرؤية وهي محدثة ولا جائز أن يرى لكونه باقياً لأنها لو تعلقت
بالباقي ثبت ما ادعينا لأن الله تعالى باق وقد ثبتنا بالدليل
رؤية الألوان والأكوان وهي أعراض ويستحيل بقاؤها
عندنا وإذا اندفعت هذه الوجوه تبين أن جواز الرؤية كان
متعلقاً بالوجود والله تعالى موجود واجب الوجود
والرؤية إثبات الموجود فكان جائز الرؤية بالعقل ثم عرفنا
ثبوتها للمسلمين في دار الكرامة بالدلائل السمعية الموجبة
للعلم ولا يقال إن كثيراً من الموجودات لا يتعلق بها الرؤية
كالقدر والإرادات والعلوم والطعوم والروايح لأنا
نقول إن التعليل وقع لجواز الرؤية لا للوجوب وهذه
الأشياء جائزة الرؤية إذا خلق الله تعالى رؤيتها
ولم يخلق ضد رؤيتها فإن وجوب الرؤية بتخليق الله
تعالى الرؤية في آلة الرؤية فإذا خلق الرؤية للشيء يرى
ذلك وإن لم يخلق الرؤية لا يرى ولا يخرج الشيء من
أن يكون مرئياً وهذا كما أن الله تعالى لو خلق الإنسان

العلم بشيء من الأشياء علم ذلك الشيء أو لم يعلم ولو لم يخلق
له العلم بقي ذلك الشيء مجهولاً ولم يخرج من أن يكون معلوماً
يكذبني هذا فإن قالوا فعلى قود كلامكم هذا يجوز أن يكون
ههنا بحضرتنا فيلة عظام ترقص وبوقات ينفخ فيها وأعلام
منشورة وفرسان تجول ولم يخلق فينا الرؤية والسمع فلم نقف
على ذلك وركوب مثل هذا خروج عن المعقول قلنا لهم
شيء مما ذكرتم ليس بلازم فإن الرؤية لما كانت معنى في الآلة
يخلقه الله تعالى عند فتح الإنسان العين لا محالة بلا خلاف
بيننا وبين المعتزلة فإذا كان الرؤية معنى في العين يخلق
الله تعالى عرف ذلك بالإجماع والله تعالى يخلق ما يخلق
باختياره فمن الجائز أن لا يخلق الرؤية فلا نرى وإن لم يكن
بين الرائي والمرئي حجاب لانعدام الرؤية غير أن الله تعالى
يجري العادة أن يخلق ضد الرؤية عند وجود الساتر
نظراً للعباد ليمكنهم إخفاء ما لا يحبون اطلاع غيرهم عليهم
بتحصيل الساتر فيحصل ضد الرؤية في الآلة فلا يوجد فكذي

في هذه الأشياء التي ذكروها من الطعوم والروائح والقدرة
والذي يحقق هذا كله ثبوت رؤية النبي صلوات الله عليه
الملك وانعدام رؤية غيره بلا ساتر ولم يكن ذلك إلا
لخلق الله تعالى الرؤية في عين النبي صلى الله عليه وسلم
ويخلق ضد الرؤية في عين غيره وكذا المحتضر يرى ملك
الموت وأعوانه صلوات الله عليهم ومن يحضره من العواد
والممرضين لا يرون شيئاً من ذلك ثبت ذلك بأدلة سمعية
قطعية بسبب جاحدها إلى الإلحاد والخروج
عن الإسلام فدل أن ما ذهبنا إليه كلام صحيح لا يتوجه
عليه السؤال وبهذا التحقيق يعلم أن الطعوم والروائح
وغيرها من الأعراض التي لم يجر الله العادة بوجودها مرتبة
لوجود العلة المجوزة وانعدام رؤيتها ما كان لاستحالة
رؤيتها بل لخلق الله تعالى ضد رؤيتها في أبصارنا ثم ما أوردوه
من فصل استحالة كون الفيلة بحضرتنا والخيول التي تجول
والبوقات التي ينفخ فيها ونحن لا نراها ولا نسمعها فذلك

فذلك اشكال على انفسهم في رؤية الرسل صلوات الله عليهم
جبرئيل والملائكة عند تبليغ الرسالة والوحي ورؤية
المحتضر من ملك الموت واعوانه عليهم السلام وقد ثبتت
بالادلة القاطعة فان التزموا اشكالهم الذي اوردوا
ابطلوا على انفسهم الايمان بالرسالة والنبوات وان لم يلتزموه
وجب عليهم الاشتغال بحل ما جعلوه اشكالا على غيرهم
اذ هو اشكال على الكل اما نحن فقد اقمنا البراهين
العقلية الساطعة والحجج السمعية القاطعة التي تبطل
كل شبهة وتحل كل اشكال ثم بعض اصحابنا اجابوا عن
الزامهم بذلك فقالوا ان هذا وان كان من الجائزات ولكن
لما لم يجر الله تعالى العادة بخلق رؤية الفيلة والجبول
المذكورة وغير ذلك في اعيننا فلا نراها وان كانت بحضرتنا
وقع لنا الامان عند انعدام رؤيتنا اياها عن وجودها
بطريق العادة فان الله تعالى لا ينقض العادة المستمرة
الا عند بعث الرسل صلوات الله عليهم معجزة لهم وحجة
على

على قومهم او على يدي الولي في بعض الازمنة كرامة له واظهارا
لحقية دين الرسول الذي كان هو به والعلم بالمعتاد
يقين ونقضه ممتنع عادة فيقع لنا الامان من ذلك كما ان
انسانا لو اخبر ان الله تعالى حول رجال خراسان اناثا ونساءهم
ذكرانا عرفنا كذبه بيقين لانعدام العادة وان كان ذلك
ممكنا ثابتا في مقدور الله تعالى وكذا لو ان انسانا اخبر
في وسط الشتاء ان بجبال الترك اشتد الحر وهبت السموم
نعلم كذبه بيقيننا لانعدام جريان العادة بذلك وكذا
لو ان انسانا دخل بيته ثم خرج علمنا بيقيننا انه ذلك الرجل
بعينه وان كان من الممكن ان اعدم الله تعالى ذلك الرجل
وخلق آخر على شبهه وهيئته ولكن لما لم يكن ذلك معتادا
علم يقينا بانعدامه كذا ما نحن فيه والعجب من وقاحة المعتزلة
وغفلتهم انهم ينسبون اهل الحق الى التشبيه لاثباتهم الرؤية
ولم ينظروا ان الرؤية يتعلق بالمتضادات من نحو السواد والبياض
والحمرة والخضرة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق

ولا ريب انه لا مشابهة بين المتضادات وكذا يتعلق بالمختلفات
من نحو الجواهر والالوان والاكوان ولا مشابهة بين هذه
الاجناس المختلفة ولا يوجب تشبيه بعضها ببعض فكذا
يتعلق الرؤية بالقديم والمحدث ولا يوجب تشبيه المرئي
بالمرئي ثم انهم اعتمدوا على مجرد الوجود من غير تمييز بين
المعنى المجوز وبين اوصاف الوجود اتفاقا فقالوا لو وجدنا
الرؤية في الشاهد تتعلق بالاجسام وبعضهم قالوا وجدنا
الرؤية في الشاهد تتعلق بالاجسام والالوان والاكوان
وجعلوا مجرد الوجود حجة وهو مذهب المجسمة والمشبهة
حيث قالوا كل فاعل في الشاهد جسم فكذا في الغائب
هكذا زعمت اليهود وكذا زعمت النصارى انه جوهر
لكونه موجودا ليس بجسم ولا عرض ولا محيص للمعتزلة
عن الزام هؤلاء بمجرد الوجود ولا بد لهم من الرجوع الى
بيان العلة المجوزة للرؤية وليس ذلك الا بما بيناه من سبر
الاوصاف التي تكون علة او موجودة اتفاقا ثم احتجا لهم لنفي

الرؤية باسولة فاسدة تندفع كلها بمعرفة ما بيناه من الاصل
منها قولهم لا بد للمرئي ان يكون في مكان ولا بد من المسافة
بين الرائي والمرئي ولا بد من اتصال الشعاع وانطباع المرئي
في عين الرائي ولا بد من ارتفاع الحجب والسواتر وغير ذلك
من شبههم ثم كلها تبطل برؤية الله تعالى ايانا فانه تعالى
يرانا من غير مسافة ومن غير اتصال شعاع ومن غير انطباع
المرئي لتعاليه عن جميع ذلك وهذا مما لا محيص لهم عنه
وتبين بتحقيق رؤية الله تعالى ايانا ان جميع ما وجده في
الشاهد فهو من اوصاف الوجود لا من اوصاف العلة
ثم اعترضت المعتزلة على هذا الكلام بما اوجب لهم الانسلاخ
من الدين فانكر النظام والكعبي ومن وافقهما رؤية الله
تعالى للاشياء وقالوا ان الله تعالى لا يرى شيئا من الاشياء
ومعنى وصفه بانه بصير اي انه عالم بالمرئيات فنقول ان
فساد هذا مما لا يخفى لان الرؤية معنى وراء العلم فان انسانا
لو قال رايت كذا ولم اعلم به كان صحيحا ولو كانت الرؤية

في العلم لصار بنفي العلم نافيا عين ما اثبته وصار مناقضا
كما لو قال قعد ولم يجلس فبطل ما ذكروا والذي يقرر
هذا ان من راى شيئا ثم غمض عينيه والمرئي بعد بين يديه بتلك
الحالة لا محالة وانعدمت منه في هذه الحالة صفة كانت
موجودة قبل تغميض عينيه والمنعدم هي الروية لا العلم
وانعدامها مع بقاء العلم دليل انها معنى وراء العلم ثم لو
فتح عينيه بعد ذلك حصلت له صفة كانت منعدمة
في حالة التغميض فدل ان الروية معنى وراء العلم والله تعالى
يرانا لا عن جهة قال سيف الحق رحمه الله في كتابه
ولم يحصل من هذا المنع لهؤلاء الملحدين الا تكذيب الله
تعالى فيما وصف به نفسه بقوله انني معكما اسمع وارى
ونحو ذلك من النصوص وتكذيب رسله صلوات الله
عليهم بما وصفوا به ربهم من نحو جواب رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل صلوات الله عليه حين سال له
عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم

تكن تراه فانه يراك فحصل لهم من مخالفة اهل الحق في اثباتهم
الروية تكذيب مثل هذه النصوص ونسبة العمى الى
الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا اذ الحي
لا يخلو عن اتصافه بالبصر او العمى فاذا نفوا عنه البصر
وصفوه بالعمى ضرورة وهو من امارات الحدث ونفي امارة
الحدث او النقيصة اولى من نفي الروية عنه ثم ان هؤلاء
مع هذا ينسبون انفسهم الى التنزيه والتوحيد مع اثباتهم
لاخس العيوب واوضح دلالات الحدث قال الشيخ الامام
العالم نجم الملة والدين ايده الله وهذا كله شرح عقيدة
فقهاء الملة في اثبات روية الله تعالى ونفيهم عن الله
تعالى ما لا يليق بصفاته من التشبيه والتجسيم والمكان
والصورة والكيفية والجهة وبالله العصمة

ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في اثبات المعراج
فقالوا والمعراج حق وقد اسري النبي صلى الله عليه وسلم
وعرج بشخصه في اليقظة الى السماء ثم الى حيث شاء الله تعالى

من العلى واكرمه بما شا واوحى اليه ما اوحى

اما قولهم وقد اسرى النبى

صلى الله عليه وسلم فانما قالوا ذلك لان الاسرا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس
بنص الكتاب وهو قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية وكان
فى ذلك ظهور اية رسالته فانه قطع مسافة ما كانت
القوافل تقطعها فى شهرين فى ليلة واحدة وقد تواتر
النقل ان كفار مكة طالبوه بالاية على ما اخبرهم به
من الاسرا وكان لهم عير سافروا نحو بيت المقدس
فسالوه عن العير فاخبرهم خبر العير وانه راهم فى طريقه
فكان كما اخبر وروى ايضا انهم قالوا فيما بينهم انه
لم يسافر نحو بيت المقدس معنا ولم يره فهلموا نساله
عن اياته فسالوه عن ذلك وكان ليلة الاسرا لقى الملائكة

والتقى بالانبيا الذين ارسلوا قبله ببيت المقدس ولم يتثبت
اياته قال فرفع جبريل عليه السلام بيت المقدس فوضعه
بين يديه فما سالوه عن شى من اياته الا اخبرهم عنها وهو ينظر اليه

واما قولهم وعرج بشخصه

فى اليقظة الى السما ثم الى حيث شا الله تعالى من العلى
واكرمه بما شا واوحى اليه ما اوحى قال القاضى الامام
ابو حفص الغزنوى وغيره انما اثبتوا رحمهم الله المعراج
بشخصه فى اليقظة الى السما لما تواترت الاخبار بذلك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير سورة والنجم
وغير ذلك ولتجويز العقل ثبوت ذلك وكونه فان قيام
السما فى الهوا مع عظمها وسعتها وثقلها بلا علاقة من
فوق ولا عمد من تحت بقدرة الله تعالى امر مشاهد
موجب للعلم قطعا بان ذلك بقدرة ذاتية وقوة ازلية
لا تقدر بقوى الخلايق وانه لا يعجزه شى وكذلك قيام

السحاب الثقال وعليها يجوز الماء والسحاب شيء غليظ كثيف
وهو على متن الهواء وهو شيء لطيف لا يحتمل أن يكون مقرًّا
لشيء كثيف وعليه يجوز الماء وهو شيء ثقيل من شأنه وطبعه
النزول والسفل وهو أعني السحاب الثقال قائم على متن
الهواء بين السماء والأرض قد طبق وجه السماء في الطول والعرض
بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت يقف تارة ويسير
تارة فهو أمر ظاهر مشاهد محسوس دليل على أن ذلك
بقدرة ذاتية وقوة أزلية لا يعجزها شيء فعروج محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشخصه في اليقظة إلى السماوات
العلى مما يثبته العقل ويجوزه فإذا تأيد بالنقل المتواتر
عمن لا يجوز عليه الكذب وجب الإيمان بثبوته والاعتقاد
بحقيته وإنكاره إلحاد وضلال نعوذ بالله من الخذلان
ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحوض المورود فقالوا والحوض
الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق قال أبو حفص
الغزنوي وهذا أيضا مما يستجيزه العقل إذ أغاثه الله تعالى

لكافة خليقته ببحار الماء محمولا على متن الهواء في السحب الثقال
في هذه الدنيا أمر معتاد وكذا إغاثته تعالى بإنزال
الغيث عند سؤال أنبيائه صلوات الله عليهم عند مساس
الحاجة معهود معروف فكذا إغاثته في كربات الموقف
يوم القيامة لأهل معرفته عند شدة عطشهم وعظم
كربهم بحوض يردون عليه رحمة بهم وإظهارا لعظم
جاه رسولهم مما يجوزه العقل الصحيح وقد ورد به
النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن
قدر حوضي كما بين صنعاء إلى أيلة وإن آنيته كعدد نجوم
السماء وقد وردت في إثبات الحوض أخبار مشهورة يطول
ذكرها فوجب الإيمان به والاعتقاد لصحته وثبوته
ثم ذكر الطحاوي قولهم في إثبات الشفاعة فقالوا
والشفاعة التي ادخرها لهم حق وإنما قالوا بثبوتها وحقيتها
لنصوص دلت على ثبوتها من الكتاب والسنة الواضحة
أما الكتاب فنحو قوله تعالى واستغفر لهم وهذا أمر

بالشفاعة وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وصاحب
الكبيرة داخل تحت الارتضا له بالشفاعة لما معه من الايمان
والتوحيد الذي هو اعظم الطاعات المؤهلة الارتضا وروي
انه لو وضعت السماوات السبع في كفة ووضعت كلمة لا اله
الا الله في كفة لرجحت كلمة لا اله الا الله عليهن وقال
الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وفي هذا
ثبوت الشفاعة باذنه تعالى وبه نقول وقد تواترت
الاخبار في اثبات الشفاعة منها قوله صلى الله عليه وسلم
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ولا وجه الى انكارها مع هذه
الدلائل فوجب الاعتقاد بحقيتها ثم ذكر الطحاوي
قولهم في اخذ الميثاق فقالوا والميثاق الذي اخذه الله
تعالى من ادم صلوات الله عليه وذريته حق قال القاضي
ابو حفص الغزنوي اثبتوا ذلك بقوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى اثبتوا اخذ الميثاق ولم يتكلموا في كيفيته فانهم

عدوا ذلك من المتشابه واوجبوا اعتقاد حقيته لورود
الكتاب ولم يشتغلوا بكيفيته لتمكن وجوه الاحتمال
في تاويله ذكر الشيخ ابو منصور في تاويل اية اخذ الميثاق
عن بعض اهل التاويل انهم قالوا ان الله تعالى انما قال الست
بربكم عندما خلق ادم عليه السلام اخرج من يكون
من ذريته الى يوم القيامة مثل الذر فعرض عليهم قوله
الست بربكم قالوا بلى قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ثم
اختلف هؤلاء فيما بينهم فمنهم من قال انه جعلهم بالمبلغ الذي
يجري على مثلهم القلم بان جعل فيهم الحيوة والعقل والتمييز
ثم قال لهم الست بربكم فقالوا بلى وهو قول الحسن ومنهم
من قال عرض ذلك على الارواح دون الابدان وقال بعضهم
انه خلقهم صنفين فقال هؤلاء للجنة و لا ابالي وهؤلاء
في النار ولا ابالي وما عرض عليهم قوله الست بربكم وقال
بعضهم عرض على الكل التوحيد فقال الست بربكم
واعلمهم ما عليه احوالهم واجالهم في الدنيا من الفقر والغنا

والأجل ونحو ذلك ثم قال الشيخ أبو منصور والله أعلم
كيف كانت القصة أو كيف ترى أحوال الفقر والغنا في
الذرية أو كيف قال هؤلاء في كذى ولا ابالي مع اجتماع الكل
على القول ببلى وقد رأينا في تلك الأخبار التي فيها حديث الذر
ما كان الواجب على المرء حفظ نفسه وحفظ العوام
عن تبليغها ألزم وأعظم في النفع وأبعد عن الشبه من
الاشتغال بروايتها فنسأل الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق
للنصح لما به نجاة كل سامع فإنه لا قوة إلا بالله ثم قال ومنهم
من ذهب في تأويل الآية إلى المعروف من أمر ذرية آدم
وأخذهم عن أصلاب الآباء والإنشاء في الأرحام على ما كان
ويكون إلى يوم القيامة على ما قال تعالى فلينظر الإنسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب
وعلى ما قال تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث
فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
الآية وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به لإثبات ربوبيته

والربوبية من أول ما جرى به تدبير البشر إلى آخر ما ينتهي به
أمر البشر كقوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم وكقوله هو الذي يصوركم في الأرحام
كيف يشاء مما يعجز عن تقديره وسع الخلائق وكيف قلبهم
من حال إلى حال وصورهم في أحسن تقويم في ظلمات
ثلاث مع ما ركب فيهم من العقل والسمع والبصر وما جعل
في كل من ذلك مما لا تبلغه الأوهام ولذلك قال وفي
أنفسكم أفلا تبصرون فكان ذلك هو العهد إلى جميع الذرية
وإشهاده أنفسهم عليه بتعالي من دبرهم على ذلك وأنشأهم
عن أن يكون له كفو أو شريك فذلك هو معنى أشهدهم
على أنفسهم أي جعلهم على أنفسهم شهودا أن يعلموا أن مدبرهم
هو ربهم لا رب لهم غيره مع ما يعرف كل منهم عجز نفسه عن
تدبير ولده ويعرف جهله بأحواله من حين سل من صلبه
واستقر في رحم أمه ففي ذلك بيان على أنه لم يكن هو بآبائه
وأمهاته ولم يكن لهم فيه علم ولا تدبير في حالة كونه في مضمون

ابويه ولكن كان تكوينه وتصويره في تلك الظلمات الثلث
برب العالمين وقد عرف هذا كل منهم فذلك هو المعنى
الذي يلزمهم ان لا يقولوا انا كنا غافلين عن هذا وذلك
قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قال
ابو منصور رحمه الله والذي يبين ان هذا التاويل احق
من الاول قوله في سياق الاية واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم واقاويل اولئك على الاخذ من ادم
وانه خلاف ظاهر القرآن ويدل ايضا على كون هذا التاويل
احق قوله واشهدهم على انفسهم ان تقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين وهو المعنى الذي سبق ذكره
تكوينه وتصويره بصنع رب العالمين وكيف يقع تحذيرهم
عن القول بذلك على قول اولئك هم مثل الذر وليس
احد منهم يذكر انه خرج كالذر قال الست بربكم وازينه
بكل انواع التنبيه ويدل عليه ايضا قوله او تقولوا انما
اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي لا تقولوا انما اشرك

وذريتهم قوله اي اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا لئلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين

اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم وليس في ذلك
العرض الذي ذكروا ما يمنعهم عن هذا القول اذا لم يكن عندهم
بذلك فدل ان التاويل الثاني احق ولان اولئك قالوا انه
جعل الذر قسمين فقال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء
في الجنة ولا ابالي وفي القرآن اجمعوا جميعا في القول
بلى حيث قال الست بربكم قالوا بلى ليس فيه انه اقر البعض
دون البعض وذلك عدّ توحيدا فدل ان التاويل الثاني
احق قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ثم قوله خبرا
عنهم قالوا بلى يكون نطقا ويكون خلقة فاما النطق فانه
لا يسال احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق
وعلى ذلك قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
واما بلى بالخلقة فان خلقة كل منهم بالتاليف والتركيب
تشهد بواحد حي قادر بلا شريك لما في العدد من التدافع
والتمانع الموجب لتعطل المصنوع طلبا للكمال الذي هو

شرط الآلة فلا يتحقق المصنوع حتى يظهر الغالب فإذا تحقق
المصنوع ثبت وحدانية الصانع وهو الله الواحد القهار
قال أبو منصور رحمه الله فإن قيل على ماذا يخرج تأويل
السلف قبل العلم وجدوا فيه خبرًا ظنوا أن الآية تخرج
عليه فأولوها على ذلك وأما خبر القبضة هؤلاء في
الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فكأنه ورد
لا في حادثة العرض لكن وصل بآخر حديث الذر فيظن
أنه ورد فيه ولئن كان في حديث الذر فيحتمل أن
يكون في الآية ذكر إجابة أحد الفريقين قالوا بلى ويريد به
البعض الذي قال فيهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي ويحتمل
أنه كان بين الجميع اتفاق في أصل الإقرار بالألوهية
والربوبية وكان الاختلاف فيما وراءه وهذا كما يوجد
في هذا القدر اتفاق بين عامة الكفرة وأهل الإسلام
وإن كان بينهم اختلاف فيما وراءه وثبتت لهم سمة
الكفر لما أنكروا دون ما أقروا به فعلى ذلك في القول

بلى فلهذه الوجوه أوجب فقهاء الملة الاعتقاد بحقيقة
أخذ الميثاق من آدم وذريته وسكتوا عن ذكر كيفية
الأخذ ثم ذكر الطحاوي قولهم في سعة علم الله عز وجل وأزليته
فقالوا وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة
ويدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص
منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوا وكل ميسر لما خلق
له والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي
من شقي بقضاء الله تعالى ه

أما قولهم وقد علم الله تعالى

فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة
فإنما قالوا ذلك تأكيدًا لما قالوا من أزلية صفات الله تعالى
الذاتية والفعلية بقولهم ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه
وبيانًا لسعة علم الله تعالى وأن علمه لا يتقيد بمعلوم الخلائق
وحسمًا لمادة الشك في القضاء والقدر من الضعفة

ودفعا للتلبيس واوهام القدرية على العوام حيث زعمت كيف
يعذب الله تعالى على ما قضاه وقدره فبين فقهاء الملة رحمهم الله
بقولهم وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة
ويدخل النار جملة واحدة اي علم من يدخل الجنة انهم يؤمنون
ويطيعون عن اختيار وايثار وعلم عدد من يدخل النار
انهم يكفرون ويخالفون اوامره عند الوجود والبلوغ والعقل
عن اختيار منهم لا عن جبر واضطرار فيستوجبون النار
ويستحيل ان لا يعلم ما يكون من مخلوقاته قبل وجودهم
اذ ذاك جهل والجهل في حق القديم محال لما مر من البراهين
والحجج فثبت سبق علمه في الازل بما يكون من مخلوقاته ومن
صفاته القضاء والقدر والحكم ومحال ان يقضي بخلاف
ما علم اذ في ذلك تجهيل علمه وذلك محال في حقه لما فيه
من بطلان العلم ولزوم الجهل فثبت انه يقضي بما سبق علمه
في الازل انهم يفعلون ما يفعلون عن اختيار وايثار لا عن جبر
واضطرار فكان ذلك منه عدلا فبطل ما توهمت القدرية

وأما قولهم على نسق ما ذكروا

وكل ميسر لما خلق له فانما قالوا ذلك لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له
معناه جدوا في العمل واجتهدوا ولا تدعوا اعمالكم محتجين
بالقضاء فان الله تعالى دعاكم الى طاعته وامركم بالمجاهدة

وأما قولهم والأعمال بالخواتيم

فانما قالوا ذلك لورود الاخبار كذلك قال ابو حفص
الغزنوي وقد ورد في معنى ذلك ان الرجل تتداركه الندامة
في آخر عمره فيتوب الى ربه فيختم له بالخير وقد يدركه
العجب او ما يحبط عمله فيختم له بالشر وورد ايضا ان
الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى يبقى بينه وبينها باع او ذراع فتدركه
الشقاوة فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل
اهل النار حتى يبقى بينه وبينها باع او ذراع فتدركه السعادة

فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة

واما قولهم والسعيد من سعد

بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى قال الغزنوي
انما قالوا ذلك لان الله تعالى لا يقضي بسعادة احد الا
بعد علمه بانه يخرج من الكفر الى الايمان ولا يقضي
بشقاوة احد الا بعد علمه بانه يخرج من الايمان الى الكفر
فعلمه بالحادثات سابق لقضيه عليهم ولهم بما سبق علمه
فيهم قبل وجودهم وهو مطلع على السرائر بعد وجودهم
ثم ذكر الطحاوي قولهم في اصل القدر فقالوا واصل القدر
سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب
ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان
وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك
نظرا وفكرا ووسوسة فان الله تعالى طوى علم القدر
عن انامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون فمن سال لم فعل فقد رد حكم الكتاب
ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين

اما قولهم واصل القدر سر الله تعالى

في خلقه لم يطلع على ملك مقرب ولا نبي مرسل فانما قالوا
ذلك لما ثبت بالنقل عمن الوحي انه قال كذلك فنطقوا به
كما ورد مبالغة في الاخبار عن كون علم القدر مكنونا
عن الخلايق اجمع فان الله تعالى قال في كتابه قل لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله ثم اخبر عمن يمنحه
بالاظهار على ما يشاء من غيبه بقوله فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فاخبر ان الرسول هو الممنوح
بالاظهار على ما يشاء من غيبه ليكون معجزة له وحجة على من ارسل
اليهم والقدر من الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه وجعله سرا
مكنونا عن خلقه اجمع كعلم الساعة على ما قال تعالى
لا يجليها لوقتها الا هو

وأما قولهم والتعمق والنظر

في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان
فإنما قالوا ذلك لأن التعمق في طلب الوقوف على المكتوم
بعد المعرفة بكونه مكتوما ينشأ عن الأنكاد والارتياب
وهما من صفات أهل النفاق والإلحاد ثم المناظرة
في ذلك تفضي إلى المنازعة في أحكام الربوبية فيكون مبدأ
التعمق ذريعة الخذلان والمخذول هو الذي منع بسبب
خلافه عن شمول النصرة والعناية ثم يرتقي سلم الحرمان
باستمراره على الخلاف ثم ينتهي إلى درجة الطغيان
وهو المجاوزة عن الحد المجعول للعبد إلى المنازعة
في أحكام الربوبية فلذلك نسق هذه الأحرف على هذا النسق

وأما قولهم فالحذر من ذلك

نظرا وفكرا أو وسوسة فهذا منهم مبالغة في التحذير

عن طلب ما حظر عن العباد علمه ثم أخبروا عن نص النبي
ورد حكمه بقولهم فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه
ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون فمن قال لم فعل فقد رد حكم الكتاب
ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين وإنما قالوا لأن
رد ما ثبت بدليل مقطوع به يكون كفرا قال القاضي أبو حفص
الغزنوي وإنما نهي العباد عن الخوض في هذا الباب لأنه
أمر لا سبيل لهم إلى معرفته لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه
دون عباده كما استأثر بعلم الأشياء التي لا سبيل للعباد
إلى العلم بها لأن القول بإحاطة علوم العباد بجميع معلوماته
قول بمضاهاة علومهم بعلمه وذلك محال لأن المحدث
مع القديم لا يستويان قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء
من علمه إلا بما شاء لأن علم الله تعالى أزلي قديم بذاته فهو
دائم بذاته وعلوم الخلق محدثة مستفادة من غيره
فهي قاصرة كسائر صفاتهم ثم ذكر الطحاوي قولهم على

نسق ما تقدم فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو منور قلبه
من اولياء الله تعالى قال ابو حفص الغزنوي كانهم ارادوا — وهي درجة الراسخين في العلم
بقولهم فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو منور قلبه من اولياء
الله تعالى اي انما يدري هذا ويقف عليه من نور الله
قلبه بكمال اليقين على ما قال تعالى يهدي الله لنوره
من يشاء وان كان كل مكلف محتاجا اليه احتياج الوجوب
واللزوم لا بد له من تحصيله والقيام به وهذا كما قال
تعالى في حق القرآن انه هدى للمتقين وان كان هو
هدى للكل لكن من آمن به واتبعه كان هدى له ونورا
يستضيء به وحجة له وتبصرة ومن اعرض عنه ولم يؤمن به
كان حجة عليه كما قال تعالى وهو عليهم عمى ثم ذكر
الطحاوي تعليلهم لما ذكروا فقالوا لان العلم علمان علم
في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود فانكار العلم الموجود
كفر وادعاء العلم المفقود كفر ولا يثبت الايمان الا بقبول
العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود قال القاضي الامام

ابو حفص الغزنوي فالعلم الموجود في الخلق ما يوقف عليه
بدلالة ظاهرة كالعلم بالصانع بما نصب في العالم من دلائل
وحدانيته وقدمه وكمال علمه وقدرته وحكمته وبرائه
من سمات النقص وامارات الحدث ونحو العلم بنبوة الانبياء
بمعجزاتهم وبراهينهم ونحو علم البعث بعد الموت بدلالة
ذهاب الليل والنهار بعد وجودهما وعودهما بعد
ذهابهما وتلاشيهما وبدلالة تعاقب النوم واليقظة
فان في ذلك دلالة على انهم كما ينامون يموتون وكما يستيقظون
يبعثون وكما في تكرر النبات والازهار في كل سنة
وجودا وانعداما ثم عودا على ما كان بعد الانعدام دلالة
على البعث ونحو علم الاوامر والنواهي والاحكام الثابتة بالكتب
السماوية والاخبار النبوية بنقل الجماعة فهذا كله موجود
في الخلق فانكار هذا العلم كفر والعلم المفقود نحو ما اخفى
الله تعالى من علم الاشياء التي اخفاها عن خلقه فادعاء هذا — علم
النوع كفر لانه دعوى المشاركة مع الله تعالى فيما استاثر به

ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في امر اللوح وما كتب فيه
فقالوا ونؤمن باللوح والقلم وجميع ما فيه قد رقم ولو
اجتمع الخلق كلهم على شي كتبه الله تعالى فيه انه كاين
ليجعلوه غير كاين لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم
على ما لم يكتبه الله فيه ليجعلوه كاينا لم يقدروا عليه
جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة وما اخطا العبد
لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطيه وعلى العبد ان
يعلم ان الله تعالى سبق علمه في كل كاين من خلقه
فقدر ذلك بمشيته تقديرا محكما مبرما ليس فيه
ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص
ولا زايد في سمواته وارضه وذلك من عقد الايمان واصول
المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال
الله تعالى في كتابه وخلق كل شي فقدره تقديرا وقال
تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا فويل لمن صار لله في
القدر خصيما واحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس بوهمه

بلغ

في فحص الغيب سرا كتيما وعاد بما قال فيه افاكا اثيما

اما قولهم ونؤمن باللوح والقلم

فانما اثبتوا اللوح لقول الله تعالى بل هو قران مجيد
في لوح محفوظ واما القلم فلما ثبت بالنقل الصحيح
قول صاحب الوحي جف القلم بما انت لاق وكذا
ثبت القول بما هو كاين الى يوم القيامة وعلى ذلك اجماع اهل الحق

واما قولهم وجميع ما فيه قد رقم

ومعناه ونؤمن بجميع ما قد كتب فالكتب السماوية كلها
مكتوبة في اللوح المحفوظ وكذا جميع ما يكون الى يوم
القيامة مكتوب فيه قال الله تعالى وكل شي احصيناه
في امام مبين قالوا هو اللوح المحفوظ وقال تعالى وكل صغير وكبير مستطر

واما قولهم فلو اجتمع الخلق

كلهم على شيء كتبه الله فيه انه كاين ليجعلوه غير كاين لم يقدروا
عليه ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه
كاينا لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة
وما اخطا العبد لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطيه
قال القاضي ابو حفص الغزنوي هذه الالفاظ التي ذكروها
كلها مروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها
بعينها وصيغتها وبعضها مروية بالمعنى وتشهد العقول
بصحتها لما مر من البراهين العقلية التي قامت على ازلية علم
الله تعالى بما يكون ابدا فوجب الاعتقاد بمضمون جميع ما ذكروا

واما قولهم وعلى العبد ان يعلم

ان الله تعالى سبق علمه في كل كاين من خلقه فقدر
ذلك بمشيته تقديرا محكما مبرما ليس له ناقض ولا معقب
ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص ولا زايد من خلقه
في سمواته وارضه فهذا منهم تصريح باثبات ازلية علم الله

تعالى ومشيته وباثبات القضا بما يكون من خلقه وبتقدير
كل شيء على ما تقتضي الحكمة البالغة من كون كل شيء على ما هو
به من حسن او قبح طاعة او معصية

واما قولهم فقدر ذلك بمشيته

تقديرا محكما مبرما ليس له ناقض ولا معقب الى قولهم في
سمواته وارضه فهذا منهم اثبات الوحدانية والربوبية
لله عز وجل في السموات والارضين ونفي التدبير والحكم
عمن سواه وقد مر ذكر البراهين القاطعة على تحقيق ذلك
ومر ايضا ذكر من خالف في ذلك من الثنوية والقدرية
وابطال اقاويلهم وهدم قواعدهم

واما قولهم وذلك من عقد الايمان

واصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
فانما قالوا ذلك لما مر من البراهين القطعية والحجج السمعية

في فصول التوحيد والصفات ان ترك الاعتراف بأزلية العلم
لله عز وجل اثبات الجهل فيكون قولا بابطال الالوهية لان الجاهل
لا يصلح ان يكون الها وكذا ترك الاعتراف باتصافه بالمشية
وبسائر صفات المدح والكمال قول بتعطيل الالوهية والحاق
باهل الطبع وكذا ترك الاعتراف بسبق القضا والقدر على
مقتضى حكمة الصانع القديم اثبات الخلل في سلطانه والوهيته
وكذا من اثبت لغيره تخليق الافعال فقد ابطل توحيد صانع العالم
والتحق بالثنوية فلهذه الادلة قالوا وذلك من عقد الايمان
واصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
وادخال الخلل في العقد فسخ نعوذ بالله من الخذلان

واما قولهم كما قال رب في كتابه وخلق

كل شي فقدره تقديرا وقال تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا
فهذا منهم احتجاج بان لا خالق لشي من العالم سوى الله تعالى
وتعميم منهم لكل شي يدخل تحت التخليق من اقسام العالم

من الاجسام والجواهر والاعراض ان يكون كل ذلك مخلوقا
لله عز وجل وقد مر ذكر خلاف المعتزلة لاهل الحق في
تعميم هذه الاية فان عندهم جميع الافعال الاختيارية
مخلوق لغير الله تعالى فيكون كل فاعل مختار من ملك وجن
وجن وانس وكل ما دب ودرج حتى كل كلب وخنزير
يكون خالقا لفعله ومنعوا دخول افعال الخلق تحت قدرة
الله تعالى ومحال ان لا يقدر الله تعالى على تخليق ما يقدر
على تخليقه كل ما دب ودرج ومعلوم قطعا ان العالم
بكونه مخلوقا دليل على الوهية الخالق تعالى وبذلك
احتج الله تعالى على كونه خالق العالم ونفي الالوهية
عمن سواه بعدم التخليق فقال تعالى وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وقال تعالى
ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم وقال
تعالى قل الله خالق كل شي وقال واعلم ان الله على كل شي قدير
فمحال ان لا يقدر الله تعالى على شي يقدر عليه كل ما دب

ودرج فبطل قول المعتزلة في تعجيزهم الله تعالى عما يقدر
عليه مخلوقه ومصنوعه وبطل إثباتهم خالقا غير الله تعالى
لشيء من العالم وقد مضى إبطال شبهاتهم فيما مضى

وأما قولهم فويل لمن صار لله

في القدر خصيما وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس
بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما وعاد بما قال أفاكا أثيما فهذا
منهم تصريح بذم من أنكر القدر وسموه خصيما لله لما سبق
بيانه من البراهين المثبتة لا يلحق منكر القدر بالثنوية
والمجوس وإنما سموه سقيم القلب لارتيابه فيما ثبت بالأدلة
القاطعة ولطلبه الوقوف على مضمون السر المكتوم وصرحوا
بكونه أفاكا أثيما والأفاك هو الكذاب والأثيم هو الفاجر
الآثم فسموه بذلك لتكذيبه موجب الأدلة الثابتة
ثم ذكر الطحاوي قولهم في العرش فقالوا والعرش والكرسي
حق كما بين الله تعالى في كتابه وهو مستغن عن العرش

وما دونه محيط لكل شيء وفوقه وقد أعجز الإحاطة خلقه

أما قولهم والعرش والكرسي

حق كما بين الله تعالى في كتابه فقد أقروا بحقيقة العرش
العرش والكرسي كما بين الله تعالى في كتابه ولم يتعرضوا لذكر
ما بينهما فإن الله تعالى ذكر الكرسي ولم يبين ما يعنيه سوى
أن قال وسع كرسيه السموات والأرض فذهب بعض أهل
التأويل إلى أن الكرسي كناية عن العلم وبعضهم قالوا إن الكرسي
غير العرش وأما العرش فقد ذكر في الكتاب مقيدا بالحمل
محتفا به الملائكة وهو قوله تعالى الذين يحملون العرش
ومن حوله وذكر مطلقا كقوله تعالى وهو رب العرش العظيم
وقال حافين من حول العرش فالعرش المقيد بالحمل قالوا هو
السرير المحمول المحفوظ الملائكة وذكر بعضهم أن العرش
المذكور مطلقا يحتمل أن يراد به الملك والمذهب عند
أصحابنا رحمهم الله أن كل ما ثبت بالكتاب والسنة الواضحة

ولا يتعلق به العمل فإنه لا يجب الاشتغال بتأويله بل يجب
الاعتقاد بثبوته وحقيقة المراد بذكره ووروده

وأما قولهم وهو مستغن عن العرش

وما دونه فإنما قالوا ذلك نفيا لإثبات الحاجة إلى التمكن
والتحيز في الجهة وغير ذلك من سمات الحدث وذلك لما مر
من البراهين القطعية في ذلك ولما سنذكره من النصوص
المحكمة الموجبة للعلم قطعا بإثبات تعاليه عن الحاجات
وعن مشابهة الخلق كقوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء
أثبت الفقر والحاجة لعباده ونفى ذلك عن نفسه بقوله والله
الغني وكذا أثبت كمال الاستغناء لنفسه عن جميع الأشياء
بقوله إن الله لغني عن العالمين وهذا نص محكم في إثبات
الاستغناء لنفسه عن العرش وما دونه إذ العرش من جملة
العالم وفيه رد على اليهود ومجسمة هذه الأمة حيث وصفوه
بالجسم والاستقرار على العرش والانتقال والنزول بالذات

من مكان إلى مكان ونفى عن نفسه مشابهة العالم ومماثلتهم
بقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وبقوله
ولم يكن له كفوا أحد فيستحيل أن يساويه شيء أو يضاهيه
أو يماثله

وأما قولهم وهو محيط بكل شيء

أرادوا به الإحاطة بكل شيء بالعلم والغلبة والسلطان إذ
يتعالى عن الوصف بالإحاطة بالعالم كإحاطة الحقة
باللؤلؤة لأن ذلك وصف بالجوف والمكان والحلول
وكل ذلك مستحيل في حق القديم وأما قولهم محيط
بكل شيء وفوقه أرادوا بقولهم وفوقه أي كل شيء تحت علمه
وقدرته كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويجوز
أن يعنوا بقولهم وفوقه أي متعال ومترفع عن صفات
المحدثين بصفات المجد والكمال وهو معنى قوله تعالى
سبح اسم ربك الأعلى وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ولأن العالم محدث وصفاتهم محدثة والجهات

البتة صفات للعالم وقد كانت معدومة قبل وجود
العالم وصانع العالم وهو الله تعالى قديم لم يزل فيستحيل
ان يضايقه العالم حين وجد ويطابقه فيصير القديم
المتعالي عن التناهي والحدود في حيز والعالم في حيز
لان ذلك قول بتغير القديم عما كان في الازل وذلك
مستحيل في حقه بل هو تعالى كما وصف نفسه بقوله
تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شي عليم وبقوله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ذكر الطحاوي
عقيدتهم في خلة ابرهيم ومكالمة موسى فقالوا واتخذ
الله ابرهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما ايمانا وتصديقا
وتسليما قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله
انما نصوا على اتخاذ الله عز وجل ابرهيم خليلا لخفا
وجه ذلك على بعض الناس وهم النصارى حيث قاسوا
تسميتهم عيسى بالولدية على اتخاذ ابرهيم خليلا فكان

جواب

جواب اهل الحق عن ذلك ان قالوا ان اتخاذ الولد يوجب
المجانسة اذ الولد قط لا يكون الا من جنس الوالد والله
عز وجل يتعالى عن ذلك فاما اتخاذ الخليل فلا يوجب
المجانسة بل يوجب القرب والكرامة حتى تكون الخلة
بين المختلفين في الجنس كما كان يقال جبريل خليل الرسول
حتى ذكر في بعض الاحاديث المعراج ان نبينا صلوات
الله عليه حين تجاوز عن مقام جبريل عليه السلام
خاطبه الرسول باسم الخلة بان قال افي مثل هذا الموضع يفارق
الخليل خليله وذكر عن بعض العرب قال استبقي خليلي ولان
الولاد يوجب البعضية والجزوية فيكون الولد جزوا
من الوالد وهذا محال في حق القديم واتخاذ الخليل
لا يوجب شيا من ذلك ولان في الشاهد لا يتخذ
السيد عبده ابنا لعدم المساواة بينهما مع تحقق المجانسة
وذلك مستحيل في حق الغايب ولان من اراد ذلك في الشاهد
يعتق عبده حتى يتحقق المساواة بينهما في الحرية والمالكية

وهذا لا يتصور بين العبد والرب لان العبد عبد بخلقته
فيستحيل ارتفاع الحدثية عنه فلا يتصور اتخاذ الولد
حقيقة ولا معنى ولان اتخاذ الولد في الشاهد يكون
لخصال منها حاجة الاستيناس ودفع الوحشة ومنها
الاستنصار على الاعدا ومنها حاجة الاستخلاف
في ملكه ليحيي ذكره به وهذه الوجوه كلها منتفية في حق
القديم تعالى فبطل القول بجواز اتخاذ الولد من جميع
الوجوه بخلاف الخلة فانها من باب الكرامة وقرب
المنزلة والعبد اهل لنيلها ببذل مجهوده في مباشرة الطاعات
والعبادات

واما قولهم وكلم الله موسى

تكليما قال القاضي ابو حفص اكده بالمصدر
كما نطق به الكتاب وهو قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
ليعلم ان الكلام صفة له تعالى حقيقة فاكده بالمصدر
لان ما يراد به المجاز لا يؤكد كقولهم قال بيده وقال براسه

اذا اشار به ولا يؤكد بالمصدر بان يقال قال بيده قولا فلذلك
قالوا وكلم الله موسى تكليما ايمانا وتصديقا وتسليما ليتبينوا
ان الكلام صفة لله تعالى حقيقة ثم ذكر الطحاوي
عقيدتهم في الملايكة والانبيا والكتب السماوية فقالوا
ونومن بالملايكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين
ونشهد انهم كانوا على الحق المبين وانما قالوا ذلك لما قامت
الادلة القاطعة على وجوب الايمان بجميع ما ذكروا
ومن الدلايل السمعية قول الله تعالى ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر والملايكة والنبيين ومنها قوله
تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل
امن بالله وملايكته ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وكتبه
قال القاضي ابو حفص الغزنوي فالايمان بالملايكة
ان نومن بانهم اشخاص روحانية لطيفة في تركيب الحيوان
يتلونون ويصعدون باذن الله وليسوا بنجوم مسخرة ولا
بانفس كما ذهبت اليه طايفة من اهل الزيغ وانما وقع

الايمان على هذا الوجه لما تواترت الاخبار ولاستجازة
العقل تركيب كل جوهر باي تركيب كان وتخلق الحيوة فيه ثم
اشخاص مكرمون اوجدهم لحجته لا لحاجته واوقفهم
لخدمته لا لمعونته وامتحنهم بانواع المحن عبودية لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون مواظبون على ما تعبدهم الله تعالى لا يسامون
امتحن بعضا منهم بالنزول بالرسالة الى البشر وبعضا بالقطر
والمطر وبعضهم بكتبة اعمال بني ادم وبعضهم بقبض الارواح
واما الايمان بالنبيين فهو ان نؤمن بان الله تعالى ارتضاهم
بالنبوة واصطفاهم لتبليغ رسالته واكرمهم بالسفارة
بينه وبين عباده بما يوحي اليهم ويدركون ذلك ويطيقونه
بما ركب الله تعالى فيهم من القوة على ذلك وليست النبوة
مكتسبة بل كانت عطية وخصيصة من الله تعالى وهبة ومنة
جعلها الله تعالى فيمن يشاء من عباده على ما قال تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالاته وهم معصومون عن التحريف

والتبديل والفسق والضلال وعن جميع ما يوجب
العزل فهذا هو الايمان بالانبياء واما الايمان بالكتب
السماوية فهو ان نؤمن بانها خطابات من الله تعالى
اما سماعا من الله تعالى بلا كيف او بلاغا من الملك
المنزل للتبليغ وانه ليس للملك ولا للنبي تصرف في النظم
والمعنى ولكنهما يبلغان عن الله تعالى كما بلغ اليهما
وحيا وتنزيلا او سماعا منه بلا كيف كما في موسى

واما قولهم ونشهد انهم كانوا

على الحق المبين فانما قالوا نشهد انهم كانوا على الحق
المبين والشهادة عبارة عن العلم بالمشهود قطعا بلا
تمثيل واحتمال بوجوه كل وجه يوجب العلم قطعا
منها شهادة البراهين العقلية على حقية ما دعوا
اليه فانهم دعوا الى القول بحدث العالم ووحدانية
الصانع وقدمه وكمال صفاته وبرائته عن العيوب

وعبادته بلا اشراك والايمان بما جاء منه وبالبعث بعد
الموت للجزاء في دار البقاء وهذا كله مما توجبه الحكمة
والعقول السليمة ومنها شهادة المعجزات الخارجة
عن وسع الخلايق التي قامت على ايديهم على ما تقدم
بيان انواعها في صدر الكتاب في تفاصيل الحجج وفي
فصل رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه وهي توجب
العلم قطعا لمن عاينها ولم يعاندها ولمن غاب عنها بالنقل
المتواتر على السنة قوم لا يتصور منهم التواطي على الكذب
ومنها شهادة الكتاب المعجز للخلايق بنظمه عن
الاتيان بمثل سورة منه وباخباره عما كان وعما سيكون
فهذه الدلايل القاطعة شهدت انهم كانوا على الحق
المبين فيما ادعوا من الرسالة وفيما دعوا اليه من الدين
الحق فلهذه الدلايل قال فقهاء الملة ونشهد انهم كانوا على
الحق المبين ومما نطق الكتاب به قول الله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون

والنصرة العصمة من الخذلان ودوام الحجة الغالبة معهم
وكون عاقبة الامر لهم ولمن استقام على ما جاؤوا به ثم
ذكر الطحاوي قولهم في اهل القبلة ومواظبتهم على
لزوم السنة والجماعة فقالوا ونسمي اهل قبلتنا مسلمين
مومنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين
وله بكل ما قال واخبر مصدقين ولا نخوض في الله عز وجل
ولا نماري في الدين ولا نجادل في القران ونعلم انه كلام
رب العالمين نزل به الروح الامين فعلمه محمدا سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وكلام الله لا يساويه
شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف
جماعة المسلمين ولا نكفر احدا من اهل القبلة
بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب
من عمله ونرجو للمحسنين من المومنين ولا نامن عليهم
ولا نقنطهم والامن والاياس ينقلان عن الملة وسبيل
الحق بينهما لاهل القبلة ولا يخرج العبد من الايمان

ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم

ولا نكفر من اهل القبلة

ونخاف عليهم كما نخاف على انفسنا فنستغفر لهم كما نستغفر لانفسنا ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم

الا جحود ما ادخله فيه

اما قولهم ونسمي اهل قبلتنا مسلمين

مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين
وله بكل ما قال واخبر مصدقين انما قالوا ذلك
لانا نعرف منهم الاعتراف بما جاء به النبي صلى الله عليه من
الدين والشرع ونسمع انهم يعتقدون التوحيد والدين
الحق ونشاهدهم متمسكين بكتاب الله تعالى وبشرايعه
فنراعي ظواهرهم ونكل ضمايرهم الى الله تعالى وبذلك
ورد النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال
بعثت انولي الظواهر والله تعالى يتولى السراير وقال
الله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار فامر المؤمنين بامتحانهن لان محل الايمان هو
القلب وذلك باطن لا سبيل للخلق على الوقوف على ما فيه

وانما يعرف بما يظهر وهو الاستيصاف فاذا وصفن الله
بالالوهية والوحدانية والنبي بالرسالة وجب الحكم
بالايمان بناء على ما ظهر وقد سمي ذلك علما بقوله فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولم يوجب عليهم فيه
الاستثناء لوقوع الامتحان لاظهار ما في قلب غيرهم ولو
استثنين لم يجب الحكم بايمانهن لحصول الشك على ان
الاستثناء انما يكون فيما يرجو وجوده في المستقبل فدلت
الاية على بطلان قول من يستثني في ايمان نفسه وكذا
روي عن النبي صلى الله عليه انه امتحن امة سوداء عند سوال
من اراد عتق رقبة مؤمنة فسالها عن الله تعالى فلما
وصفت الله تعالى بالالوهية والنبي بالرسالة قال للمعتق
اعتقها فانها مؤمنة وكذا كانت الصحابة والتابعون
الذين هم الاصول في الاجماع وفي نقل الشريعة يسمون
انفسهم ومن امن نبيهم مؤمنين ومسلمين مطلقا عن
الاستثناء وذلك حجة بينة في ابطال قول من يشترط الاستثناء

فيجب على الرجل اذا كان في قلبه الايمان بالله وبما جاء به
محمد بن عبد الله ان يخبر بانه مومن من غير شك واستثنا
فان كان صادقا فليوجرن على صدقه وان كان
كاذبا في اخباره فما دخل عليه من الكفر اعظم من كذبه
فيما اخبر وذكر نصر بن يحيى عن ابي مطيع الحكم بن عبد الله
في كتاب الفقه الاكبر قال سالت ابا حنيفة
عن حديث صاحب معاذ بن جبل مع ابن مسعود فقال
نعم حدثني حماد يعني بن ابي سليمان ان حارث بن مالك
كان مع معاذ بن جبل الانصاري فلما حضره الموت
بكى قال معاذ ما يبكيك يا حارث قال ما يبكيني
موتك قد علمت ان الاخرة خير لك من الاولى لكن
من المعلم بعدك قال مهلا وعليك بعبد الله بن مسعود
فقلت له اوصني فاوصى ما شا الله ثم قال له
احذر زلة العالم قال فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة
الى اصحاب عبد الله بن مسعود فنودي بالصلوة فقال

كتاب الفقه الاكبر الذي رواه ابو مطيع البلخي عن الامام الاعظم

الحارث قوموا الى هذه الدعوة حقا لكل مومن سمعه
ان يجيبه فنظروا اليه وقالوا له انك مومن قال نعم اني
مومن فتغامزوا به فلما خرج عبد الله قيل له ذلك
فقال للحارث مثل قولهم فنكس الحارث راسه وبكى
وقال رحم الله معاذا فاخبره ابن مسعود فقال له
انك لمومن قال نعم اني لمومن قال فتقول انك من اهل
الجنة قال رحم الله معاذا فانه اوصاني ان احذر
زلة العالم ولا اخذ بحكم المنافق قال فهل
من زلة رايت قال نشدتك بالله عز وجل هل كان في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم والناس يومئذ على ثلث
فرق مومن في السر والعلانية وكافر في السر والعلانية
ومنافق في السر فمن اي الثلاثة انت قال اما انا فاذ نشد
تني بالله عز وجل فاني مومن في السر والعلانية قال
الحارث فلم لم تستثني حيث قلت اني لمومن قال اجل هذه زلتي
فادفنوها علي فرحم الله معاذا وروى عن سهل بن مزاحم

انه قال جاء رجل ممن يشك يعني في الايمان الى ابي حنيفة
فقال له ابو حنيفة رحمه الله اذا ادخلت حفرتك
فجاء منكر ونكير يسالانك ما دينك هل تشك شاء عنيد
قال فبكى الرجل قال ابو حنيفة ما رحمت احدا ما رحمت
هذا وروي عن ابي يوسف انه قال قدم قتادة الكوفة
فجعلوا يسالونه ويجيبهم فاتاه ابو حنيفة رحمه الله
فقال له امؤمن انت قال نعم ان شاء الله فقال ابو حنيفة
ارغبت عن ملة ابرهيم وقد قال الله عز وجل ومن
يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه وقد قال الله
عز وجل لابراهيم صلوات الله عليه اولم تؤمن قال بلى
ولم يقل ان شاء الله ه

واما قولهم ما داموا بما جاء به النبي

صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قال واخبر
مصدقين قال القاضي ابو حفص انما قالوا
ذلك ليعلم ان مجرد التوجه الى قبلتنا لا يدل على
حقيقة الايمان بالنبي صلى الله عليه فان كثيرا من الناس
يتوجهون الى قبلتنا وينسبوا على ديننا كالغلاة حيث
يدعون نبوة علي رضي الله عنه وكمن يدعي منهم انه اله
وكالقدرية يزعمون وجود كثير من الاشياء من
غير مشية الله تعالى وكمن يدعي منهم الخالقية لكل
فاعل مختار ممن دب ودرج وكمن يزعم ان صانع العالم
جسم على صورة البشر وكمن يدعي من الناس ان المحبة
تزيل التكليف وكمن يقول ان الله عز وجل حلولا
واتحادا بالانفس ونحو هذا من اقاويل اهل الضلالة والالحاد

واما قولهم ولا نخوض في الله

عز وجل ولا نماري في الدين معناه ولا نتكلم في ذات
الله عز وجل وصفاته من غير بصيرة وانما نتبع في ذلك
ما دعانا اليه كتاب الله تعالى والسنة المتواترة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشهورة التي اعتمد عليها
العلماء من غير اختلاف فنعتمد عليها ولا نذهب في
ذلك الى المقاييس الناشية من هوى النفوس من غير
برهان من الله تعالى ورسوله واصحابه الذين هم خلفاء
الرسول ونقلة شريعته لاستحالة دخول القديم
تحت القياس والمقادير ولا نبني العقايد على اخبار
الآحاد لانها لا توجب العلم يقينا والاصل
في اسماء الله وصفاته التوقيف قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال تعالى له قل هذه سبيلي ادعوا الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني اي على حجة وبرهان ولما كثرت
الاحاديث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
عناية السلف الصالح بحراسة الشريعة وعرضوا
الاحاديث على الكتاب والسنن المتواترة واصول
الشريعة واجماع الامة وزيفوا ما خالف الاصول

ولما كثرت الاحاديث بعد رسول الله الخ مهم

حتى وضع الحفاظ كتبا في الاحاديث الموضوعة حتى
قال بعضهم وضعت الزنادقة والكذابون على رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذي كذي الف حديث
وذكر القاضي ابو العلا صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
سيكون في آخر الناس ناس من امتي يحدثونكم بما
لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فاياكم واياهم وذكر القاضي
ابو العلاء فقال وروى عن عرباض ابن سارية قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل
علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون
ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله
كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم
بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا
فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها

وعضوا عليها بالنواجذ اياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وروى القاضي
ابو يوسف عن النبي عليه السلام انه قال اذا روي لكم
عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق فاقبلوه
وما خالف فردوه وذكر ابو زيد الدبوسي في كتاب تجريد
ادلة الشرع في فصل اقسام الخبر وانتقاده هذا الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجاب عرض اخبار
الآحاد على الكتاب والسنة المشهورة وهو حديث
صحيح عند ائمة الفقه لان القران اصل الحجج وبه ثبتت
الرسالة وقامت الحجة على الضلالة وهو المهيمن على
الكتب السماوية وبه يميز الحق من الباطل وبه عرف
تحريف اهل الكتاب ما حرفوا وبدلوا من الكتب
المنزلة وقد امر الله تعالى برد المتنازع اليه والى رسوله
فقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
فقال ائمة التحقيق الرد الى الله تعالى هو الرد الى

اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه صح

الكتاب والرد الى الرسول هو الرد الى السنة المتواترة
وقد كان رسول الله صلى الله عليه حيا وجبريل صلوات
الله عليه ينزل عليه بكرة وعشيا وقد كان اهل النفاق
ومن يطلب شين الدين من مردة اهل الكتاب وغيرهم
يأتونه ويسمعون منه ثم يخرجون من عنده ويغيرون
ما سمعوا منه على ما قال الله تعالى فاذا خرجوا من عندك
بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله اعلم ما يبيتون
حتى صار الاخبار عنهم بذلك اية من ايات رسالته
فكيف نؤمن غائلة الزنادقة والوضاعين بعد انقطاع
الوحي وامتداد الزمان وحتى اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بالوضاعين عليه بعد موته طلبا لشين دينه
وافتتان امته وهو ما روي في المشاهير سيبعث
دجالون كذابون ومن ذلك ما ذكره ابو العلا صاعد
رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه

وامّا قولهم ولا نماري في الدين

قال القاضي ابو حفص الغزنوي معناه لا تخاصم اهل الحق
بالمتشابهات اهل الهوا عليهم التماسا لامترائهم ومبلغهم
لانه في معنا الدعا الى الباطل وتلبيس الحق وقد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج على اصحابه وهم
يتمارون فقال الا نهاكم عن هذا انما هلك من كان قبلكم
المتنطعون يعني المتعمقين في الكلام وعنه عليه السلام
انما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
وتفسير هذا ونحوه ما روي في المشاهير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب يوما فاكثروا عليه في السؤال
فقال رجل اين انا يا رسول الله فقال في النار وقال
آخر من ابي فقال فلان ثم غضب فقال لا تسألوني عن شيء
في مقامي هذا الا انبأتكم فجثى عمر على ركبتيه وقال يا رسول الله
اعف عنا يعف الله عنك ومن ذلك سؤالهم اياه عن
الساعة وعن القدر ونحو ذلك قال ائمة الهدى رحمهم الله
ولا يجوز حمل نهيه عن السؤال عن احكام الدين وعما يجب

اعتقاده والعمل به فانه بعث لاجل ذلك الا ترى الى ما روي
ان قوما من بني تميم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا ثم اتاه
اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم
فقالوا قبلنا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك
عن اول هذا الامر ما كان فقال عليه السلام كان الله ولم يكن
شيء غيره فاخبروا انهم جاؤه ليتفقهوا في الدين ثم سألوا عن
المحدث والقديم فاخبرهم انه كان الله ولم يكن شيء
غيره وهو اخبار عن قدم الله عز وجل وازليته وحدث
ما سواه من الجهات الست والعرش وسائر اقسام العالم
ولم ينههم عن ذلك بل اجابهم بما هو الفرض المتعين على كل
مكلف عقلا وشرعا وقال تعالى فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقد تضمن هذا النص الامر بسؤال اهل
الذكر وقال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين الاية وهذا النص تضمن الامر بالتفقه

في الدين والتفقه في الدين يكون بالطلب والسؤال
قال القاضي ابو حفص الغزنوي الا ان من ابتلي بالمماراة
اي بالمناظرة ذبا عن حريم الدين فانه يعذر فيه ان كان
متمسكا بالسنة ولا يخرجه ذلك عن السنة والجماعة
كمن يكون مع امام اهل العدل على قتال اهل البغي والخوارج
واحتج امام الهدى ابو منصور الماتريدي لجواز المناظرة
لاظهار الحق ودحض الباطل ودفع شبهات المبطلين
بقوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم الى قوله خبرا
قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الى قوله فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر
فاخبر ان ابرهيم حاج ذلك اللعين حتى قطعه قال ابو منصور
فدل ذلك على جواز المناظرة لاظهار الحق ودفع شبهات
الباطل وما سبق ذكره من النهي المروي عن المماراة فهو عن
نحو ما تقدم بيانه وبالله العصمة

وأما قولهم ولا نجادل في القرآن

قال القاضي ابو حفص قيل ارادوا بهذا اي لا نشتغل في القرآن
بتاويل اهل الزيغ ابتغاء الفتنة حملا على التشبيه والتمثيل
والقول بالجارحة وقيل ارادوا به اي لا نجادل في وجوه
القرآن الثابتة بل نقرأه بكل ما ثبت فينصرف معنى
قولهم الى نحو ما روي عن حذيفة بن اليمان وكان في غزو
الباب فرأى امداد اهل البصرة يقرءون قراءة يضيفونها
الى ابي موسى الاشعري ورأى امداد الشام يقرءون قراءة
ويضيفونها الى ابي الدرداء ورأى امداد الكوفة يقرءون
قراءة ويضيفونها الى ابن مسعود ويجري بينهم في ذلك
مماراة وجدال حتى صار بعضهم يقول لبعض قراءتي خير
من قراءتك فانكر ذلك عليهم حذيفة انكارا شديدا
وقال لاشكونكم الى امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وقال
ان اهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا ثم رحل وقدم المدينة
وقال يا امير المؤمنين ادرك الناس ثم اخبره بما رأى فجمع
عثمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واخبرهم بذلك فاجمعوا

كلهم على كتبة القرآن في المصاحف على الأحرف السبعة المنزلة
وبعثوا إلى كل مصر مصحفا وقالوا هذا كتاب ربكم فيحمل
قول أصحابنا رحمهم الله ولا تجادل في القرآن على هذين الوجهين

وأما قولهم ونعلم أنه كلام رب

العالمين نزل به الروح الأمين قال القاضي أبو حفص
الغزنوي إنما قالوا هذا لحسم الفساد قول القرامطة أن القرآن
وجد بإلهام غريزي طبيعي والدليل على بطلان ذلك قول الله
تعالى تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين وقوله
تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه هذا أيضا
يبطل قول الملحدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوره
في نفسه فينطقه قرآنا وقد تواترت الأخبار أن جبريل صلوات
الله عليه كان يتمثل في صورة إنسان فيكلمه بالقرآن
ويتلوه عليه ويبلغه إليه ثم هو صلى الله عليه يقرأه على الناس

وأما قولهم فعلمه محمدا سيد المرسلين

صرحوا بتعليم جبريل إياه إبطالا لتوهم القرامطة أنه يصوره
في نفسه إلهاما إذ التعليم والتلقين من الملك يكون إسماعا
ظاهرا ولا سبيل له على جعله غريزيا طبعيا وأما وجه
سيادته وتقدمه عليهم في الشرف والرتبة فقد تقدم
ذكره فيما مضى وقد ورد أنه كان أولهم مذكورا ثم صار آخرهم
مبعوثا فصار متقدما ومصدقا وفي ذلك دلالة على كونه أفضلهم
ولأنه بعث إلى الإنس والجن جميعا فقام بنصرة المرسلين
وأحيا سننهم ونشر محاسنهم وذب عنهم ما لا يليق من أقاويل
المبطلين كقوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر على ما ذكر أهل التأويل في سبب
نزوله أن اليهود كانوا ينسبون إلى سليمان صلوات الله علم
السحر فبرأه الله تعالى عن ذلك بكتابه على لسان رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم وهذا كله من خصال السيادة إذ قيل
السيد من يقوم بأمور من يسود عليهم

وأما قولهم وكلام الله لا يساويه

شي من كلام المخلوقين فانما قالوا ذلك لما سبق بيان
كون كلام الله ازليا قايما بذات الله تعالى اذ هو تعالى حي متكلم
فكان الكلام صفته كالحيوة والعلم فلا يشبهه شي من
كلام المخلوقين اذ كلامهم محدث ولا مساواة بين الازلي والمحدث

واما قولهم ولا نقول بخلقه

فانما قالوا ذلك لما قام من البراهين القاطعة على كونه ازليا
قايما بذاته تعالى واما قولهم ولا نخالف جماعة المسلمين لانهم
اجمعوا على ان كلام الله عز وجل غير مخلوق وخلاف اجماع
المسلمين باطل وضلال وهذا تصريح من فقهاء الملة ان
من خالف المسلمين فيما يجب اعتقاده لا يكون في الحقيقة
منهم اذ الاسلام هو الانقياد والتسليم لله عز وجل في كل
ما قام الدليل الموجب وهذا كما ذكر القاضي ابو زيد في كتاب
تحديد ادلة الشرع ان صاحب الهوى لا يعتبر خلافه
فيما نسب به الى الهوى لخلافه دليلا يوجب العلم واجماع

المسلمين حجة موجبة

واما قولهم ولا نكفر احدا من اهل

القبلة بذنب ما لم يستحله فانما ارادوا باهل القبلة بلام
التعريف ما قدموا بيانه بقولهم ونسمي اهل قبلتنا مسلمين
مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه معترفين اذ اهل
القبلة في التحقيق هم الذين جمعوا بين استقبال القبلة والتصديق
بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه لا الفرق الذي استقبلت
قبلتنا ولم يدينوا بديننا على ما مر بيان انواعهم فيكون معنى
قولهم ذلك اي لا نكفر احدا من اهل الايمان والاسلام بذنب
ما لم يستحله وانما شرطوا استحلال الذنب دون ارتكابه من
غير استحلال لانه اذا استحل صار رادا لحكم الله تعالى اذ
ليس لاحد دونه تحليل شي ولا تحريمه على الحقيقة فاذا
استحل ما حرمه الله تعالى يكون منازعا فيما انفرد الله تعالى به
فيكون ذلك منازعة في الربوبية فيكفر بذلك ولان حرمة

لان العلماء والائمة [illegible]

الذنب ثبتت بدليل العقل والسمع والحكمة فينتظم استحلاله
الذنب الرد والتخطية ككفر ابليس حيث انتظم تخطية الله
تعالى فيما صنع والرد لحكمه وامره واما امتناعهم عن تكفيره
اذ لم يستحل فلانه متمسك بالايمان ومحله القلب وباشر
المعصية بجوارحه والمعصية ضد الطاعة لا ضد الايمان
وانما ضد الايمان هو الكفر ومحلها القلب فاذا وجد
احدهما بطل الاخر لاستحالة اجتماع الضدين في محل واحد
في وقت واحد واما المعصية والطاعة فمحلهما الجوارح
فلا تتعدى المعصية عن المحل المباشر لها الى محل الايمان
بدون اعتقاد الحل واما تعلق الخوارج والمعتزلة بقوله
تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
فلا تعلق للخوارج في التكفير بالذنب ولا للمعتزلة في تخليد
صاحب الكبيرة في النار على التابيد لان الاية محمولة
على الخلود الذي هو طول المكث فيكون الخلود المذكور
كناية عن مكثهم في العذاب مدة مديدة ولان الله تعالى

لم يقل فجازيه بل قال فجزاؤه فلا يكون العفو خلفا وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال انها نزلت فيمن قتل مومنا وارتد
فيكون المعنى ومن يقتل مومنا متعمدا لايمانه والقاتل متعمدا
لاجل ايمانه يكون مرتدا فيستحق الخلود المويد

واما قولهم ولا نقول لا يضر مع
الايمان ذنب من عمله فانما قالوا ذلك ردا على المرجية
الخبيثة حيث زعموا لا يضر المومن ذنب من عمله وهو
خلاف النصوص السمعية فقد ورد الكتاب بوعيد
اصحاب الكباير ووردت الاخبار المستفيضة في تعذيب اصحاب
الكباير وشفاعتهم وعلى ذلك اجماع اهل السنة والجماعة

واما قولهم ونرجوا للمحسنين
من المومنين فانما قالوا ذلك لقوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان ولقوله تعالى جزاء وفاقا والجزاء الوفاق

هو المجازات على الاحسان بالاحسان وعلى الاساة بالاساة
فان قيل ان النص يدل على تيقن الاحسان بالاحسان اذ حرف
الاستفهام من الله تعالى على التقدير والايجاب لانه يستحيل
ان يستفهم لانه تعالى عالم فلم قالوا نرجوا قيل المجازاة بالاحسان
على التقدير والايجاب كما ذكرت لكن بشرط الاتيان به الى
دار الجزاء وهو قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها وقال ايضا ومن ياته مومنا الاية ولا يتيقن من كل
محسن الاتيان باحسانه فاستعملوا الرجا لظاهر احسانهم
في الحال لا على تحقق الاتيان في المآل

واما قولهم ولا نامن عليهم

قال القاضي ابو حفص الغزنوي لم يريدوا بهذا
لا نامن على زوال الايمان بكبيرة توجد منهم وانما ارادوا
به اي لا نامن عليهم ان يتدارك من واحد منهم ما يحبط
عمله من كفر او نفاق او ما يحبط ثوابه من عجب او من

او كبيرة فيعاقب عليها

واما قولهم ونستغفر لمسيئهم

فانما قالوا ذلك لما امر المسلمون بالاستغفار بعضهم
لبعض ولما امرت الملائكة والانبيا عليهم السلام بالاستغفار
للمومنين فوجب الاقتدا بهم

واما قولهم ونخاف عليه اي

نخاف عليهم كما نخاف على انفسنا فنستغفر لانفسنا اذ المومنون
كالجسد الواحد بحكم الايمان والتوحيد وعلى ذلك
ورد الخبر المومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى
باقيه بالسهر

واما قولهم ولا نقنطهم

فانما قالوا ذلك لانهم على التوحيد والهدى والقنوط
من اوصاف الضالين كقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه

والأمن
إلا الضالون **وأما قولهم والإياس**
ينقلان عن الملة لأن الله تعالى وعد وأوعد وهو قادر
عليهما ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة وفي الإ
ياس عن الرحمة ظن العجز عن العفو والمغفرة وكل واحد
منهما ناقل عن الملة وأما قولهم وسبيل الحق بينهما لأهل
القبلة يعنون بالسبيل بينهما الوقوف بين الخوف والرجا
إذ هو حقيقة العبودية قال الله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وقال تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه وقال
يدعوننا رغبا ورهبا

وأما قولهم ولا يخرج العبد

من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه فمعناه أنهم بالتصديق
والقبول دخلوا في الإيمان فالخروج منه نعوذ بالله العظيم

يكون بالرد والتكذيب والأصل في هذا أن الدخول
في الإسلام يكون بإيمان الجملة وهو التصديق بوحدانية
الله تعالى وبما جاء به محمد من عند الله وجميع ما يجب اعتقاده
فقد دخل تحت هذه الجملة فالعبد مؤمن بإيمان الجملة
ولا يخرج منه إلا بجحود كله أو بجحود شيء منه عند
التفصيل إذ رد بعضه كرد كله وذكر القاضي أبو حفص
الغزنوي في هذا معنى جامعا فقال ينظر كل ما يتيقن
بأنه ردة فإنه يحكم بها وكل ما يشك في كونه ردة لا يحكم
بها لأن الإسلام الثابت لا يزول بالشك فيعتمد الحاكم
والمفتي التثبت فيما ينبني عليهما في هذا الباب وهذا كما ذكر
عن بعض مشايخنا أنه قال أن رسول الله أمر أن يقاتل الناس
بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلا
تخرجهم أنت بلسانك أي لا تفت بردة أحد إلا بما تتيقن
أنه ردة ثم ذكر الطحاوي قولهم في إيمان الجملة فقالوا
الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وأن جميع

ما انزل الله في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع
والبيان كله حق والايمان واحد واهله في اصله سوا والتفاضل
بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة
الاولى والمومنون كلهم اوليا الرحمن واكرمهم عند الله
اطوعهم له واتبعهم للقرآن

وأما قولهم والايمان هو الاقرار

باللسان والتصديق بالجنان قال القاضي ابو حفص ارادوا
بهذا ظاهر الايمان الذي يتوقف عليه وتتعلق به
احكام الايمان يدل عليه قولهم والتصديق بالجنان
اذ مجرد الاقرار لا يكون ايمانا بدليل قوله تعالى وما هم
بمومنين وقد كانوا يقولون امنا بالسنتهم فلم يكن ذلك
ايمانا حيث نفى الله عنهم الايمان واخبر ان محل الايمان
هو القلوب فقال تعالى يقولون بافواههم ولم تومن قلوبهم
وكانوا يعترفون بالسنتهم دون التصديق بقلوبهم فلم

يكن بمجرد اقرارهم ايمانا وقال تعالى ولما يدخل الايمان
في قلوبكم فثبت ان الايمان هو التصديق بالقلب وان
الاقرار باللسان لتعليق الاحكام ولا اطلاع على ما في
القلوب الا لرب العالمين

وأما قولهم وان جميع ما انزل

الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من
الشرع والبيان كله حق قال القاضي ابو حفص الغزنوي
انما ذكروا هذا الفصل تاكيدا ومبالغة في المواظبة
على الايمان بطريق الاجمال ليكون ايمانه محتويا على كل
ما يجب ان يومن به جملة ولهذا قال المحققون من
علما الاصول ان الايمان في تحقيق التحصيل هو الايمان
بالله وبجميع ما جاء به محمد من عند الله وقد احتوى قول
فقها الملة وان جميع ما انزل الله تعالى في القرآن على
الايمان على الايمان بحدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته

وقدمه وكمال صفاته وتعاليه عن سمات الحدث والايمان
بكتبه المنزلة على رسله ووعده ووعيده وما انزل من
المثلات بمكذبي انبيائه ورسله وجميع ما ذكر في القرآن
فذلك كله حق يجب التصديق والاعتقاد بحقيته وكذلك
جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل
المتواتر من جميع احكام الشرع وجميع ما صح عنه من
بيان مصالح الدارين فذلك كله حق يجب اعتقاد
حقيته اذ قامت البراهين العقلية والمعجزات القاهرة
والحجج الواضحة من الكتب السالفة على كونه رسول
رب العالمين وعلى عصمته عن الخطأ والزلل في كل ما يخبر
ويقول وانه لا ينطق عن الهوى في كل ما بين وشرع الا
عن وحي يوحى

واما قولهم والايمان

واحد فانما قالوا ذلك لان الاصل في الايمان هو الايمان
بالله تعالى وجميع ما يجب ان يؤمن به من الملائكة
والكتب والرسل واليوم الآخر وغير ذلك فهو كله داخل
تحت الايمان بالله تعالى اذ هو رب العالمين وما سواه
فهو محدث مملوك له ملك ايجاد وتخليق فهذا معنى
قولهم الايمان واحد والاصل في ذلك قوله تعالى فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى هي الوكادة التامة فصار الايمان بالله جامعا
لكل ما يجب ان يؤمن به اذ كل ذلك له ومنه فلا تزول
الوكادة التامة الثابتة بشهادة هذا النص الا بجحود
شيء مما تضمنه ايمان الجملة

واما قولهم واهله في اصله سواء

قال القاضي ابو حفص الغزنوي ارادوا بهذا ان اهل السماء
واهل الارض في اصل الايمان على السواء اذ ايمان اهل السماء واهل
الارض واحد وكذا ايمان الاولين والآخرين واحد وهو التصديق
بوحدانية الله تعالى وبكل ما يجب الايمان به جملة لقوله تعالى

فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى واهل الايمان في هذا الاصل سوا من حيث التبري من
الكفر والدخول في الايمان ومن حيث اداء الايمان فلا يكون
ايمان الاولين غير ايمان الاخرين اذ كلهم امنوا بالوهية الله
تعالى ووحدانيته وقدمه وقدرته وما جاء من عنده وهكذا
فسر ابو حنيفة قدس الله روحه في كتاب العالم والمتعلم فقال كتاب العالم والمتعلم لابي حنيفة
ان ايماننا مثل ايمان الملائكة لانا امنا من وحدانية الله تعالى
وربوبيته وقدرته وما جاء من عند الله عز وجل بمثل
ما اقرت به الملائكة وصدقت به الانبياء والرسل فمن
ههنا ايماننا مثل ايمانهم لانا امنا بكل شي امنت به الملائكة
مما عاينته من عجائب ايات الله تعالى ولم نعاينه نحن
ولكنا امنا بكل شي امنت به الانبياء والرسل ولهم بعد ذلك
علينا فضائل في الثواب على الايمان وجميع العبادات لان
الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم
وصلاتهم ونبوتهم وجميع امورهم لانهم القادة وهم

امنا الرحمن ولا يدانيهم احد من الناس في عبادتهم وخوفهم
وخشوعهم وتحملهم المؤونات في ذات الله تعالى ولان
من ادرك من الناس باذن الله تعالى الفضل فانما ادرك
بهم فلهم مثل اجور من يدخل الجنة بدعائهم هذا كله
من كلام ابي حنيفة رحمه الله في كتاب العالم والمتعلم

واما قولهم والتفاضل بينهم

بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الاولى قال
ابو حفص الغزنوي عنوا بالتفاضل التفاوت في اوصاف
الايمان من الثقل والاستنارة والضيا كما ورد لو وزن
ايمان ابي بكر وايمان امتي لرجح عليهم وكما ورد في الخبر
يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذى من ايمان ثم
يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذى من ايمان وهذا كله
بيان لثبوت التفاوت في ثواب الايمان واما قوله تعالى
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فقد روي عن ابن عباس

انه قال في تاويل هذه الاية انهم آمنوا بما انزل الله تعالى
اولا ثم انزل الله فريضة اخرى او حكما آخر فآمنوا بزيادة
على ما آمنوا به قال ابو حنيفة رحمه الله فيكون الايمان عند
الشرح والتفصيل على ما تقدم منهم من ايمان الجملة زيادة
تصديق على تصديق وكذا ذكر علماء التحقيق في قوله
تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فقالوا ان تكرار الايمان
في كل وقت وساعة يكون زيادة ايمان على ايمانهم فيكون
ايمان ابن ثلثين سنة ازيد ايمانا من ايمان ابن عشرين سنة
كذا ذكره سيف الحق ابو المعين النسفي في كتاب تبصرة الادلة

وأما قولهم والمؤمنون كلهم أولياء

الرحمن واكرمهم عند الله اطوعهم له واتبعهم للقرآن
فانما قالوا هم اولياء الرحمن لقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا
ولقوله ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وأما قولهم واكرمهم
عند الله اتقاهم فانما قالوا ذلك لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله

اتقاكم ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى
وهذا منهم اخبار بان التفاضل والتفاوت بين المؤمنين
في الدرجات انما يكون في الطواعية لله تعالى واتباع
القرآن ثم ذكر الطحاوي قولهم في ايمان الشرح والتفصيل
فقالوا على نسق ما تقدم ذكره وان الايمان هو الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر
خيره وشره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله
لا نفرق بين احد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤا به
قال القاضي ابو حفص وغيره وانما قالوا هذا
الفصل تفصيلا لايمان الجملة وذلك لقوله تعالى
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله الى قوله واليك المصير وهذا هو اليوم
الآخر ولقوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق ولما روي
في الخبر المشهور المتواتر بعبارات فيها تقديم وتاخير
ومعانيها متفقة فروى نصر بن يحيى عن ابي مطيع
الحكم بن عبد الله في كتاب الفقه الاكبر قال ابو مطيع كتاب الفقه الاكبر
قلت لابي حنيفة رضي الله عنه اخبرني عن الايمان
قال فذكر حدثنا علقمة بن مرثد عن يحيى بن يعمر
قال قلت لابن عمر اخبرني عن الدين ما هو قال فاخذ
بيدي فانطلق بي الى شيخ فاقعدني الى جنبه وكان
ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ابن عمر لقد كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا الشيخ معي اذ دخل علينا رجل حسن اللمة
متعمما نحسبه من رجال البادية فتخطى رقاب الناس
فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا رسول الله ما الايمان فقال شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله وتؤمن بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى فقال
صدقت فتعجبنا لتصديقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع جهل اهل البادية ثم قال يا رسول الله
ما شرايع الاسلام فقال اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
وصوم شهر رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة
فقال صدقت لقوله بتصديقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانه يعلمه ثم قال يا رسول الله وما الاحسان
قال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
فقال صدقت ثم قال يا رسول الله متى الساعة فقال
ما المسؤول عنها باعلم من السائل ثم قفا فلما توسط
الناس لم ير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا
جبريل اتاكم ليعلمكم معالم دينكم قال ابو مطيع
قلت لابي حنيفة رحمه الله فاذا استيقن بهذا واقر به

فهو مؤمن فقال نعم قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله وفي بعض طرق هذا الحديث ان السائل قال اخبرني
عن الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر
خيره وشره من الله تعالى قال صدقت ثم قال اخبرني
عن الاسلام فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا الحديث الى اخره
وفي رواية محمد بن الحسن قال حدثنا ابو حنيفة قال
حدثنا علقمة بن مرثد الحضرمي عن يحيى بن يعمر قال بينا
نحن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رايت ابن عمر
قاعدا في جانبه فقلت لصاحبي هل لك ان ناتي ابن عمر نساله
عن القدر قال نعم قلت دعوني حتى اكون انا الذي اساله
فاني اعرف به منكم فاتيناه فقعدنا اليه فقلت يا ابا عبد الرحمن
انا قوم نتقلب في هذه الارضين فربما قدمنا البلد به قوم يقولون

لا قدر قال ابلغوهم اني بريء منهم واني لو اجد اعوانا لجاهدتهم
قال ثم انشا يحدثنا قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه
في اناس من الصحابة اذ اقبل شاب جميل حسن اللمة طيب الريح
عليه ثياب بياض فقال السلام عليكم يا رسول الله فرد النبي
صلى الله عليه وسلم ورددنا ثم قال ادنوا يا رسول الله قال
ادنه فدنى دنوة او دنوتين ثم قام متوقرا له فقال
ادنوا يا رسول الله فقال ادنه فدنى حتى جلس فالصق
ركبته بركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخبرني
عن الايمان ما هو قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله قال
صدقت فتعجبنا لقوله صدقت كانه اعلم به قال فاخبرني
عن شرايع الاسلام ما هي قال اقام الصلوة وايتاء الزكوة
وصوم رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة قال
صدقت قال فتعجبنا لقوله صدقت كانه يعلم قال فاخبرني
عن الاحسان ما هو قال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه

فانه يراك قال صدقت فتعجبنا لقوله صدقت كانه يعلم
قال فاخبرني عن قيام الساعة متى هي قال ما المسؤول عنها باعلم
من السايل قال صدقت قال فتعجبنا لقوله صدقت فانصرف
ونحن نراه فقال النبي صلى الله عليه وسلم علي بالرجل فسبرنا
في اثره فما ندري اين توجه ولا راينا شيئا فذكرنا ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال هذا جبريل اتاكم يعلمكم معالم
دينكم ما اتاني في صورة قط الا انا اعرفه فيها قبل هذه الصورة
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله هذا
حديث صحيح مشهور قبله الحفاظ وعلما الاصول
وقد تضمن المسايل الاعتقادية واصول شرايع الاسلام
وفيه دلالة من دلايل الرسالة وهو ظهور جبريل عليه
السلام في صورة رجل من اهل البادية ثم انتصب سايلا
عن معالم الدين ثم تغيب عنهم وهم ينظرون اليه ثم اخبر
عن كونه جبريل من شهدت المعجزات برسالته وعصمته
فكان السايل جبريل الامين والمفتي رسول رب العالمين

وفيه ان الايمان بالقدر من معالم الدين وترك الايمان بالقدر
مما يوجب التبري منه ولذلك تبرى ابن عمر ممن نفى القدر
وفيه دليل ان الايمان هو الاقرار والتصديق وان العمل شرايعه
وفي رواية احمد بن حنبل في مسنده ان السايل قال في فصل
الايمان فاذا قلت هذا فانا مومن فقال النبي صلى الله عليه
وسلم نعم ولم يقل ان شا الله ثم ذكر الطحاوي قولهم
في اصحاب الكباير فقالوا واهل الكباير في النار لا يخلدون
اذا ماتوا وهم موحدون وان لم يكونوا تايبين بعد ان
لقوا الله تعالى عارفين وهم في مشيته وحكمه ان شا
غفر لهم وعفى عنهم كما ذكر عز وجل ان الله لا يغفر بفضله
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وان شا عذبهم
في النار بقدر جناياتهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته
وشفاعة الشافعين من اهل طاعته ويبعثهم الى جنته
ذلك بان الله تعالى مولى اهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين
كاهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته

اللهم يا ولي الاسلام واهله مسكنا بالاسلام حتى نلقاك به
اما قولهم واهل الكباير لا يخلدون في النار اذا ماتوا
وهم موحدون فقد احتجوا لذلك بقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله وجميع علما اهل السنة
والجماعة هذه الاية حجة لنا على الخوارج والمعتزلة
اما على الخوارج فان بعضهم يقولون ان الذنوب كلها اشراك
بالله تعالى فمن ارتكب ذنبا صغيرا او كبيرا فانه يكفر
وبعضهم يقولون ان الكباير منها شرك وكفر دون
الصغاير اما وجه الحجة على الفريق الاول من الخوارج
فلان الله تعالى فصل بين الشرك وبين ما دونه واخبر
ان الشرك غير مغفور واطمع في مغفرة ما دونه حيث
علق غفرانها بالمشية وجانب الوجود يتعلق بالمشية دون
الممتنع وجودا ولو كان الكل اشراكا لم يكن للتفصيل
والقسمة معنى وكان يكون خلفا في خبر الله تعالى عن ذلك

واما الحجة على الفريق الثاني من الخوارج فكذلك لانهم انما
جعلوا الكبيرة شركا لمعنى وذلك المعنى موجود في الصغيرة
وهو قولهم انه نقض ما عاهد الله ان لا يعصيه ولا يخالف
امره والذنب سوا قل او كثر فهو عصيان فاما ان يلزمهم
القول بالاشراك بسبب الصغيرة بهذا المعنى فتكون
الاية حجة عليهم او يلزمهم ان يمتنعوا عن اطلاق اسم الشرك
على الكبيرة بهذا المعنى كما في الصغيرة فتدخل الكبيرة
تحت قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فتكون الاية
حجة عليهم ۞ واما على المعتزلة فانهم قالوا ان صاحب
الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر واذا
لم يدخل صاحب الكبيرة تحت قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به يجب ان يدخل تحت قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا لان قوله ما دون ذلك عام مطلق فيجب العمل
بعمومه واطلاقه وانه يقتضي ان ما دون الكفر من
الذنوب جايز المغفرة فانه تعالى اطمع في مغفرتها

حتى علقها بالمشيئة وما لا يجوز غفرانه في العقل لا يجوز
ورود القول به   وتعلقت المعتزلة بقوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها فدل ان اصحاب الكبائر لا يدخلون تحت المشيئة
فيحتمل ان يدخل تحت المشيئة اصحاب الصغائر وقد
عرفنا دخولهم تحتها بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قلنا لهم قوله لمن
يشاء وعد من الله تعالى المغفرة والصغائر عندكم
مغفورة بالحكمة عند اجتناب الكبائر فتعلم
اذا مغفرة الصغائر بالعقل وقد ثبت ان الكفر
لا يدخل تحت مشيئة المغفرة والصغائر مغفورة
بالعقل ولا يجوز مواخذتها فاذ لم تدخل الكبائر
تحت هذا النص يودي الى الخلف في خبر الله تعالى
وذلك محال فثبت ان الكبائر هي الداخلة تحت
النص واما قولهم وان لم يكونوا تائبين بعد ان لقوا الله

على ربهم وهم في مشيته وحكمه ان شاء غفر لهم وان شاء
عذبهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة ان الكبائر
والصغائر كلها في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليها
بعدله وان شاء عفى عنهم وكفرها بما معه من الايمان
وقالت المعتزلة ان الكبائر لا يجوز غفرانها بغير
توبة ولنا قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك
وقرنه بالمشيئة ولقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وهذا نص
صريح فهم منه اهل الحق كبائر الذنوب

واما قولهم وان شاء عذبهم

في النار بقدر جناياتهم بعدله   فانما قالوا هذا ردا
على المرجئة الخبيثة حيث يزعمون ان المومن لا يدخل
النار وقد دلت نصوص الوعيد من الكتاب والسنة

على جواز تعذيب صاحب الكبيرة بقدر ذنبه وبه
قال اهل الحق

وأما قولهم ثم نخرجهم منها

برحمته وشفاعة الشافعين من اهل طاعته فانما
قالوا ذلك بدلالة نصوص الشفاعة من الكتاب
والسنة المشهورة وفيها خروج صاحب الكبيرة
من النار فيكون ردا على المعتزلة له

وأما قولهم بان الله مولى أهل ذلك

معرفته ولم يجعلهم في الدارين كاهل نكرته فانما
قالوا ذلك لما دلت الدلائل العقلية والسمعية
على انتفاء التسوية بين المؤمن والكافر منها قوله
تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم

ساء ما يحكمون اخبر انه لا يستوي بين الفريقين ثم صرح ان
احدهما هم الذين امنوا فكان الفريق الاخر هم الذين كفروا
وقد نفى التسوية بينهما في المحيا والممات وصاحب الكبيرة
ممن امن وعمل الصالحات ولقول النبي صلى الله عليه حين نادى
منادي المشركين يوم احد فقال لنا هبل ولا هبل لكم الا
تجيبونه فقال ما نقول فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى للكافرين معناه الله
معيننا وناصرنا ومتولي امورنا قال الشيخ الامام
العالم نجم الملة والدين ايده الله وفي قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله مولانا ولا مولى للكافرين دلالة من
دلائل الرسالة فانه امرهم بان يقولوا في حال الضعف ذلك
والخوف وقد كان ابتلي المسلمون بالهزيمة بسبب خلاف
ومنازعة كانت من بعضهم وفيه اخبار بان عاقبة الامر
للمسلمين وان الله تعالى ناصرهم ثم حقق الله تعالى لهم
حسن العاقبة وفتح عليهم مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه

في عشرة آلاف مقاتل بعد ما اضطر الى الخروج منها
مهاجرا مع صاحبه ابي بكر وحيدا فريدا ولان الحكمة
توجب تفضيل اهل المعرفة على اهل النكرة فلو خلدهما
جميعا في النار بطلت التفرقة وثبتت التسوية فثبت التفرقة
بين اهل المعرفة والنكرة بدلالة السمع والحكمة

واما قولهم اللهم يا ولي الاسلام

واهله مسكنا بالاسلام حتى نلقاك به فانما طلبوا الثبات
على الاسلام الى الموت لان السعادة الابدية تحصل به
وخلقت هذه الدار مطية اليها ولزمت التكاليف
لاجلها فوجب طلب الثبات على ما به يتوصل اليها وهو
لقاء الله تعالى بالاسلام وكذلك طلب ذلك جبار الخليقة
قال يوسف صلوات الله عليه حين استقر في الملك
واجتمع بالاحبة رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل
الاحاديث فاطر السموات والارض الى قوله توفني مسلما

وكفى عبرة ولان المومن بين الخوف والرجا الى الموت على
على ملة الاسلام فوجب الاهتمام بسوال الموافاة بالاسلام
ثم ذكر الطحاوي قولهم في معاملة اهل القبلة في حياتهم
ومماتهم فقالوا ونرى الصلوة خلف كل بر وفاجر من
اهل القبلة وعلى من مات منهم ولا ننزل احدا منهم جنة
ولا نارا ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم
يظهر منهم شي من ذلك ونذر سرايرهم الى الله تعالى
ولا نرى السيف على احد من امة محمد صلى الله عليه الا
من وجب عليه السيف — اما قولهم بجواز الصلوة
خلف كل بر وفاجر من اهل القبلة فانما قالوا ذلك لان
الامتناع من الصلوة خلف اهل القبلة يورث تهمة البدعة
والقول باكفار اهل الكبائر وقد قام الدليل على فساد
ذلك ولان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
يصلون خلف الجبابرة من بني امية وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال اذا دعونا الى الرحمن اجبناهم واذا دعونا الى الشيطان تركناهم

وأما قولهم وعلى من مات منهم

فإنما قالوا ذلك لأنا ندبنا إلى الاستغفار لأهل القبلة
والصلوة على الميت استغفار له وشفاعة وقد امر رسول
الله صلى الله عليه بالصلوة على ماعز وأما قطاع الطريق
وأهل البغي إذا قتلوا في حال المحاربة لم يصلى عليهم فلأنهم
من أهل اللعن والصلوة ضد اللعن ولأنهم باينوا المسلمين
بالحرب والدار فألحقوا بهم بترك الصلوة عليهم عقوبة
وأما من يقتل الناس غيلة لأخذ أموالهم فهو ساعي في الأرض
بالفساد كقطاع الطريق فألحق بهم بترك الصلوة عليه

وأما قولهم ولا ننزل أحدا منهم

جنة ولا نارا فلأن ذلك إخبار عن الغيب وذلك لا يكون
إلا بطريق الوحي ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه
ولأن تبدل الأحوال في حق غير الأنبياء عليهم السلام في أحد

المحسنين أو المسيئين جائز على ما يكون سبق في علم الله تعالى
وذلك غيب عنا فيكون إنزال المحسنين بظاهر حاله الجنة
قولا بما لا علم له وذلك لا يجوز وكذا إنزال المسيء بظاهر
حاله النار يكون تأليا على الله تعالى وذلك باطل محظور
وعن علي رضي الله عنه أنه قال لا تنزلوا العارفين المحسنين
الجنة ولا المسيئين النار حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزلهم

وأما قولهم ولا نشهد عليهم

بكفر ولا بشرك ولا بنفاق فإنما قالوا ذلك لأن الطعن
بذلك من غير ظهوره ذلك يكون ظنا واتباع الظن محظور
قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولأنه
تتبع لما خفي علمه وذلك حرام قال الله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقال بعض أئمة التحقيق إذا سئل عن المؤمن
المحسن بعينه أين هو فالجواب أن يقال إن مات على
الإيمان وأداء الفرائض والواجبات تائبا من الكبائر

مستغفرًا من الصغاير فهو في الجنة وإذا سئل عن جماعة
المسلمين أين هم فالجواب أن يقال هم في الجنة لقوله تعالى
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار وإذا سئل عن الكافر مشار إليه يقول إن مات
على كفره فهو في النار وإذا سئل عن جملة الكافرين
فالجواب أن يقول هم في النار لقوله تعالى إن الفجار لفي جحيم

وأما قولهم ونذر سرائرهم إلى الله

تعالى فلأنه هو المطلع عليها دون العباد فوجب تفويض
ذلك إليه وأما قولهم ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد
صلى الله عليه إلا من وجب عليه السيف فإنما قالوا ذلك
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها ومعنى قوله بحقها الردة والقصاص
وإذا اجتمع جماعة على قتال أهل العدل وبدؤوا بالقتال

أو اجتمع أهل بلدة أو قبيلة على ترك فريضة من فرائض
الله تعالى كما فعلت ذلك قبائل العرب بمنع الزكوة
حتى قاتلهم أبو بكر وأصحابه ثم ذكر الطحاوي قولهم
في طاعة أولي الأمر فقالوا ولا نرى الخروج على أئمتنا
وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع
يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله تعالى فريضة

وأما قولهم ولا نرى الخروج

على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا فإنما قالوا ذلك
لأن فساد الخروج عليهم أشد وأعظم من جوار الخروج
عليهم لما في ذلك من كثرة سفك الدماء وسبي الذراري
والنساء وإنما خصوا الأئمة والولاة تمييزًا بينهم وبين
المتغلبين الذين لم ينعقد لهم بيعة من أهل الحل والعقد
وأما قولهم ولا ندعوا عليهم فإنما امتنعوا من الدعاء عليهم
لأنا لا نعرف المصلحة في ذلك وقد روي عن أنس بن مالك

انهم شكوا اليه ما لقوا من الحجاج ابن يوسف وقالوا الا
تدعوا الله لنا فقال لهم اصبروا فو الذي نفسي بيده
للذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم
فان ثبت هذا فان الحجاج كان يحج بالناس ويقتدي في
ابيان المناسك بالصحابة ويخطب بنفسه في الجمع ويصلي
بالناس مع ما اشتهر من فساده وكثرة سفك الدما ثم
كثر الخلل في الولاة من بعده مع التزي بزي الاعاجم
من لبس الذهب والحرير المصمت والتلهي بلهو الاكاسرة
وترك الخطب والوعظ بعرفات وايام الجمع

واما قولهم ولا ننزع يدا من طاعتهم

فانما منعوا من ذلك لانهم لو جوزوا ذلك افضى الى نزع
الكل عن الطاعة فيودي الى فساد عريض من كسر
شوكة المسلمين وشق عصاهم واطماع العدو فيهم
واما قولهم ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة فانما ارادوا

بذلك اذا دعوا الرعية الى طاعة الله عز وجل وما فيه
مصلحة العامة واما اذا دعوا الى المعصية فلا طاعة
وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق ثم ذكر الطحاوي قولهم في كون الصبر
والدعا للولاة بالصلاح افضل فقالوا وندعوا لهم بالصلاح
والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ
والخلاف والفرقة ونحب اهل العدل والامانة ونبغض
اهل الجور والخيانة ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه

واما قولهم وندعوا لهم بالصلاح

والمعافاة فهذا منهم بيان ان الدعا لهم بالصلاح اصلح من
الدعا عليهم فانما قالوا ذلك لما في الدعا لهم بالصلاح
من المصالح المتنوعة من رجا الاجابة وفيها عموم الصلاح
للوالي والرعية والتالف لقلوبهم والتسكين لما بهم من
الفساد واما قولهم والمعافاة اي وندعوا لهم بالمعافاة

وهي شاملة لمصالح الأديان والأبدان ففي صلاح
دينهم صلاح دين الرعية لأنهم اذا اصلحوا في دينهم حملوا
الرعية على اوامر الشريعة فحازوا جزيل الثواب وجميل
الذكر على مدى الأعقاب واذا اصلحوا في ابدانهم قدروا
على القيام بما حملوا من امانة الله عز وجل فيما استرعاهم
فقد صح عن النبي صلى الله عليه انه قال السلطان راع
على الناس وهو مسئول عنهم وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اللهم من ولي من امر امتي شيئا فارفق به ومن
شق عليهم فاشقق عليه

واما قولهم ونتبع السنة والجماعة

فانما قالوا ذلك لأن السنة طريقة الرسول وهي المفضية
الى الجنة وحسن العاقبة فمن سلكها افضت به الى
النجاة من العقوبة والفوز بالجنة اذ هي طريقة من
ثبتت الآيات والبراهين على كونه رسول الله وانما بعث

ليقتدى به قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
فيجب سلوك طريقته واتباعها وكذلك يجب اتباع الجماعة
الداعية الى الطريقة الرسول وهم الصحابة رضوان
الله عليهم ثم الذين اتبعوهم باحسان فاتباعهم هدى
وخلافهم بدعة وضلال

واما قولهم ونجتنب الشذوذ

والخلاف والفرقة فانما قالوا ذلك لما سبق بيانه غير
مرة ان اجماع الامة الهادية وهم الصحابة والتابعون
ومن سلك سبيلهم حجة من حجج الله تعالى موجبة للعلم
قطعا بالدلائل المذكورة في صدر الكتاب في فصل الاجماع
وقد توعد الله تعالى من تولى عن اتباع سبيل المؤمنين
بجهنم وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وسبيلهم اجماعهم وقد توعد بالنار على ترك سبيل المؤمنين

كما توعدهما على مشاقة الرسول وقد تواتر الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجتمع امتي على ضلالة ابدا وقال
صلى الله عليه من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه فثبت بالدليل القاطع ان خلاف السنة والجماعة
بدعة وضلال لان السنة اذا تواتر ورودها صارت كالمسموع
من الرسول واجماع السلف الصالح فقد ثبت كونه حجة
بدليل قطعي وعقلهم في اصابة الحق قد تايد بالدليل القاطع
فعصموا عن الخطا في اجتهادهم وعقل من خالفهم من بعدهم
لم يتايد بالدليل القاطع فلذلك زاغ عن الحق والهدى
من خالف اجماعهم فعلا كان او قولا وبالله التوفيق والعصمة

واما قولهم ونحب اهل العدل

والامانة قال القاضي ابو حفص ارادوا باهل العدل والامانة
اهل السنة والصيانة من المسلمين والمتمسكين بالعدل من
ولاة الامور وارادوا باهل الجور والخيانة اهل الخلاف

والعصيان منهم والجائرين من ولاتهم وارادوا بالحب والبغض
حب افعالهم وبغض افعالهم لا ذواتهم كما قال تعالى والله
لا يحب الفساد وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
اي يحب التوابين لاجل التوبة لانه يحب التوبة من عباده
وكذا في قوله ويحب المتطهرين اي لاجل تطهرهم لانه يحب الطهارة
واما قولهم ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه وانما ذكروا
هذا تاكيدا لما سبق بيانه لئلا يتشكك العبد عندما يشتبه
عليه لان حل جميع المشكلات غير ممكن فيجب التفويض
الى الله تعالى ويعتقد الحقية في كل ما ثبت عن الله تعالى
وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ويعرف يقينا ان عقول
الخلق قاصرة عن الحكم البشرية فكيف تدرك جميع الحكم
الربوبية وكان امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
يقول ايها الناس اتهموا اراكم واحسنوا الظن برسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يروى لكم عنه ومعناه ما ذكرنا وقال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ربي اعلم بعدتهم واخبر

عن اولئك الخواص بقوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم قالوا ذلك حين
اشتبه عليهم مدة لبثهم ثم ذكر الطحاوي قولهم في شدة
الاعتماد على ما ثبت بالنقل اذا كان متواترا او مشهورا حتى
الحقوه بالعقائد فقالوا ونرى المسح على الخفين في السفر
والحضر كما جاء في الاثر قال القاضي ابو حفص الغزنوي
وانما ذكروا هذا مع كونه من احكام الفقه لتواتر الاخبار
بذلك ولعمل الصحابة والتابعين بها حتى روي عن الحسن
انه قال اخبرني سبعون رجلا من البدريين انهم راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على خفيه ولان رسول
الله صلى الله عليه وسلم داوم على المسح خفيه حتى قبض
وعن ابي الحسن الكرخي انه قال اني لاخشى الكفر على من لا يرى
المسح على الخفين وقد قرئ قوله تعالى وامسحوا برؤسكم
وارجلكم بقرائتين بنصب اللام عطفا على المغسول وبخفضها
عطفا على الممسوح والاية اذا قرئت بقرائتين صارت كايتين فان

من انكر المسح على الخفين

امكن العمل بهما جميعا معا عمل بهما ولا يمكن الجمع بين
الغسل والمسح في حالة واحدة والعمل بهما في الحالين
ممكن فلما تواترت الاخبار بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم داوم على مسح خفيه حالة التخفف حتى قبض وداوم
على غسل رجليه حالة عدم التخفف زال الاشكال وتبين
حكم القرائتين وقد امتنع بعض المبتدعة عن ذلك فخرج
الحكم بتواتر الاخبار واجماع السلف عن حيز المجتهدات
والتحق بالاصول فلذلك ذكره فقهاء الملة ابو حنيفة وابو يوسف
ومحمد في فصول العقائد ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحج والجهاد
اذ هما من شعائر الاسلام وليس لهما وقت معين فقالوا
والحج والجهاد ماضيان مع اولي الامر من ائمة المسلمين
برهم وفاجرهم الى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما
اما قولهم في الحج والجهاد انهما ماضيان فهذا منهم بيان
بان الحج وان كان فرضا على كل مكلف في عمره مرة واحدة
لكنه سفر بجهاد بالمال والبدن عند القدرة وهو من شعائر الاسلام

فكان كالجهاد العدو حتى قال بعض مشايخنا في تصنيف له
ان الكافر اذا احرم من الميقات ووقف مع المسلمين
بعرفات وقضى المناسك فانه يحكم باسلامه لكون الحج من
شعاير الاسلام فيستدل بذلك على تبدل ما كان
يعتقده من الكفر لان الاسلام في الحقيقة اعتقاد
دين الحق وكذا الكفر اعتقاد دين الباطل وانما يوقف
عليهما بالدليل اذ الاقرار بالتوحيد دليل على وجوده
في القلب ولذلك قال مشايخنا اذا قال الحربي الوثني
انا مسلم يقبل منه ويجعل ذلك منه اسلاما بخلاف
الكافر الكتابي لان الاول يعتقد مطلق الكفر والثاني
كافر برسالة بعض الرسل متشبثا باليهودية او بالنصرانية
فما لم يوجد منه الايمان برسالة من كفر به مع التبري
من دينه الباطل لا يحكم باسلامه فكان الحج كالجهاد
واما الجهاد فهو من خصايص نبينا محمد صلى الله عليه وهو دعا
الى دين الله عز وجل وتوحيده قال الله تعالى وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة قال المفسرون معناه حتى لا يكون شرك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجهاد ماض منذ بعثني
الله تعالى حتى يقاتل اخر امتي الدجال

واما قولهم مع ايمة المسلمين

فانما قالوا ذلك لان الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر
فلا بد من سايس ضابط فيهما يسوس الناس ويقاوم العدو
واما قولهم مع بارهم وفاجرهم فانما قالوا ذلك لان العصمة
غير شرط في الامارة لانه مكلف بان يجري على شريعة
معصومة ثبتت بالحجج والبراهين فلا يقع بفجوره الباس
وروي عن علي رضي الله عنه قال لا بد من الامارة برا كان
او فاجرا فان كان برا اقيمت به الحدود ونفذت
به الاحكام وان كان فاجرا تومن به السبل وتحسم به مادة
السراق وعلى ذلك اجماع اهل السنة والجماعة واما قولهم
ماضيان الى قيام الساعة لا يبطلهما شي ولا ينقضهما فهذا منهم

بيان ان كثرة المؤنة وبعد الشقة والخوف الناشئ من الاراجيف
لا يكون عذرا مسقطا فرضيتهما فيبطل ما ذكر عن بعض المتأخرين
في الحج انه يسقط بالخوف من قطاع الطريق ونحوه فلهذه
الوجوه المذكورة في شأنهما الحقوهما بفصول العقائد
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الحفظة وفي ملك الموت وفي
عذاب القبر ونعيمه وفي سؤال منكر ونكير للميت
فقالوا ونؤمن بالكرام الكاتبين فان الله تعالى جعلهم علينا حافظين
ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض ارواح العالمين وبعذاب
القبر ونعيمه لمن كان له اهلا وسؤال منكر ونكير للميت
في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم
والقبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران

اما قولهم ونؤمن بالكرام الكاتبين

فانما قالوا ذلك لقوله تعالى ولما ثبت بالنقل المتواتر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما النص فهو قوله تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
فهذا نص صريح في اثبات الحفظة وكتبة اعمال بني ادم
وهو في حق الحفظة محنة امتحنهم الله تعالى بها كما امتحن
بعضهم بالكون مع السحاب وبعضا منهم جعلهم رسلا
الى العباد فهذه محن تعبدهم بها اذ الله تعالى عالم لم يزل
قادر لم يزل غني بذاته لم يزل وقد كتب الله تعالى في اللوح
المحفوظ جميع ما يكون وجميع ما تفعل العباد قبل خلقهم
ثم ان النقل قد ثبت بان الحفظة اذا صعدوا يقابلون
ما كتبوا بما في اللوح المحفوظ فلا يزداد ولا ينتقص عما
في اللوح المحفوظ فيكون ذلك من ابان علمه الازلي
عليهم ثم يثبت ما فيه الثواب والعقاب ويمحو ما ليس
فيه ثواب ولا عقاب واما وضع الحفظة فيما يرجع
الى العباد فمن الحكمة في ذلك الزيادة في ترغيبهم في الخيرات
وتحذيرهم عن ارتكاب السيئات اذ جميع ما تكتب الحفظة

من خير وشر عملوه فانهم يقرؤونه يوم القيمة ويجازون
عليه فيبعثه ذلك في الدنيا على الازدياد من الخير والكف
عن الشر ولان في الشاهد من علم ان عليه رقيبا وحافظا
يحفظ عليه افعاله ويراقب احواله كان احذر في التنبه
والتيقظ واما الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكثيرة متواترة

واما قولهم ونؤمن بملك الموت

الموكل بقبض ارواح العالمين فانما قلنا ذلك لثبوته بالكتاب
والخبر المتواتر اما الكتاب فقوله تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم فقد صرح الله تعالى بتوكيله ملك
الموت على قبض ارواح الخلق كما صرح بجعل الملائكة
حافظين علينا فوجب الاعتقاد بحقيتهما واما الاخبار
في كون ملك الموت متوكلا بقبض الارواح وله اعوان يجعلون
معه فقد وردت متواترة مستفيضة واما قولهم

ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا فانما قلنا
ذلك لانه دل عليه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقال ايضا مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا ومن انكر
عذاب القبر تعلق بقوله تعالى قالوا من بعثنا من مرقدنا والجواب
عن تعلقهم به قال اهل التاويل هو رقودهم بين النفختين
وقد تواترت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثبوت
عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا وهو مذهب
اهل السنة والجماعة فيجب الاعتقاد بثبوت ذلك

واما قولهم بسؤال منكر ونكير للميت

في قبره عن ربه ودينه ونبيه وقولهم بان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فانما قلنا ذلك لما
تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
كله ولاتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ثبوته وقد جاء في
تفسير قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ان ذلك في سوال منكر ونكير
في القبر وهذه الفصول من باب الخبر فاذا تواتر الخبر
عمن يخبر عن الوحي وجب قبوله والاعتقاد بثبوته
ولا يتكلم في كيفيتهما اذ ليس للعقل وقوف على كيفية
التعذيب والتنعيم في القبر وكيفية السوال للميت
وان كان العقل يستخبر تركيب باطن لا يتسارع اليه الفساد
مع وجود تركيب ظاهر يتسارع اليه الفساد فانه يستخرج
النار من الشجر الاخضر ويستخرج منه الماء بالعلاج وهما
ضدان حار وبارد يجاوران في جوهر واحد وكذا النار كامنة
في الحجر ولو سحق الحجر اجزاء لم يوقف على النار المكمونة
فيه ويرى خروج النار من ذلك الحجر عيانا بالقدح ومن
هذا القبيل كان داود عليه السلام يسمع تسبيح الجبال وان
كان غيره لا يسمع ذلك والجبل موات جامد وزعمت المعتزلة
ان التسبيح المضاف الى الجبال تسبيح الخلقة يعنون ان خلقة
الجبال تسبح بتنزيه صانعها فقال اهل الحق هذا منهم

ابطال لتخصيص داود عليه السلام تسبيح الجبال فان الله تعالى
قال يا جبال اوبي معه وقال تعالى والجبال يسبحن معه
وعلى قول المعتزلة لا تخصيص لداود عليه السلام بذلك
اذ الجبال تسبح خلقتها عند داود وعند كل احد فيبطل
تخصيص داود به والقول بذلك محال ثم لا يبعد اثبات
سرية ونوع حيوة فيها عند اهل الحق كذا ذكر في كتاب
التاويلات فكانت تسبح بتلك الحيوة والسرية فكان داود
عليه السلام يسمع من دون غيره وكذلك تسبيح الحصا
في كف نبينا صلوات الله عليه حتى سمع من حوله ذلك
وكذلك حنين الجذع اليابس اية من ايات رسالة نبينا صلوات الله عليه
حتى سمع صياح تلك الخشبة اليابسة اهل المسجد
وصح في الاخبار عن الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا
في بدو الاسلام يرون النور في الليلة الظلماء ويسمعون
تسبيح الطعام وهو يوكل وذلك اية لحقية الدين الذي
دعاهم اليه نبيهم صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بكل

بالكتاب او بالسنة المتواترة وان لم يوقف على كيفية ذلك
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الامور الكائنة في العالم
الثاني فقالوا ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيمة
والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب
والصراط والميزان اما قولهم ونؤمن بالبعث بعد الموت
فالاصل في هذا ان خلق العالم المشاهد من السماوات والارضين
وما فيهن انما كان حقا وحكمة مع تحقق الفناء فيه بوجود
العالم الثاني بعد فناء العالم الاول على ما تقدم البيان
غير مرة في فصول حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
وحكمة ايجاد اهلها للاستعباد فقالوا ونؤمن بالبعث
بعد الموت بالبراهين العقلية والاخبار الصادرة عن
الصدق وهي الكتب السماوية والرسل الذين قامت على
حقيتهم الايات المعجزة لكافة الخليقة والحجج التي هي
حكمة الصانع القديم فنطقت الكتب السماوية كلها
بقيام الساعة وبعث اهلها بعد موتهم وفنائهم وكذلك

نطقت الرسل والانبياء كلهم جميعا بالبعث بعد الموت
ودلت الحكمة على تحقق ذلك وانه لولا البعث لكان خلق
السماوات والارض للبعث اذ كان يكون الايجاد للاعدام
والبناء للهدم بلا عاقبة وذلك سفه وتعالى الصانع الذي
ملا كل شيء دلالة وحكمة ان يكون صنعه سفها قال الله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
صير خلق الخلق اذا لم يكن لهم رجوع اليه عبثا ثم نزه عز وجل
ذاته القديم عن ان يكون صنعه عبثا بقوله تعالى الله
الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم

واما قولهم وجزاء الاعمال يوم القيمة

اي نؤمن بجزاء الاعمال وانما قالوا ذلك لقوله تعالى
انما تجزون ما كنتم تعملون وقوله جزاء بما كانوا يعملون
واما قولهم يوم القيمة فانما قالوا ذلك لان الدنيا لا تصلح الجزاء
ان تكون دار الجزاء لانها جعلت دار العمل والآخرة جعلت دار

وانما قلنا ان الدنيا لا تصلح دار الجزاء لان الاصل في محنة
اهلها بالاوامر والنواهي هو الايمان بوحدانية الصانع
بالغيب بشهادة الايات والدلايل والانتها عن الكفر
والخلاف عن اختيار في الاتيان والترك وخلق الحيوة
والموت ليبلوهم ايهم احسن عملا لاظهار ما علم في
الازل من وجود شاكر وكافر كما قال هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مومن وكما قال فاما شاكرا واما كفورا ودلت
الدلايل ان يكون الايمان واجبا على التابيد وان يكون الكفر
حراما على التابيد فجعلت الحيوة الدنيا للعمل الى الموت
وجعل الموت للنقل الى الاخرة التي فيها يبعثون جميعا
للجزاء الوفاق ولو كان وقوع ابتدا الجزاء المويد في الدنيا
بطلت المحنة عن اختيار وكان الايمان اضطرارا بالمعاينة
العذاب وقد قام الدليل القطعي ان الايمان لا ينفع عند
معاينة الباس فجعل الجزا في دار البقا ولذلك سمي يوم
القيامة يوم الجزا قال الله تعالى مالك يوم الدين قالوا

ودلت الدلايل ان يكون [illegible] على التابيد ٥

يوم الجزاء   واما قولهم والعرض اي نومن بالعرض على اسرع
الحاسبين وانما قالوا ذلك لقوله تعالى وعرضوا على ربك
صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم الاية وقوله تعالى يوميذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية وقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين   واما ايمانهم بالحساب فلقوله تعالى وان
كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
واما ايمانهم بقراة الكتاب فلقوله تعالى وكل انسان الزمناه
طايره في عنقه ونخرج له كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا   واما ايمانهم بالثواب
والعقاب فقد قدموه في قولهم وجزا الاعمال وانما اعادوه
تاكيدا ومبالغة اذ خلق السموات والارض وما فيهما كان
للاستعباد بالاوامر والنواهي لاثبات الثواب والعقاب
وقال تعالى جزاء وفاقا فيكون جزا التوحيد ثوابا موبدا
وجزا الكفر عقابا موبدا اذ الدين يعتقد للابد   واما
ايمانهم بالصراط فلما ذكر اهل التفسير في قوله تعالى وان منكم

الاواردها فافقا لوا بضرب الصراط على متن جهنم وله
استوا ونزول وصعود قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا وقد تواترت الاخبار في
صفة الصراط انه جسر ممدود على متن جهنم احد
من السيف وادق من الشعر ومرور الناس عليه باعمالهم
فمنهم من يمر كالبرق وكالريح ومنهم من يمر كاجاويد
الخيل والركاب وكاشد العدو وعلى الرجل تجري بهم اعمالهم
ومنهم من يتهافت فيها وليس في العقل انكار شي من ذلك
اذا تامل حق التامل فان العقل من حجج الله تعالى وحججه
لا تتناقض فمن استوفى شرايط الاستدلال وجدها
متوافقة ومن قصر في ذلك او مال الى الهوى بنفسه
وجدها مختلفة وذلك ان من تامل بعقله في خلقته من ماء
مهين في ظلمات ثلث عرف ان صانعه قادر على كل شي
وكذا من تامل في كون السما قايمة في الهوى بلا عمد وكذا
من تامل في السحاب الثقال وعليه بحور الما وهو يسير

تارة ويقف تارة بين السما والارض على متن الهوا ومن
شان الثقيل الانحدار والنزول والهوا لا يصلح قرارا
للجسم الكثيف ولذلك قال الله تعالى والسحاب المسخر بين السما
والارض لايات لقوم يعقلون فمن تامل بعقله عرف ان من يمسك
السما في الهوا بلا علاقة ولا عمد وسخر السحاب الثقال
وعليه بحور الما بين السما والارض بلا علاقة من فوق ولا
عمد من تحت قادر على امشاء العباد على الصراط المذكور
وعلى غيره وانه لا يعجزه شي فوجب الايمان بكل ما جا به
الكتاب والسنة المتواترة   واما ايمانهم بالميزان والوزن
فلقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ولما وردت
به الاخبار   واما الكلام في ماهية الميزان وكيفية الوزن
فلم يتعرضوا لذلك لما وجدوا النصوص مطلقة واختلف
اهل التاويل في الماهية والكيفية اذ مذهبهم في كل ما لا يجب
العمل به ويجب الاعتقاد اقتصروا فيه على اثباته واعتقاد
حقية المراد به   ثم ذكر الطحاوي قولهم في الجنة والنار

ثم قالوا والجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان ابدا فان الله
تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما اهلا فمن
شاء منهم للجنة فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه وكل يعمل
لما قد فرغ منه وصاير الى ما خلق له   اما قولهم بدوام
الجنة ونعيمها ودوام النار وعقابها فانما قالوا ذلك
لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ولقوله تعالى لا مقطوعة ولا
ممنوعة ولان الجنة اعدت للمتقين لايمانهم على التابيد
والنار اعدت للكافرين جزاء كفرهم على التابيد وقال
تعالى جزاء وفاقا وقد صرح الله تعالى بذكر الخلود والابد
في جزاء الكافرين والمومنين فوجب القول ببقائهما على
الابد وقد رفع الانقطاع عن نعيم الجنة ورفع ابتغاء
التحول عنها بقوله تعالى لا يبغون عنها حولا فوجب الاعتقاد
ببقائهما على الدوام وعليه اجماع اهل الحق وخالف جهم بن

صفوان وبعض المعتزلة بقاء الجنة والنار وقولهم باطل بالكتاب
الصريح والسنة الواضحة واجماع الامة ومن السنة الواضحة
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة لا يموتون ولا
يهرمون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم

واما قولهم فان الله تعالى خلق الجنة

والنار قبل الخلق فهذا تصريح منهم بانهما مخلوقتان موجودتان
اذ صرحوا بخلقهما قبل الخلق وانما قالوا ذلك لقوله تعالى
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين وقوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله
وقال في النار اتقوا النار التي اعدت للكافرين ذكر
الاعداد والمعدة هي المهيات الموجودة وقد تواتر الخبر
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري الجنة والنار وما اعد
لاهلها   واما قولهم وخلق لهما اهلا فمن شاء منهم للجنة
فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه فانما قالوا ذلك لقوله تعالى

سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
فذكر في الثواب الفضل ولقول النبي صلى الله عليه لا يدخل احد
الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته وقال تعالى والله ذو فضل
عظيم والله ذو فضل على العالمين وبطل بهذه النصوص
الصريحة قول المعتزلة انه يجب على الله تعالى ان يفعل
بالعباد ما هو الاصلح لهم في الدين وقال بعضهم يجب
عليه فعل ما هو صالح لهم في الدين فعلى قود مذهبهم لا
يكون الله تعالى منانا ولا وهابا ولا منعما ولا متفضلا لان
من فعل ما هو واجب عليه لا يكون وهابا ولا منانا ولا منعما
ولا متفضلا وانما يكون قاضيا حقا واجبا عليه وقد سمى
الله تعالى نفسه بهذه الاسماء على الحقيقة فبطل قولهم ولانه
لا موجب في الحقيقة الا الله تعالى اذ الايجاب صفة
الاله على الحقيقة ولا اله غير الله تعالى فبطل قولهم بالايجاب

على الله تعالى ولان ما سواه عباده ومماليكه وملكه ملك
تخليق وايجاد وفي الشاهد لا يجب للعبد على سيده جزاء
بازاء عمله لان منافعه على ملكه ومعلوم ان العبد في الشاهد
ملك لسيده مجازا لا حقيقة والاشياء كلها ملك الله
تعالى حقيقة ملك تخليق ولذلك قال النبي صلى الله عليه لا يدخل
احد الجنة الا برحمة الله واما قوله تعالى جزاء بما كنتم
تعملون ونحوه من النصوص فانما جعل الله تعالى الثواب
بازاء العمل كرما وفضلا وجودا ورحمة واما قولهم ومن شاء
للنار عدلا منه لانه سبق في علمه في الازل من يكفر به ويخالف
امره اذا وجد وبلغ التكليف عن اختيار لا مضطرا فخلقه
لما علم وحكم له بالنار عدلا منه فيظهر ما علم على ما علم
اذ لا يجوز ان يظهر على خلاف ما علم في الازل اذ يكون
في ذلك انقلاب علمه جهلا وذلك محال في حق الله
تعالى واما قولهم عدلا منه فانما قالوا ذلك لان الظلم
وضع الشيء في غير موضعه وهو تعالى وضع التصرف في ملكه

ولم يضع في ملك غيره وكذى يعذب على ترك الامر وارتكاب
النهى فكان فعله عدلاً وحكمةً وانما الظلم والسفه هو ان
يامر الامر بالشئ ثم يعذب المامور اذا ائتمر او ينهى عن شئ
ثم يعاقبه اذا انتهى عما نهاه وتعالى الله عن ذلك كله
ثم ذكر الطحاوى قولهم في الخير والشر مرةً اخرى فقال
والخير والشر مقدران وانما عاودوه تاكيدًا ومبالغةً
في اثبات القضا والقدر فان قيل كيف يحسن تخليق
الشر وتقديره قيل له الصنع اذا كان له عاقبة حميدة يكون
حكمةً ولا يكون سفهًا ولا قبيحًا وفي تخليق الشر وجوه من
الحكمة منها كمال القدرة اذ القادر على ايجاد الضدين
يكون موصوفًا بكمال القدرة وكمال القدرة من شرط
الالوهية ومنها الدلالة على انه ما اوجد العالم لمنافعه
اذ لو لم يوجد الا الخير لكان ربما يتوهم متوهم انه خلق
العالم لمنافعه ومنها انه لا يتضرر بالاشرار والعصاة لان
من علم ان مفعوله يضره لا يفعله فكان في خلقه الشر دلالة

على القادر قال الفاضل ابو حفص ... الخيرى وفيه ...

انه لا يتضرر بالعصاة ولا ينتفع بالاوليا ثم ذكر الطحاوى
قولهم في الاستطاعة فقالوا والاستطاعة ضربان احدهما
الاستطاعة التي يوجد بها الفعل من نحو التوفيق الذي
لا يجوز ان يوصف المخلوق به فهي مع الفعل واما الاستطاعة
من جهة الصحة والوسع والتمكين وصحة الالات
فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال الله تعالى لا يكلف
الله نفسًا الا وسعها وافعال العباد خلق الله تعالى وكسب
من العباد ولم يكلفهم الله الا ما يطيقون ولا يطيقون الا
ما كلفهم به وهو تفسير لا حول ولا قوة الا بالله نقول
لا حيلة لاحد ولا تحول لاحد ولا حركة لاحد على اقامة
طاعة الله تعالى والثبات عليها الا بتوفيق الله تعالى
وكل شئ يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره
غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها
يفعل الله ما يشا وهو غير ظالم ابدًا تقدس عن كل سوء
وحين وتنزه عن كل عيب وشين اما قولهم والاستطاعة

لا حول لاحد عن معصية الله تعالى الا بعصمته ... ولا قوة ... الا بالله

ضربان فانما قسموا الاستطاعة على هذين القسمين لان المامور
بالفعل لا بد له من القدرة على الفعل ثم الاستطاعة
والقدرة في وصف العبد شيء واحد يقال يستطيع
ويقدر بمعنى واحد ثم القدرة باطنة وظاهرة فالاستطاعة
الباطنة هي التي يوجد بها الفعل يحدثها الله تعالى
مقرونة بالفعل ففي الطاعات يسمى توفيقا وفي المعاصي
يسمى خذلانا لا يوصف المخلوق به فهذه الاستطاعة
تكون مع الفعل ليكون العبد مفتقرا الى توفيق الله تعالى
ومشيئته وتاييده في كل لمحة ولحظة وهي حقيقة
العبودية قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
والله هو الغني الحميد وقال ان الله لغني عن العالمين وهو مذهب
اهل السنة والجماعة واما الاستطاعة الثانية فهي القدرة
الظاهرة وهي من جهة الوسع والتمكين وصحة الالات
وهي متقدمة على الفعل فالقدرة التي يوجد بها الفعل
هي باطنة لا تتعلق احكام الشرع بها لانها باطنة قبل وجودها

هي معدومة وتعليق الاحكام بالمعدوم يفضي الى اهدارها
والله تعالى شرع الاحكام للالزام لا للاهدار وبعد وجودها
هي خفية لا يقف العبد عليها ولا يبقى زمانين لانها عرض
فالقول بتعليق الاحكام بها قول بما ليس في وسع العبد
ولذلك احتجوا بقول الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فقالوا بثبوت هذه القدرة مع الفعل لاظهار حقيقة
العبودية بافتقار العبد الى الله تعالى في كل لمحة ولحظة
الى تخليق قدرة الفعل وهو مذهب اهل الحق وقالت
المعتزلة بتقديم هذه القدرة على الفعل وهو فاسد
من وجوه احدها ان في القول بتقديم قدرة الفعل على
الفعل قولا بالاستغناء عن الله تعالى وذلك محال والثاني
في القول بذلك اهدار احكام الشرع لان الامر اما ان يرد قبل وجود
هذه القدرة فيكون تكليفا قبل وجود القدرة والقول به
فاسد لما يكون تكليف العاجز او يرد حال وجودها وهي
لا تبقى الى زمان الفعل لكونها عرضا فيبقى الحكم متعلقا بغير قدرة

وهو مثل الاول او يرد الامر بعد وجودها فيصير واردا
حيث لا قدرة وهو فاسد فيبقى حكم الامر هدرا على ما بينا
فهذا معنى قولنا ان الله تعالى ما شرع الاحكام لاهدارها
بل شرع لتحقيقها فثبت صحة قول اهل السنة والجماعة
وظهر بطلان قول المعتزلة بما ذكرنا من الادلة ووجب
القول بتعليق الاحكام بالاستطاعة الظاهرة وهي القدرة
من جهة الوسع والتمكين وصحة الالات وهو ما قال الله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وكقوله ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا وصح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه فسر السبيل بالزاد والراحلة وعليه الاجماع
واما قولهم وافعال العباد خلق الله وكسب للعباد ومعنى
قولهم خلق الله تعالى اي مخلوقة لله تعالى وهي كسب من العباد
وقالت المعتزلة هي مخلوقة لفاعليها ومنعوا قدرة الله تعالى
عنها حتى جعلوا كل فاعل مختار خالقا لافعاله وهو اثبات
خالق غير الله تعالى وقد مر ذكر البراهين العقلية والحجج

السمعية لابطال قول المعتزلة في هذه المسألة مع ابطال
قول الثنوية في مسألة الاعيان ومر ابطال قول الجبرية
في زعمهم ان لا فعل للعباد على الحقيقة وانما تضاف اليهم
مجازا كما يقال جرى الماء واسود الشعر وطال الغلام وذكرنا
ضروب الادلة في كل من ذلك على الايجاز والايضاح
فيما تقدم ومما نذكرها هاهنا من حجج اهل الحق قول الله
تعالى بديع السموات والارض الى قوله وخلق كل شيء
وقوله ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه
وهو على كل شيء وكيل فكما لا يجوز تخصيص قوله وهو على
كل شيء وكيل لا يجوز تخصيص قوله خالق كل شيء ومنها
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خالق
كل صانع وصنعته ومنها قوله تعالى والله خلقكم وما
تعملون دخل تحت النص عملهم ودخل معمولهم بدلالته ولا يصح
تاويل المبتدعة بحملهم على ذوات الاحجار والخشب
التي اتخذوها اصناما لان ذوات الاحجار ليست من اعمال الكفرة

فقوله خالق كل شيء عمومه كعموم قوله وهو على كل شيء وكيل

بالاجماع وانما عملهم اتخاذهم اياها آلهة وما عبدوها ولا
سموها الآلهة بعد ايقاع النحت على ذوات الخشب وايقاع
النحت على الاحجار وقبل ذلك هي احجار وخشب لا تسمى
اصناما ولا يسمونها آلهة ولا يعبدونها قبل ايقاع عملهم
عليها فصاروا عابدين عملهم فلذلك احتج عليهم افتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقد تناول النص
عملهم وكان عملهم مخلوقا لله تعالى فكان حجة على المعتزلة
ومن حجج العقول ان العالم اعيان واعراض فالاعيان متركبة
وهي الاجسام وغير متركبة وهي الجواهر واما الاعراض
فمنها الحركات والسكنات والاقوال والافعال
والارادات والاعتقادات فالجسم الواحد من الفاعلين
المختارين يتصف بهذه الاعراض الكثيرة فصار على قول
المعتزلة اكثر العالم مخلوقا لغير الله تعالى وهو قول
الثنوية بل الثنوية اقرب حالا منهم لان الثنوية اثبتوا
للعالم خالقين اثنين والمعتزلة اثبتوا خالقين لا يحصون

كثيرة حتى قالوا ان كل فاعل مختار ممن جلت رتبته كالملك
والبشر او صغرت جثته كالبق والبعوض وانحطت رتبته
كالكلب والخنزير فهو خالق لافعاله في قولهم وقالوا
في قوله تعالى قل الله خالق كل شيء ان معناه خالق كل شيء
هو فعله ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخبر المتواتر القدرية مجوس هذه الامة حيث اثبتوا
لانفسهم قدرة تخليق الافعال والعجب من وقاحة المعتزلة
مع هذا انهم يسمون انفسهم اهل عدل وتوحيد وقد مر بيان
هذا فيما مضى ومن غباوتهم وضلالتهم انهم اخرجوا
من الدخول تحت قدرة الله تعالى ما لا يستحيل دخوله تحت
قدرة مخلوقه ومقدوره فسلبوا عموم قوله تعالى
قل الله خالق كل شيء وعموم قوله واعلم ان الله على كل شيء قدير
وبعض هذه الادلة كافي في ابطال قولهم واما الجبرية فقد
ذكر سيف الحق ابو المعين في كتابه انها طائفة ولم يثبتوا لهم
مناظرة بحجاج عن نحلتهم فلا تدعوا الحاجة الى الاستعداد

لا ما هو فعله من قصد [illegible] ولهم كل فاعل
مختار من ملك او بشر او بعوض او خنزير فهو خالق
لكل شيء هو فعله
صح

لمناظرتهم وقد دلت نصوص الاجزية ونصوص الوعيد على
بطلان قولهم ومذهبهم كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون
وقوله ذلك بما كسبت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد
وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ومما يبطل قولهم انا نتحقق في افعال العباد اختيارا
يبعثهم على الفعل لا على طريق الاجبار والاضطرار فان من
يقصد تحريك يده يجد لنفسه ويتحقق اختيارا في الفعل
وتركه وكذا في جميع الافعال بخلاف المضطر فان تحريك
يده يوجد منه اضطرارا حتى لو اراد ترك التحريك لم يقدر
على ذلك وهذا مما لا ينكره العاقل ومما يبطل قولهم
ايضا ان الفعل الذي يوجد جبرا واضطرارا يكون الفعل
لمن اجبره واضطره ويرتفع عنه الملامة والمذمة وقد دلت
نصوص الكتاب والسنة والاجماع على ثبوت الاجزية للعباد
بفعلهم وكسبهم عن اختيار فبطل قول الجبرية واما قولهم ولم
يكلفهم الله الا ما يطيقون ولا يطيقون الا ما كلفهم وهو

تفسير لا حول ولا قوة الا بالله فانما قالوا ذلك لان
ما حصل من الافعال باستعمال الآلة والاستطاعة ليس مما
تفرد العبد بها لانه لا يقع شيء منها على ما يقصده العبد على
الاستقلال فلم يكن خالقا لما بينا من الادلة بل كان كاسبا
لها وله في كسبه اختيار على ما بينا وقولهم وهو تفسير لا حول
ولا قوة الا بالله معناه لا حول لاحد ولا حيلة لاحد ولا
تحول لاحد عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة لاحد
على طاعة الله الا بمعونة الله وهذا هو حقيقة العبودية
ان يكون العبد مفتقرا الى الله تعالى في العصمة عن المعاصي
والتوفيق للطاعات ولكن سمى رسول الله صلى الله عليه في
الخبر الصحيح هذه الكلمة كنزا من كنوز الجنة فانه قال
لابي موسى الاشعري الا ادلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة
فقال بلى يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة الا بالله
واجمعت الامة على كونها من اصول العقايد وهي كقوله
تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين وكقوله ولوانا

نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وكقوله ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد   واما قولهم وكل شيء يجري بمشيئة الله
تعالى وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئته المشيئات
كلها وغلبت قضاؤه الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير
ظالم ابدا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما قالوا
هذا الفصل كله تأكيدا لما سبق من كلماتهم فيما مضى
وقد مر ذكر الادلة على كل حرف منها بما فيه كفاية
وبلاغ وفي قولهم غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه
الحيل كلها اثبات التوحيد ونفاذ الارادة لله تعالى وهو
مأخوذ من قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومن
قوله تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض ومن قوله فعال لما يريد ومن قوله

ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقد سبق البيان فيما مضى ان المعتزلة لا يمكنهم
الاحتجاج بادلة التمانع فان من عقد مذهبهم ان الله تعالى
شاء من كل كافر الايمان وشاء الكافر من نفسه الكفر
فكان ما شاء الكافر ولم يكن ما شاء الله فنفذت مشيئة الكافر
ولم تنفذ مشيئة الله واي تعجيز يكون ابلغ من هذا   ثم ذكر
الطحاوي قولهم في دعاء الاحياء للاموات فقالوا وفي
دعاء الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات والله تعالى
يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا
يملكه شيء ولا غنى عنه طرفة عين ومن يستغني عن الله
طرفة عين كفر وكان من اهل الحين   اما قولهم وفي دعاء
الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات فهذا منهم تصريح باثبات
المنفعة للاموات من قبل دعاء الاحياء وصدقتهم وانما قالوا
ذلك بدلالة النصوص الواردة بالدعاء كقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وقوله فبايعهن واستغفر لهن الله

وقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولان المؤمنين صاروا اخوة بسبب
الايمان فصار بعضهم من بعض لاتحادهم في المعنى الجامع بينهم
وهو التوحيد والمعرفة ولذلك وجبت صلاة الميت
على الاحياء وقد وعد الله تعالى الاجابة بقوله تعالى ادعوني
استجب لكم فكان من الواجب علينا ان نعلم ان الدعاء
ينفع حيث امرنا بالدعاء والاستغفار للاحياء والاموات
اذ لا يامر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه الا بما ينفع
واما قولهم وفي صدقتهم اي وفي صدقتهم ايضا منفعة للاموات
وانما قالوا ذلك لما ثبت عندهم ان التصدق لاجل المؤمن
الميت كالدعاء وقد روي في الخبر تصدقوا عن موتاكم
وقد روي ان النبي صلى الله عليه حضرت بين يديه جنازة
فسال هل عليه دين فقيل نعم فقال هل ترك وفاء فقيل لا
فقال صلوا عليه فقال ابو قتادة صل عليه يا رسول الله
وعلي دينه فصلى عليه ثم ساله هل قضى عنه مرتين فقال نعم في الثانية

اي في الثالثة فقال عليه السلام الان بردت مضجعه
وهذا نص في وصول منفعة صدقة الحي الى الميت
واما قولهم والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات
ويملك كل شيء ولا يملكه شيء فانما قالوا ذلك لما سبق
بيانه من النصوص الواردة بالدعاء وبالاجابة عند اجتماع
شرائط الاجابة كقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وكقوله اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي وروي يستجاب للعبد ما لم يستعجل قيل
يا رسول الله وما يستعجل قال يقول دعوت فلم يستجب
لي فيترك الدعاء وروي انه يستجاب للعبد للحال وقد
يستجاب له ويتاخر الى وقته كما روي ان موسى عليه
السلام دعا على فرعون وامن هارون فجاءه الوحي
قد اجيبت دعوتكما فاستقيما وتاخر الى وقت بلوغ الاجل
واما قولهم ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه
شيء فانما قالوا ذلك ابانة لنفع الدعاء وتصريحا بان المسؤول

يملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا يتعذر عليه شيء لأنه
يقول للشيء كن فيكون وهو كريم وهاب يعطي المسألات
ويجيب الدعوات جواد قادر على قضاء الحاجات ولما
قولهم ولا غنى عنه طرفة عين فإنما قالوا ذلك لأن ما سوى
الله تعالى عاجز عن درك ما يريد فهو ذو نقص الربوبية
مذلل بعز الألوهية مفتقر بلزوم نقص الحاجة ولا
ينفك عن الحوائج قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
والله هو الغني الحميد فذكروا هذا حثا على الدعاء وتحقيقا
لافتقار العباد إلى الله تعالى وقد عرف كل من تأمل في
نفسه أن كونه بالله عز وجل وقيامه به وبقاءه به إذ كل
نفس يتنفس العبد وكل لمحة ولحظة توجد منه فإنما تحدث
له بإنشاء الله تعالى فيلازمه الافتقار إليه في كل طرفة عين
وأما قولهم ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر قال القاضي
أبو حفص الغزنوي معناه من رأى نفسه مستغنيا عن الله طرفة
عين فقد كفر لأن الافتقار صفة لازمة للعبد كالحدثية والاستغناء

صفة ربوبية فإذا ظن العبد أنه مستغن عن الرب جل جلاله
صار جاهلا بالله تعالى مشاركا في صفة الربوبية فيكون كافرا
وكان من أهل الحين بفتح الحاء أي صار من أهل الهلاك
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في وصف الله تعالى بالغضب والرضا
فقالوا والله عز وجل يغضب ويرضى لا كأحد من الورى وإنما قالوا
ذلك لقول الله تعالى غير المغضوب عليهم قال المفسرون
غير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم بالكون على الصراط
المستقيم والمغضوب عليهم هم اليهود وكذا كل
من كفر بالله وعاند آياته وقال تعالى وغضب الله
عليهم وقال تعالى في وصف نفسه بالرضا لقد رضي الله
عن المؤمنين إذ يبايعونك وقال في وصف نفسه بالمحبة
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال إن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فدلت هذه الآيات على ثبوت
هذه الصفات له تعالى ولكنها ليست على ما هي صفات
لنا لأنها فينا صفات على تغير أحوالنا فإن الغضب في الخلق

عبارة عن حمى القلب وتوقده فيحمر عنده الوجه
وتنتفخ الاوداج والرضا تظهر عنده نضارة في الوجه
وسرور في النفس والمحبة ميلان الطبع وغليان القلب
والله جل جلاله يتعالى عن التغير وتبدل الصفات
فنقول انها صفات لله تعالى على ما ورد الكتاب والسنة
المتواترة لا كصفات المخلوقين وقد مر القول في
الصفات من نصوص الكتاب والسنة واجماع اهل
الحق بذكر براهينها وحججها وذكر المخالفين بتشبيهها
وتعطيلها ثم ذكر الطحاوي قولهم في الصحابة رضي جميعا
الله عنهم فقالوا ونحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا نفرط في حب احد منهم ولا نتبرا من احد
منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم
الا بخير وحبهم دين وايمان واحسان وبغضهم كفر
ونفاق وطغيان اما قولهم ونحب اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما قالوا ذلك لانهم بذلوا المجهود هم

نحب الصحابة رضي الله عنهم

في اظهار دين الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه
في اول الامر بتحمل الاذية من الاقارب والاباعد ثم بتحملوا تعذيب
الجبابرة والفراعنة اياهم حتى لجؤوا بقلل الجبال والتجؤوا
الى الكهوف والغيران وهجروا العشائر والاوطان واكلوا
ماكول البهائم اشفاقا على دينهم ثم لما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هاجروا اليه وتركوا ديارهم واموالهم
واما الصحابة من الانصار فانهم اووا ونصروا ثم كلهم جاهدوا
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا جميع الاعداء
في ذات الله تعالى لاعلاء كلمته واظهار دينه ثم خلفوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاهدوا القبائل المرتدة حتى ادخلوهم
في الاسلام بعد ما خرجوا منه ثم جاهدوا كفرة اهل الكتاب
والروم حتى ابطلوا عبادة الصلبان في ديار الشام ثم جاهدوا
الاعاجم حتى ابطلوا عبادة النيران واجمعوا كلهم على نقل
الكتاب السماوي وهو القرآن بالاحرف السبعة المنزلة
ونقلوا احكام الشريعة العزيزة المؤسسة على الوحي السماوي

فقاموا في جهاد أعداء الله عز وجل وتبليغ شريعته مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت نصيحتهم لله عز وجل
ولرسوله صلى الله عليه وسلم فوجبت متابعتهم ومحبتهم ولأن
الله تعالى أثنى عليهم في التورية والإنجيل وفي القرآن لما علم أنهم
يقومون مقام الرسل ويحسنون خلافتهم ونيابتهم في إظهار
دين الله عز وجل والشفقة على خلق الله تعالى قال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم
في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الإنجيل إلى قوله ليغيظ بهم الكفار وقال تعالى وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وقال تعالى يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن

أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم
فكأنما آذاني ومن آذاني فكأنما آذى الله ومن آذى الله تعالى
كان النار به أولى هذا بعض ما أجمع عليه حفاظ الآثار ونقلة
الأخبار وذكره علماء الأصول وأئمة الفقه والتفسير
وأما قولهم ولا تفرط في حب أحد منهم فإنما قالوا ذلك لأن
الإفراط في الشيء يوجب الفساد ألا ترى أن قوما أفرطوا
في حب علي رضي الله عنه فخذلوا بالوقيعة في أبي بكر وعمر
ورفضوهما مع عظيم فضلهما الثابت بالنصوص المتواترة
وإجماع الصحابة على خلافتهما وبيمن خلافتهما كان ظهور
الإسلام وبالإيمان بوجوب طاعتهما شكرهم الله تعالى بقوله
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه الآية وبقوله تعالى وسيجزي الله الشاكرين
وببركة طاعتهما نصرهم الله تعالى على المرتدين حتى أدخلوهم
في الإسلام بعد ما خرجوا منه ثم نصرهم على كفرة أهل
الكتاب حتى أبطلوا عبادة الصلبان ثم نصرهم على المجوس

عبدة النيران فمن طعن فيهم فانما يطعن لاجل هذا الجهاد العظيم
في ذات الله تعالى ولاظهارهما دين الله عز وجل وذلك
معلوم عند كل من تامل انه صنيع من ينطوي على عداوة
الاسلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم
الله وجهه يهلك فيك اثنان مبغض مفرط ومحب مفرط
الا ترى ان النصارى افرطوا في حب عيسى صلوات الله عليه
فادعى بعضهم فيه الالوهية وبعضهم الشركة وبعضهم
النبوة والولدية واما قولهم ولا نتبرا من احد منهم فانما
قالوا ذلك لانه لم يوجد منهم ما يوجب البراءة عنهم بل ظهر
وتحقق منهم ما ملأ الارض تسبيحا وتهليلا وتحميدا وتكبيرا
واعلنوا الاذان على قلل الجبال وجزائر البحار وعلموا الناس
شريعة خاتم النبيين صلى الله عليه فوجب حبهم والاقتداء بهم
على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم ولان الله تعالى قال لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة الى قوله فعلم ما في قلوبهم فقد اخبر تعالى

انه رضي عنهم وعلم ما في قلوبهم وفي اية اخرى اخبر انه
يستخلفهم ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم واخبر في اية اخرى
من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
فحقق لهم الاستخلاف في الارض والتمكين من اعداء الاسلام
وتبديل خوفهم بالامن ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وارتدت
قبائل العرب وثبت اهل الحرمين اهل مكة واهل المدينة ونفر
يسير كانوا عمال النبي صلى الله عليه وسلم بالبادية فاتى الله
تعالى بابي بكر والصحابة فجاهدوهم في الله عز وجل وقتلوا
مسيلمة الكذاب وادخلوهم في الاسلام فوجب علينا
تعظيمهم واتباعهم فمن طعن فيهم ولم يرض عنهم فذلك لتمكن
النفاق في قلبه وبغضه للدين الحق واما قولهم ونبغض
من يبغضهم ويعير الحق بذكرهم وانما قالوا ذلك لان حبهم يقتضي
حب الدين الذي بذلوا مهجهم واموالهم حبا لله تعالى ونصرة لدينه
فمن ابغضهم فان ذلك لبغضه الدين واما قولهم وحبهم دين
وايمان فانما قالوا ذلك تاكيدا لما تقدم من قولهم ليعلم ان

حبهم ليس بطبيعي كما يحب احدنا ماله وولده وانما يحبهم لهذا الدين
المرضي الذي ارتضاه الله تعالى دينا لهم بقوله ورضيت لكم
الاسلام دينا وبقوله ان الدين عند الله الاسلام وقد
وصفهم الله تعالى بقوله اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين يجاهدون في سبيل الله فهم ما احبوا احدا
الا لهذا الدين وما ابغضوا احدا الا من خالف هذا الدين
فمن احبهم فبحب الدين احبهم ومن ابغضهم فببغضه الدين
ابغضهم فيكون بغضهم كفرا ونفاقا وطغيانا وحبهم ايمانا
ودينا كما ورد حب الانصار اية الدين اذ كانت سائر
الاسباب الطبيعية والدنيوية منقطعة بينهم وبين
من بعدهم ولهذا قال علما الاصول ان من قتل اخر قصدا
لايمانه يصير مرتدا وقال الله تعالى في وصف الصحابة
ليغيظ بهم الكفار قالوا من غاظه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه فهو كافر لان الله تعالى اخبر انه يغيظ بهم
الكفار وذلك لان من لم يعتقد حقية هذا الدين

ببغضهم لما سبق من عظيم عنايتهم بامر الدين حتى بذلوا مهجهم
في نصرة الدين واعزازه فكان بغض من يبغضهم نتيجة النفاق
وخبث الاعتقاد فيكون عداوتهم عداوة لدين الاسلام
وذلك كفر وطغيان ونفاق ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم
في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا
لابي بكر الصديق تفضيلا له وتقديما على جميع الامة
وانما قالوا ذلك لان الصحابة اجمعوا على امامته وبايعوه
واجماعهم كاية من كتاب الله تعالى وقد مر في فصل الاجماع
ان اجماعهم صار حجة موجبة للعلم قطعا بنصوص سمعية
من الكتاب والاخبار المتواترة اما نصوص الكتاب
فنحو قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس والوسط العدل المرضي واجماع العدول
حق واثبت الله تعالى لهم الخيرية بقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فلو لم تكن امامته

حقا كان منكرا ولم يتصور منهم المطابقة على اثبات امامته
ومبايعته فمن طعن في امامته فقد طعن في اجماعهم
وصيرهم مبطلين فيكون ذلك طعنا في خبر الله تعالى
حيث اخبر انهم خير امة وانهم يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويكون ذلك منه طعنا في وصف الله تعالى اياهم
بالعدالة ويكون طعنا في النقل المتواتر عن صاحب الوحي
وهو قوله لا تجتمع امتي على ضلالة ويكون طعنا في خبر الله
تعالى بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما في قلوبهم وكان ابو بكر وعمر ممن بايعا تحت
الشجرة ثبت ذلك بالنقل المتواتر وقد اجمع المهاجرون
والانصار على امامته وفيهم اصحاب بيعة الرضوان فلا
يتصور اجماع الصحابة على خلافته وتقديمهم اياه
على غيره الا لكونه افضلهم حتى قال علي كرم الله وجهه رضيك له
رسول الله لديننا افلا نرضاك لدنيانا وقال له قدمك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نؤخرك اراد بذلك امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلافه اياه على الصلوة
في مرض موته وليس شيء اهم من امور الدين ولا ركن بعد
التوحيد اعظم من الصلوة فكان استخلافه عليها وامره
ان يصلي بالناس دلالة ظاهرة على خلافته واما ما يروى
عن علي رضي الله عنه انه توقف في بيعته فان ثبت لا يقدح
في خلافته لانه لو لم يستحق الخلافة لما بايعه بعد ذلك
وعلى انه روي انه بايع في اليوم الاول وروي انه بايعه
بعد اربعين ليلة وروي انه بايعه بعد ستة اشهر حين
قبضت فاطمة رضي الله عنها وتصديق الرواة واجب فيما
لا يخالف الكتاب والسنة الواضحة والاجماع لانهم امناء
الدين فيحمل ذلك على الاعادة مرارا بايع في اليوم الاول
وبعد اربعين ليلة وبعد ستة اشهر للتأكيد والاحكام
وحسما لمادة الاوهام لانه قد تواترت الروايات على
بيعته ولا يظن به مع جلالته وعلو مرتبته في العلم انه عرف
الحق في الابتداء ويميل الى الباطل في الانتهاء بل يجب تصحيح

الروايات كلها فتابع مرارًا تاكيدًا ونفيًا للاوهام خصوصًا
لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يهلك فيه
اثنان محب مفرط ومبغض مفرط ثم ذكروا قولهم في
خلافة عمر فقالوا ثم لعمر بن الخطاب معناه ثم تثبت
الخلافة لعمر بن الخطاب وانما قالوا ذلك لانه قد ثبت
بالادلة الموجبة للعلم حقية خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقد اوصى بها لعمر رضي الله عنه واتفقت
الصحابة على بيعته ثم ذكروا قولهم في خلافة عثمان
فقالوا ثم لعثمان بن عفان معناه ثم تثبت الخلافة لعثمان
بن عفان لان عمر رضي الله عنه جعل الامر شورى بين
ستة نفر من الصحابة كلهم مشهود له بالجنة فاتفق
رايهم على عثمان رضي الله عنه واتفقت الصحابة على متابعته
ثم ذكروا قولهم في خلافة علي رضي الله عنه فقالوا ثم
لعلي ابن ابي طالب معناه ثم تثبت الخلافة لعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلافة بعدي ثلثون سنة وكان تمام ذلك في خلافة علي
رضوان الله عليه ثم قالوا وهم الخلفاء الراشدون والايمة
المهديون ارادوا بان هؤلاء ساروا بسيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يعدلوا عن طريقته في شيء ثم ذكروا
قولهم في العشرة المشهود لهم بالجنة فقالوا وان العشرة الذين
سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد
لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله الحق وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وهم امناء هذه الامة
رضوان الله عليهم اجمعين اما تسميتهم للعشرة المذكورين باسمائهم
فانما صرحوا بذكرهم باسمائهم فلما تواترت الاخبار
بذلك والخبر المتواتر موجب للعلم كالمسموع من رسول الله
صلى الله عليه اياه من وجهين احدهما تقديم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياه على المبشرين بالجنة بالذكر اذ هو

اخبار عن الوحي السماوي وهو صلوات الله عليه مخبر
على الوجه الذي يوحى اليه والثاني ذكره اباه بالكنية
وهو دليل على الاكرام والتفخيم وذكر من بعده باسمائهم
من غير كنية وفيه دلالة على ورود الوحي في حقه
بالكنية وعلى ذلك وردت الاخبار في خطاب
الرسول عليه السلام اباه ودعائه بحرف الندا يا ابابكر
وعند ذكره على المغايبة كان يذكره بالكنية وورد
في اخبار اعلام النبوة ان رجلا كان بينما هو يحرث الارض
فلما فرغ من عمله ركب بقرته وسار فضربها فتكلمت
البقرة وقالت انا خلقنا لحراثة الارض تركبني وتضربني
فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انا اومن بهذا وابوبكر وعمر وما هما هناك
واما قولهم ونشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله الحق فانما صرحوا بلفظ
الشهادة لهم بالجنة لثبوت العلم بذلك بالنقل المتواتر

اذ المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم كالمسموع منه
مشافهة وذلك يوجب العلم قطعا والشهادة عبارة
عن علم العيان على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نظر الى الشمس فقال لرجل من اصحابه على مثلها فاشهد
واما قولهم وقوله الحق فلانه رسول الله صلى الله عليه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اي انه قال ذلك
بالوحي تبليغا واما قولهم وهم امنا هذه الامة رضوان
الله عليهم انما وصفوهم بالامانة وانهم امنا هذه الامة
لشهادة الرسول صلوات الله عليه لهم بالجنة تعيينا
باسمائهم بالوحي السماوي لعظيم امانتهم وشريف مناقبهم
المذكورة في الكتب المنزلة ولعظيم جهادهم في حراسة
الامة ونصرة الملة افتتحوا الفتوحات الواسعة قلعوا
القياصرة عن ممالك الشام ونكسوا التيجان عن رؤس
الاكاسرة وانفقوا كنوزهما في سبيل الله تعالى وتجنبوا
عما هو دأب طلاب الدول ثم ذكروا قولهم في ساير

الصحابة والصحابيات فقالوا ومن احسن القول في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه وذرياته فقد بري
من النفاق وانما قالوا ذلك لان احسان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نصرة الدين الحق ونصيحة الخلق
قد طبق العالم شرقا وغربا وكذلك ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم هن امهات المؤمنين واحسن في صحبة خاتم النبيين
صلوات الله عليه ونقلن علوم الدين فلهن حرمة الامهات
واما ذرياته عليه السلام فهم المطهرون من الادناس وهم
عيون الناس فوجب الاحسان في موالاتهم ومتابعتهم
فان ذلك اية الايمان وعلامة البراءة من النفاق لان اساءة
القول في اصحاب رسول الله وازواجه الطاهرات المقدسات
وذرياته المقدسين المباينين انما يكون لخبث الباطن وسوء
الاعتقاد وقد قال تعالى في وصفهم ليغيظ بهم الكفار فمن
غاظه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما ينبعث
غيظه منهم بسبب نصرتهم للدين الحق وقد تقدم بيان الحكم

في ذلك فنعوذ بالله من الخذلان وذكر القاضي ابو العلاء
صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد فقال روي عن
ابي حمزة السكري قال ما رايت احدا قط من العلماء احسن
قولا في اصحاب ابي حنيفة قدس الله روحه وكان يعطي
كل ذي حق حقه من الفضل وما ذكر واحدا منهم بالنقص
حتى مضى لسبيله رحمه الله قال وروي عن ابي يوسف
عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال افضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم نكف
عن جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بذكر
الجميل وروي عن ابي يوسف انه قال سمعت ابا حنيفة
رحمه الله يقول علي بن ابي طالب حجتنا يوم القيامة ولولا
علي ما علمنا كيف قتال اهل القبلة ومعنى ذلك ان ابا بكر
رضي الله عنه قاتل اهل الردة وقاتل كفرة اهل الكتاب وعمر
قاتل اهل فارس وكذلك عثمان قاتل الكفرة وسرب جيوشه
نحو المغرب ونحو الصين وغزت وراء الباب ولم يقاتل احد منهم

افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه

مع اهل القبلة ولا اشكال في قتال اهل الكفر لان جهاد
الكفرة من خصايص نبينا محمد صلوات الله عليه اذ هو
دعا الى دين الاسلام وبه جاءت الرسل وعلى وجوبه قامت
الحجج والبراهين واما امير المومنين علي بن ابي طالب فكانت
حروبه مع البغاة تارة ومع الخوارج اخرى اما مع البغاة
فقد كان السبب في ذلك الاجتهاد في طلب القصاص
والقصاص فرض ثبت بالكتاب عند القدرة على استيفايه
وكانت الفتنة عامة شديدة الشوكة ثم اجتمعوا على
ترك الطلب اذا كان الطلب يفضي الى هيجان الفتنة ونصب
المحاربة ثم كان قتاله مع الخوارج ولم يكن لشبهتهم اصل
تستند اليه فكانت فيه مارقة فقال ابو حنيفة علي بن
ابي طالب حجتنا عند الله تعالى يوم القيامة اذ عرفنا به احكام
القتال مع البغاة ومع الخوارج فانه قاتلهم ولم يسب لهم
ذرية ولا جعل اموالهم غنيمة تقسم وقال في البغاة اخواننا
بغوا علينا فقاتلناهم واما في الخوارج فقاتلهم على مروقهم

وكان معه علامة من النبي صلى الله عليه وسلم يكون اوليك
مارقة ثم ذكروا قولهم في العلماء السلف فقالوا وعلماء
السلف من السابقين والتابعين ومن بعدهم من الاثر والخبر
واهل الفقه والنظر لا يذكرون الا بالجميل ومن ذكرهم
بسوء فهو على غير السبيل قال القاضي ابو حفص الغزنوي
نوي رحمه الله وانما قالوا ذلك لان هولاء وتوقيرهم من
تعظيم الدين وهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في
تبليغ الشريعة الى الناس فوجب توقيرهم وتعظيمهم
واتباعهم ولان الله تعالى ندبنا الى الدعاء والاستغفار
لهم بقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين امنوا الاية فهذا هو سبيل المومنين بقضية الايمان
فمن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل اذ سبيل المومنين ان يوالي
بعضهم بعضا بحق الايمان الذي جمعهم وقد قال الله تعالى
والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض فمن ذكرهم بسوء

فقد عدل عن سبيل الموالاة الدينية وذلك من علامات
النفاق ثم ذكروا قولهم في رتبة الولاية والنبوة فقالوا
ولا نفضل احدا من الاولياء على احد من الانبيا عليهم السلام
ونقول نبي واحد افضل من جميع الاولياء ونؤمن بما جاء من
كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم قال القاضي
ابو حفص الغزنوي وانما قالوا هذا ردا وابطالا لقول
بعض المتصوفة ان من بلغ اقصى درجة اهل الولاية والمعرفة
كان افضل خلق الله تعالى وردا لقول بعض الغلاة في تفضيلهم
واحدا من الائمة على الانبيا صلوات الله عليهم وهذا
باطل لان الولي انما يستحق الولاية باتباعه النبي واقتدائه
به في طاعة الله تعالى على شريعته فيستحيل ان يكون
افضل منه او مثله ولان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ
درجة امن من السقوط عنها بالرسالة والعصمة اياه
وقد قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيستحيل
ان يوازيه في الفضل من لا يبلغ تلك الدرجة واما قولهم

ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم
قال الغزنوي وهذا منهم اثبات لكرامات الاولياء والمعتزلة
انكرت كرامات الاولياء وزعموا انها تشبه معجزات الانبيا
صلوات الله عليهم فيقع الالتباس بين النبي والولي وهذا
منهم خلاف لادلة الكتاب والاخبار فان كرامات
اصحاب الكهف من تحولهم ثلثماية سنين وزيادة تسع
نياما لقوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود من غير
اكل ولا شرب والبشر لا يبقى بلا طعام ولا شراب في العادة
اياما كثيرة فضلا من ان يبقى مدة مديدة وكذلك لم تبل
ثيابهم في تلك المدة المذكورة ولم تطل اظافيرهم ولم يبل
شبابهم في ثلثماية سنة والهرم يستولي على الانسان
فيما دون تمام ماية سنة وهذه الكرامات كلها كانت لاصحاب
الكهف في تلك المدة المذكورة في الكتاب ومنها قوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك وثبت بالكتاب انه راه مستقرا عنده قبل ارتداد الطرف

وهو عرش بلقيس قال المفسرون وهو آصف بن برخيا
ولم يكن نبيا بل هو رجل من اصحاب سليمان صلوات الله
عليه وقصة مريم وهزها الجذع اليابس حتى تساقط منها
رطبا جنيا وقد ثبت ذلك بالكتاب وكانت صديقة ولم
تكن نبية والاخبار في كرامات الاوليا اكثر من ان تحصى
وفي الصحاح ان رجلين من الصحابة خرجا من عند النبي صلى الله
عليه وسلم في ليلة مظلمة فاضات عصا احدهما فمشيا
في ضوهما فلما افترقا اضائت عصى الآخر فمضى كل واحد منهما
الى بيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بين ابي الدردا
وسلمان الفارسي ثم انهما جلسا على قصعة ياكلان منها
فسبحت القصعة فجعلا ياكلان منها وهما يسمعان تسبيحها
وروى اصحاب المغازي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بعث
جيشا الى قتال المرتدين بالبحرين وامر عليهم العلا ابن
الحضرمي فعبر بجيشه البحر الى قتال اهل دارين مسيرة يوم من
للسفينة البحرية وهم يمشون على الما بالصاهل والجامل

بيان كرامات ابي الدرداء وسلمان الفارسي

والناهق وفي كتاب دلايل النبوة لابي نعيم الاصفهاني وفي
كتاب المغازي ايضا ان سعد بن ابي وقاص اقتحم بجيشه على
دجلة وهي تطفح بالزبد في ايام الزيادة فعبروها الى ايوان
كسرى ومنها سماع سارية بن زنيم وجيشه نداء عمر بن
الخطاب من المدينة وهو يقول يا سارية الجبل الجبل وكانوا
في ضايقة عظيمة من المشركين فلجاوا الى الجبل فنصروا
منها ما كشف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر
يوم الجمعة عن جيشه بنهاوند فنادى باعلى صوته على
منبره فرسخين من خمس مائة فرسخ كذى ذكره سيف الحق
ابو المعين في باب اثبات كرامات الاوليا قال ايمة الاصول
وانما انكرت المعتزلة كرامات الاوليا لفساد عقايدهم
من نحو اثباتهم قدرة التخليق لغير الله تعالى وتعطيلهم
عن الله تعالى صفات الذات والفعل فلم يثبتوا لله تعالى
صفة الحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر ولا صفة
الفعل كالتخليق والتكوين والاحيا والامانة ونحو انكارهم

الرؤية الموعودة لاهل الجنة وغيرها من عقائدهم الفاسدة
التي جعلوا بها عن موافقة اهل السنة والجماعة حتى لم يؤهل
احدا منهم للكرامة فيؤمن بها لوجودها في نفسه وقولهم ان
اثباتها للولي يوجب الالتباس بين النبي والولي قول فاسد
بل ظهور الكرامة للولي يؤكد معجزة الرسول لان كرامة
الولي في الحقيقة معجزة لنبيه الذي هو ينتمي اليه لان الولي
يدعوا الى متابعة شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ولان
الفرق بين الولي وبين النبي ظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم
يدعي المعجزة والكرامة ويتحدى بها الخلق فيقول ان اية
رسالتي ونبوتي كذا وكذا والولي لا يدعي الكرامة وانما
تظهر على يده من غير تحدي ودعوى ومتى ادعاها سقط
من رتبة الولاية وصار فاسقا كذا ذكر علماء الاصول
منهم سيف الحق ابو المعين ثم ذكروا اعتقادهم في اشراط
الساعة فقالوا ونؤمن بخروج الدجال ونزول عيسى
بن مريم من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج

وخروج دابة الارض من موضعها قال القاضي ابو حفص
الغزنوي وانما قالوا بهذه الامور وهي من الاخبار السمعية
وقد تواتر نقلها نقلا يوجب العلم بها لاتصاله بنبأ
عن صاحب الوحي فيجب الاعتقاد بوجودها في المستقبل
على ما تواتر النقل بها لانها تواترت عمن شهدت له المعجزات
بالرسالة والعصمة عن الباطل فيتحقق وجودها لا اوقاتها
كما تحقق وجود سائر الاخبار السمعية من نحو قوله تعالى
الم غلبت الروم الى قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون في
بضع سنين تحقق بخبره بعد الهجرة عند تمام المدة المذكورة
وقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزل بمكة ووجد
يوم بدر وكقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وقوله واورثكم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطؤوها وقوله وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها وكقوله من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وكقوله وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
الاية فكما اذعن لها العقول الصحيحة قبل وقوعها وصدق
بحقيتها اولوا الالباب فكذلك تذعن لهذه الامور المذكورة
العقول الصحيحة وكما تحقق وجود ما قبلها من الوعود
فكذلك تتحقق هذه الامور بلا شك ولا ريب فوجب
الاعتقاد بحقيتها قال الشيخ الامام العالم
نجم الملة والدين ايده الله قد ذكر علماء الاصول بان الاخبار
التي تكون من ايات النبوة ودلائل الرسالة على انواع
نوع منها اخبار عما كان في الماضي ونوع منها في الحال
ونوع في المستقبل في زمن النبي ونوع منها في المستقبل منها
بعد زمن النبي عليه السلام ونوع منها في المستقبل يوجد
في زمن من صحب النبي عليه السلام ونوع منها اخبار
عما سيوجد الى اخر الدهر وكان لنبينا صلوات الله عليه
جميع الانواع اما النوع الاول فهو الاخبار عما كان

في الماضي وهو غيب عن كل من لم يعاينه ولم يسمعه
من عالم به ولا قراه في كتاب وهذا كقصص الانبيا المتقدمة
والامم الماضية وما نال المصدقون بالتصديق وما حل
بالمكذبين بالتكذيب وكالاخبار عن ايات الرسل وبراهينهم
وهي في الكتب السماوية وعند علماء اهل الكتاب ونبينا
صلوات الله عليه ولد من قوم اميين لا يعرفون الكتب
السماوية ولا يؤمنون بالانبيا والرسل وكانوا يعبدون
ما ينحتون من الاحجار والخشب ويتعجبون من تجريد
التوحيد ونشا هو صلوات الله عليه من حين ولد
الى ان بعث بين ظهراني قومه ولم يختلف الى استاذ
ومعلم ولا كان يحسن ان يقرا كتابا ولا يخط بيمينه ولا قدم
احد من علماء اهل الكتاب عليه ليلازمه ويعلمه
ولم يفارق عشيرته فاخبر بما في الكتب السماوية
وبما عند علما تلك الكتب على ما هي عندهم وعلى ما هي
في تلك الكتب ولسان تلك الكتب غير لسانه وهو لا يعرف

لسانهم ولم يقدروا على معارضته والرد في شيء فدل قطعا
انه انما علم جميع ما اخبر بالوحي السماوي من قبل علام الغيوب
وانه رسول الله اختصه لرسالته وجعل كل قصة ونباء
اية من ايات رسالته كما قال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وكما قال فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واما النوع
الثاني فهو اخبار عن كاين في الحال لم يقع عليه عيان
ولا ظهر للسمع ولا اتصل بالكتابة وهو ما كان في القلوب
والضماير وكان لنبينا صلوات الله عليه من هذا النوع كثير
وقد تواترت به الاخبار وكان اكثر اياته في حق المنافقين الا اخبار
عما في قلوبهم وعما اسروه فيما بينهم كقوله تعالى يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم واما النوع الثالث
فهو الاخبار عما يكون في المستقبل مما يوجد في حيوته عليه
السلام فهو كاخباره وهو بمكة ان الروم تغلب فارس
في بضع سنين وكاخباره بفتح مكة وكاخباره بقوله تعالى

سيهزم الجمع ويولون الدبر وهو يومئذ وحيد فريد بمكة
فتحقق بخبره ببدر بعد الهجرة واما النوع الرابع فهو الاخبار
عما يكون في المستقبل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في زمن
من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايضا كثير جدا تواترت
به الاخبار كقوله صلوات الله عليه لاصحابه تغزون الروم
فيفتحها الله وتغزون فارس فيفتحها الله وكقوله عليه السلام
لاهل مكة ادعوكم الى كلمة تدين لكم بها العرب وتودي
اليكم بها العجم الجزية قالوا وما هي قال كلمة لا اله الا الله
وكاخباره بقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون
بي شيئا وقد تحقق جميع ذلك في زمن اصحابه على ما اخبر
واما النوع الخامس فهو الاخبار عما سيوجد الى اخر الدهر
وهذا النوع يكثر جدا منها اشراط الساعة وهي خروج الدجال
ونزول عيسى بن مريم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض

من موضعها وخروج ياجوج وماجوج ومن هذه الاشراط
ما يكون عندها غلق باب التوبة فلا يقبل عند وقوعها من
فاسق توبة ولا من كافر اسلام وهي طلوع الشمس من
مغربها وخروج دابة تكلم الناس ثم ذكروا قولهم
في الاشياء المنافية للشريعة فقالوا ولا نصدق كاهنا ولا
عرافا ولا من يدعي شيئا بخلاف الكتاب والسنة واجماع
الامة قال القاضي ابو حفص الغزنوي وانما قالوا بتكذيب
الكاهن والعراف وكل من في معناهما لان الاطلاع على
الغيب ممكن الا لمن ارتضاه الله تعالى من انبيايه ورسله
على ما قال الله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيوحي باذنه وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من اتى كاهنا او عرافا فصدقه فقد كفر بما انزل
على محمد صلى الله عليه وسلم واما قولهم ولا من يدعي شيئا
بخلاف هذه الحجج لانا دعينا الى العمل بهذه الحجج وقد قامت
البراهين القطعية على كونها حجج الله تعالى على ما سبق بيانها

ولا نصدق كاهنا ولا عرافا

من اتى كاهنا

في اقسام الحجج الموجبة للعلم قطعا ويقينا فثبت بطلان
ما يخالفها لان حجة الله تعالى غالبة ملزمة فثبت ان ما يخالفها
مدحوض مغلوب فكل من ادعى شيئا بخلاف هذه الحجج
فيما يرجع الى عقد وديانة كان هوى باطلا على ما مر بيان
اصناف اهل الاهوا وكذا كل من ادعى شيئا فيما يرجع الى
سعود ونحوس كان رجما بالغيب حدسا وتخمينا على
ما مر بيان بطلانه في الكاهن والعراف ثم ذكروا عقيدتهم
في تحقيق الجماعة وابطال الفرقة فقالوا ونرى الجماعة حقا
وصوابا والفرقة زيغا وعذابا قال القاضي ابو حفص ارادوا
بالجماعة اجماع الامة الهادية لان حقية اجماعهم ثبتت
بادلة الكتاب والسنة فكان كاية من الكتاب لا يجوز
خلافه كما لا يجوز خلاف اية من الكتاب وقد مضى ذكر ادلة
حقية الاجماع في غير موضع واما قولهم والفرقة زيغا
وعذابا فمعناه ونرى الفرقة زيغا وعذابا وانما قالوا ذلك
لقول الله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد

ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ولقوله تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فتوعد (المؤمنين)
تارك سبيل بالنار وسبيل المؤمنين اجماعهم ولما تواتر
النقل الموجب للعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
ولقوله عليه السلام يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في
النار وذكر القاضي ابو العلا صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد عن مسعر بن كدام انه قال ما ادركت من الناس
له عقل كعمرو بن مرة كان اذا صلى الفجر وذلك بعدما
ذهب بصره فقال لاصحابه فيكم غريب فان قالوا نعم سكت
فلم يحدث وان قالوا لا اقبل يحدثهم فانه صلى الفجر يوما فلما
انصرف قال لاصحابه افيكم غريب قالوا نعم فسكت فلم يحدث
فقال الغريب رحمك الله او عافاك الله اني انما جئت مسترشدا
اني رجل دخلت في جميع هذه الاهواء فلم ادخل في هوى منها

الا القرآن ادخلني فيه ولم اخرج من هوى الا القرآن اخرجني
منه حتى بقيت ليس في يدي شيء فقال عمرو بن مرة الله الذي
لا اله الا هو لقد جئت مسترشدا قال ارايت ما اختلفوا
فيه هل اختلفوا في ان الله واحد قال لا قال فهل اختلفوا
في ان محمدا رسول الله قال لا قال فهل اختلفوا في دين الله انه
الاسلام قال لا قال فهل اختلفوا في القبلة انها الكعبة
قال لا قال فهل اختلفوا في ان الصلوة خمس قال لا قال فهل
اختلفوا في رمضان انه شهرهم الذي يصومونه قال لا قال
فهل اختلفوا في الحج انه بيت الله الذي يحجونه قال لا قال
فهل اختلفوا في الزكوة انها من مائتي درهم خمسة دراهم
قال لا قال فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة قال لا قال فذكر له
هذا واشباهه ثم قرا هو الذي انزل عليك الكتاب منه
ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات قال فهل
تدري ما المحكم قال لا قال فالمحكم ما اجمعوا عليه والمتشابه
ما اختلفوا فيه شد يدك في المحكم واياك والمتشابه

(قال فهل اختلفوا في القرآن انه كلام الله قال لا)

(قال والله الذي لا اله الا هو لقد جئت مسترشدا)

قال فقال له الرجل الحمد لله الذي ارشدني على يديك فوالله
لقد جئتك واني من اسوأ الناس حالا ثم لقد قمت من عندك
واني لحسن الحال قال فدعا له واثنى عليه خيرا ثم قام فقال
عمرو بن مرة ان الشيطان دعا اهل الكتاب الى امر فاجابوه
فطرحهم فيما قد علمتم وهو داعيكم كما دعاهم وطارحكم مثل
ما طرحهم فيه فعليكم بالامر الاول ثم فسر لاصحابه الامر الاول
بالذي اجتمعوا عليه وهو ما ذكر من تلك الاصول والفرائض
التي وصفها قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله
اتفق اقاويل الائمة المحققين في تفسير الامر الاول انه هو الذي
قبض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه اصحابه
الى ان تفرق الناس وهو ما تقدم ذكره في صدر هذا الكتاب
بالنقل المتواتر الموجب للعلم انه قال صلى الله عليه ستفترق
امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار
قالوا يا رسول الله ومن الناجية قال من كان على ما انا عليه
واصحابي وذكر القاضي ابو العلا في كتاب الاعتقاد فقال روى

ستفترق امتي

٢٩٦

عن حماد بن ابي حنيفة رحمه الله انه قال ما الامر الا ما جاء به
القرآن ودعا اليه النبي صلى الله عليه وكان عليه اصحابه رضي الله
عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى ذلك فمبتدع محدث
ثم ذكروا تفسير الدين والاسلام الذي دانوا الله عز وجل به فقالوا
رحمهم الله واتاهم الجنة ودين الله عز وجل في السما والارض
واحد وهو الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وهو بين الغلو والتقصير
وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الامن
والاياس اما قولهم ودين الله عز وجل في السما والارض واحد
وهو الاسلام فلان الاسلام هو دين الله عز وجل الذي تعبد به
عباده من الاولين والاخرين وارتضاه دينا لاهل السموات
والارضين وبعث للدعوة اليه الانبيا والمرسلين وانزل للامر به
وايجابه الكتب السماوية واقام لالزامه البراهين العقلية والحجج
السمعية وهو في الحقيقة اسلام العبد نفسه مع كليته الاشيا
لله رب العالمين سالمة له تعالى بلا اشراك لغيره في شي منها

الذي

لا في ملك ولا انشا ولا حكم ولا تقدير ثم احتجوا لذلك بقول
الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وبقوله ورضيت لكم
الاسلام دينا اخبر الله تعالى ان الدين الذي امر به والزم
عباده ان يدينوه ويتعبدوه به وانه هو الدين المقبول المرضي
عنده هو الاسلام واخبر ان من اتاه بغيره لا يقبل منه
فقال عز من قائل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين وقال تعالى لابرهيم اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ثم قال تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه
ويعقوب يا بني وصيا بنيهما بملة الاسلام قال تعالى ام كنتم
شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل
واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون واخبر تعالى عن يوسف
قال توفني مسلما   واما قولهم وهو بين الغلو والتقصير
وانما قالوا ذلك لان الميل الى احد الطرفين خروج عن
الاستقامة فالغلو هو المجاوزة عن الحد المجعول له والتقصير

أي أن الإسلام الذي هو دين الله بين الغلو والتقصير

نزول عن الحد المجعول له وكل واحد منهما مذموم وباطل
لخروجهما عن العدل والحق فالدين الحق هو وصف
الله تعالى بما وصف به نفسه بقوله ليس كمثله شي وهو
السميع البصير وبما تعبد به عباده بقوله قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وهو الحق
الذي به قامت السموات والارضون وهو الدين العدل الذي
جاءت به الكتب السماوية والرسل الذين هم قادة
الخليقة ثم غلت اليهود بقولهم ان البارى تعالى جسم
متركب على مثال صورة البشر وتبعتهم على ذلك المشبهة
من هذه الامة والقدرية قصرت بنفي قدرة تخليق
الافعال عن الله تعالى   واما قولهم وبين التشبيه والتعطيل
اي الاسلام الذي هو دين الله عز وجل هو اثبات الاسماء
والصفات على ما جاءت به الكتب والرسل من غير تشبيه
كما فعلت المشبهة ولا تعطيل كما فعلت المعتزلة حيث
نفوا عنه العلم والقدرة والسمع والبصر والارادة والتخليق

والتكوين ونحوها   واما قولهم وبين الجبر والقدر اي ان
الاسلام الذي هو دين الله عز وجل هو التسليم لامر الله
تعالى ولما جاء منه من غير جبر باسقاط فعل الاكتساب
عن العباد ومن غير اثبات قدرة تخليق الافعال للعباد
واما قولهم وبين الامن والاياس اي ان الاسلام الذي هو
دين الله تعالى هو ان يكون العبد بين الخوف والرجاء وهو
حقيقة العبودية اذ في الامن عما اوعد ظن العجز عن
العقاب وفي الاياس عن رحمته ظن العجز عن العفو وهما
ينقلان عن الملة والاسلام هو اسلام العبد نفسه
مع جميع الاشياء لله تعالى والتسليم لحكمه والانقياد
لاوامره والاجتناب لنواهيه   ثم قالوا رحمهم الله
فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا قال القاضي
ابو حفص الغزنوي يعنوا بهذا القول وجوب الاعتقاد
بجميع ما ذكروا من اصول الدين والتوحيد وبما ذكروا
من فصول العقائد في الظاهر والباطن اذ المخالفة

بين الظاهر والباطن من اوصاف المنافقين وهم في الدرك
الاسفل واتحاد الظاهر والباطن في اعتقاد الحق
دين الانبياء والمؤمنين فوجب الاعتقاد بهذه الاشياء
التي قامت بثبوتها وحقيتها البراهين الساطعة والحجج
القاطعة ظاهرا وباطنا   ثم قالوا رحمهم الله ونحن
براء من كل من خالف الذي ذكرنا قال القاضي ابو حفص
الغزنوي وانما قالوا هذا لان ما ذكروه من اصول
التوحيد وسائر فصول العقائد قامت على حقيتها
حجج الكتاب والسنة الواضحة واجماع الامة الهادية
وبراهين العقول المستقيمة وهو دين الله عز وجل
الذي دان به الانبياء والمرسلون وعباده المؤمنون
ثم قالوا ونسال الله تعالى ان يثبتنا عليه ويختم لنا به
قال القاضي ابو حفص الغزنوي وانما سالوا الثبات
على دين الاسلام لان ذلك من اهم امور الدين وهو دأب الانبياء
والاخيار قال الله تعالى خبرا عن يوسف رب قد اتيتني

من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال رسولنا صلوات الله عليه عند موته حين خير بين البقاء
والرحيل اللهم في الرفيع الاعلى وتمام النعمة في التثبيت على الحق
وهو ما امتن الله تعالى على عباده المومنين بقوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وتمموا سوالهم
بطلب العصمة مما ابتلي في عقايد اهل الحق فقالوا وان يعصمنا
من الاهوا المختلفة والارا المتفرقة والمذاهب الردية
مثل المشبهة والجهمية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا
الجماعة وحالفوا الضلالة قال القاضي ابو حفص الغزنوي وانما
سالوا العصمة عن هذه الاشيا التي ذكروها لان اصحابها اتبعوا
اهواهم وخالفوا نصوص الكتاب والسنة واجماع
السلف الصالح وتعلقوا بشبهات بهوى انفسهم والواجب
على كل مكلف اتباع الحجج والسلف الصالح اعتمدوا
الحجج فتايدت عقولهم بالحجج فاهتدوا واهل الاهوا عارضوا

الحجج فزاغوا لان الهوى عدو الحق ومتبع عدو الحق لا يكون
وليا له فوجب التبري مما يوجب عداوة الحق الا ترى
الى قول ابن عمر رضي الله عنه حين قال له السايل ان عندنا قوما
لا يثبتون القدر فقال ابلغوهم اني بري منهم وكذا سالوا
العصمة عن الارا المتفرقة لان المذكورين واشباههم
تفرقوا باراهم عن الصراط المستقيم على ما مر بيان اصنافهم
وارائهم وخلافهم لنصوص الكتاب والسنة واجماع
الامة قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه خط في الارض خطا مستقيما
ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا ثم وضع اصبعه
على راس الخط المستقيم ثم قرا قوله تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ثم اشار الى تلك الخطوط المنعرجة
فقرا ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وهذا
مثل ضربه صلوات الله عليه لسبيل الحق ولسبيل الشيطان

فسبيل الله عز وجل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وقد قال الله تعالى لرسوله عليه السلام
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي
على حجة وبرهان انا ومن اتبعني وقد تواتر الخبر انه قال
ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون
في النار قيل من هم يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي
وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم وكان اول فرقة
ظهرت وخالفت الجماعة هم الخوارج فقاتلهم الصحابة
والتابعون فالفرقة الخارجة اول فرقة دخلت تحت
هذه الآية ثم لبست فرقة من الفرق واشد كيدا للاسلام
والشريعة من فرقة انتحلت تضليل الصحابة لان الصحابة
هم الذين نقلوا الشريعة ودعوا اليها بعد وفاة نبيهم
صلوات الله عليه فاذا جعلتهم هذه الفرقة ضلالا لا
لم تبق على زعمهم شريعة يعتمدون عليها وقد قامت الدلائل

القاطعة على بقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى قيام
الساعة اذ قامت الدلائل على كونه خاتم النبيين وقولهم
مثل المشبهة والجهمية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا
الجماعة وحالفوا الضلالة هذا انهم تفسير لما ذكروا من
اهل الاهوا المختلفة والآرا المتفرقة والمذاهب الردية
فبدؤا بالمشبهة لما سبق بيانه من اشتمال مذهبهم على تجسيم
الصانع القديم وتشبيههم اياه بالبشر على ابطال التوحيد
وتركهم للنصوص المحكمة والبراهين الظاهرة واتباعهم
المتشابهات بحملهم اياها على التجسيم والحدود والتناهي
ثم ثنوهم بالجهمية لخبث عقائدهم المشتملة على تعطيل
الصانع عز اسمه ونفيهم بقا الجنة والنار ثم ثلثوهم
بالقدرية المعتزلة لنفيهم عن الله تعالى صفات الذات
والفعل جميعا واثباتهم لانفسهم ولكل فاعل مختار مما ذرئ
ودرج قدرة تخليق الافعال ثم الحقوا بهم ساير اهل
الاهوا بقولهم والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة

وخالفوا الضلالة فكل من فارق الجماعة في العقائد ولازم
البدعة التحق بمن سبق ذكرهم في استحقاق الوعيد الوارد
في الخبر المتواتر الذي هو دليل من دلائل النبوة حيث أخبر أن
أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة
وهي التي تكون على ما كان هو عليه وأصحابه ثم تحقق وجود
التفرق بعده عليه السلام على ما أخبر نعوذ بالله من الخلاف
والفرقة ثم قال رحمهم الله ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال
وأردياء قال القاضي الإمام أبو حفص الغزنوي وغيره وإنما
تبرؤا منهم وسموهم ضلالا وأردياء لخلافهم بحجج الكتاب
والسنة المتواترة وإجماع الأمة الهادية ولدخولهم
تحت الوارد وتحقق نعت الفرق المذكورة في الخبر المتواتر
فيهم بخلافهم للجماعة في العقائد التي دانوا بها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلال وقال
يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار وقال من فارق الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه نعوذ بالله

من الخلاف والفرقة ونسأل الله تعالى أن يتوفانا على لزوم
السنة والجماعة

هذا آخر كتاب شرح العقائد الذي رواه أبو جعفر الطحاوي
في ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة
النعمان بن ثابت وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله وأثابهم الجنة والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين
وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين وسلم تسليما كثيرا دائما

فصل

في معنى تسمية أبي جعفر الطحاوي لأبي حنيفة وأبي يوسف
ومحمد رحمهم الله فقهاء الملة ذكر الشيخ أبو الحسين القدوري
في صدر شرحه لمختصر أبي الحسن الكرخي فقال إن الله تعالى
ضمن حفظ الشريعة وأمر بتعلمها والتفقه فيها وأول
من دون الفقه ووضع فيه كتبا ورتبه أبو حنيفة
رحمه الله ويستحيل أن يضمن الله تعالى حفظ الشريعة

ثم يكون المبتدي بتدوينها على غير الحق بل يكون على الحق
والاستقامة ثم قال ولانه وضع هذا المذهب
عن مناظرة اهل الاجتهاد والاستنباط ولم يستبد بوضع
المسائل وانما كان يلقيها على اصحابه مسئلة مسئلة فيعرف
ما عند كل واحد منهم ويقول ما عند نفسه ويناظرهم عليه
حتى يستقيم احد القولين فيثبته ابو يوسف حتى اثبت
الاصول كلها وكان له اصحاب لم يتفق لفقيه تصدى لوضع
المذهب مثلهم منهم ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم الانصاري
وزفر بن الهذيل التميمي ومحمد بن الحسن الشيباني والحسن
بن زياد اللولوي وداود الطائي وعافية بن يزيد الاودي
ويوسف بن خالد السمتي والقاسم بن معن المسعودي وحفص
بن غياث ووكيع بن الجراح ومالك بن مغول البجلي قال
ابو الحسين وهؤلاء فيهم علماء بالحديث والسنة والسير
والعربية والحساب فاذا كان المذهب وضع على اتفاق
من جماعتهم كان اصح مما يستبد به الواحد بنفسه

ويرجع فيه الى اجتهاده ولان ابا حنيفة قدس الله روحه
اول من تكلم في الشروط وصنفها وقد قال الله تعالى
ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فاخبر ان الله تعالى
هو المعلم للشروط وهو علم لا ينفرد وانما يتفرع على
كل الفقه فصحتها تدل على صحته ولان ابا حنيفة رحمه
الله اول من وضع كتابا في الفرايض وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفرائض نصف العلم وهو اول
علم يرفع من الامة فاذا وفق الله تعالى من ابتدا بوضعها
فالظاهر ان يوفقه للصحيح منها ولانه ولد في عصر
الصحابة سنة ثمانين وتفقه في زمن التابعين وافتى
معهم وناظر الشعبي وطاوس وعطا ثم قال ابو الحسين
وقد روى ابو حنيفة رحمه الله عن انس بن مالك
وعبد الله بن جزء الزبيدي وعامر بن الطفيل وغيرهم
وقال يحيى بن معين ان ابا حنيفة صاحب الراي سمع عائشة
بنت عجرد وهي تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يقول اكثر جنود الله في الارض الجراد لا آكله ولا احرمه
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده
الله تعالى وما ذكر ابو الحسين القدوري من وضع ابي حنيفة
المذهب عن مناظرة اهل الاجتهاد والاستنباط
فهو الاحكام الفروعية والمسايل الاجتهادية وذلك
لتبحره في علوم الملة وشدة صلابته في حراسة الشريعة
واقتدى في ذلك بابي بكر وعمر رضوان الله عليهما في كثرة
احضارهما اولي الاجتهاد والاستنباط من فقهاء الصحابة
ورواتهم في كل حادثة تقع وحكومة ترفع واما في المسايل
الاعتقادية فان ابا حنيفة واصحابه رحمهم الله قد بنوا
عقايدهم على الدلايل الموجبة للعلم من النصوص المحكمة
والاخبار المتواترة والبراهين العقلية واجماع الامة
الهادية على ما مر بيانها في الفصول الاعتقادية الى اخر
الكتاب فلهذه الوجوه المذكورة سماهم ابو جعفر الطحاوي
فقهاء الملة واراد بالملة الاسلام وهي التي كان عليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد قامت الحجج والبراهين على كل
عبد ان يكون محياه ومماته عليها ولذلك توارثت الامة
خلفا عن سلف ان يقولوا عند وضع الميت في لحده بسم الله
وعلى ملة رسول الله فلما وقف ابو جعفر الطحاوي على
مذهبهم في الاصول والفروع وجده موافقا للقران
والسنة المشهورة واجماع الصحابة والبراهين العقلية
سماهم فقهاء الملة رحمهم الله واثابهم الجنة بفضله

وقع الفراغ من نسخه يوم الخميس
ثالث عشر من المحرم سنة ثمان
واربعين وسبعمايه حامدا لله ومصليا
على نبيه صلوات الله عليه وعلى اصحابه
وعترته الطاهرين وسلم





٢٩٢

حد العقل عند الاصوليين
هو جوهر غير محسوس يميز به بين الحسن والقبيح

والفقهاء قالوا
هو ما اذا حصل للمكلف
يجب تكليفه

حد الدين
هو وضع الهي يتلقاه
عن الرسول

سيكون ما هو كاين في وقته واخو الجهالة متعب محزون
فلعل ما تخشاه ليس بكاين ولعل ما ترجوه سيكون

ماقضى بانفس فاصطبري له
وكلا الامارهم الذي لم يقدر











